الطبعة
٢

أسافل الجُب

شهر الموت 2

بدر رمضان



الكتـــــــاب: أسافل الجب: شهر الموت ٢

اسم المــــؤلف: بدر رمضان

تصميم الغـــلاف: محمد علي

التنسيق الداخلي: إبداع

التدقيق اللغــوي: نور مراد

الطبعــــــــة: يوليو 2023

رقـم الإيـــداع: 2023 / 13066

الترقيـم الدولـي: 0 - 646 - 779 - 977 - 978

الموقـــــع: www.ibda3eg.com

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله

dreidibrahim@gmail.com

للتواصل بخصوص النشر:

info@ibda3eg.com

publishing@ibda3eg.com

للتواصل بخصوص المبيعات

00201004022774

العنوان: 10 ش هدى شعــــراوي، وســـط البـــلد، القاهـــرة

هاتف: 0223909119 - موبايل: 01001631173

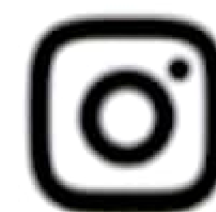
الموقع الإلكتروني: www.ibda3eg.com



dar_ibda3



ibda3-tp



dar_ibda3

«اَلَّذِينَ جُعِلَتْ قُبُورُهُمْ فِي أَسَافِلِ الْجُبِّ، وَجَمَاعَتُهَا حَوْلَ قَبْرِهَا، كُلُّهُمْ قَتْلَى سَاقِطُونَ بِالسَّيْفِ، الَّذِينَ جَعَلُوا رُعْبًا فِي أَرْضِ الأَحْيَاءِ.»

(حز 32: 23)

الإهداء

إلى البطل (...........) الذي ينتظرني لأعيده.....

هل من قرابين تقدمها،

في انتظارك

المقدمة

«نحن المَاسَّون لا يمكننا أن نتوقف عن الحَرَّب بيننا وبين الأديان، لأنه لا مَناص من ظَفرِها أو ظَفرنا، ولابدَّ من موتها أو مَوتنا، ولن يَرتاح المَاسَّون إلا بعد أن يَفُلُّوا جميع المْعَابِد»

اليوم الأول

١ - آذار

«في يوم الثالث عشر من شهر آذار ستكونُ نِهايتكِ!»

انتفضتْ بفزعٍ من نومِها عندما سمعت صوته المُخيف وهو يردد هذه الكلمات، ثم لكزها في كتفها الأيسر، ليُثبت لها أنها لم تكُن تحلُم!

أخذت هاتفها القابع جوارها أعلى المنضدة، وبيدٍ مُرتعشة نظرت نحو التقويم الميلادي، فوجدت المُتبقي على الثالث عشر من آذار اثنا عشر يومًا بالضبط..

يُقال إنه شهر الأرواح السبعة الشريرة، هكذا قرأت في إحدى المقالات، وهكذا قادها عقلها على الفور دون معرفة السبب.

استعاذت بالله ونهضت لتتوضأ وتُصلي ركعتي الفجر قبل طلوع الشمس، وفي سجودها دعت الله كثيرًا، لو كانت نهايتها بعد أيامٍ كما جاءها هذا الهاتف، فهي لا تريد ألا يأخذها خالقها إلا وهو راضٍ عنها.

انتهت من الصلاة واتبعتها بأذكار الصباح، وظلت هكذا

ساعتين حتى استطاعت النوم ثانية؛ ليتكرر الأمر قبل آذان الظهر بنفس الطريقة.

«في يومُ الثالث عشر من شهر آذار ستكونُ نِهايتكِ!»

تأففت بضجر وهي تنتفض فزعة للمرة الثانية، نهضت من فراشها وهي تستعيذ بالله، ثم أكملت ممارسة مهامها اليومية المعتادة بآلية كاملة، وهي لا تكفْ عن التفكير فيما حدث.

وعند الخامسة عصرًا؛ ذهبت إلى عملها، لتبدأ مناوبتها في إحدى المستشفيات الخاصة التي تعمل بها كطبيبة متخصصة في العلاج الطبيعي، انغمست في عملها الجاد، الذي ومن حُسن حظها، لم يُمهلها ولو بضع دقائق كي تفكر فيما جرى لها ليلة أمس وفي صبيحة اليوم.

انتهت من متابعة الحالة التي تتمثل بسيدة في العقد الخامس من عمرها، تعاني من التواء في ساقها الأيمن إثر حادثة سير، كانت تتابع حالتها منذ عدة أسابيع. وقفت السيدة على عكاز تستخدمه لمواكبة حركاتها وهي ترتدي ملابسها كاملة، بينما تتحدث إليها بصوتٍ ظهر عليه القلق:

- ما بكِ يا أبريال؟ لم أركِ شاردةً هكذا من قبل.

ابتسمت أبريال بلُطفٍ وهي تُجيبها:

- لا تقلقي يا خالة فأنا بخير، فقط بعض الأرق المصحوب بليلة تجافى بها النوم.

تقدمت السيدة نحوها ببطء وخطوات غير متزنة، ثم ربتت على كتفها برقة قائلة:

- ابحثي عن رفيقٌ جيد يا ابنتي، فالوحدة ستجعلكِ فريسة سهلة.

تعجبت أبريال من قولها، ثم أجابتها بصوتٍ مرح:

- ولكنني قد سمعت بأن الوحدة عبادة.

تجهم وجه السيدة بجدية وهي تنسحب من أمامها متجهة نحو باب الغرفة، لتقول لها وهي تقطعه:

- عبادة بالنسبة إلى سيدة تجاوزت من العمر أرذله وقد سلمت رسالتها كاملة بهذه الحياة، أما بالنسبة لفتاة شابة مثلكِ؛ فهي وحشٌ سيلتهمكِ ببطء وأنتِ حية تُرزقين.

لم تنتظر الأخيرة ردًّا واغلقت الباب خلفها، لتعود أبريال إلى مقعدها شاردة الذهن تُفكر في حديث هذه السيدة بجدية، فهل يُمكن أن يكون عقلها الباطن يفتعل هذه الأحلام، أو بالأحرى الكوابيس المتكررة، حتى يجعل لحياتها الفارغة شيئًا من

الإثارة؟

ضغطت الزر لاستدعاء الحالة التالية بشرود تام، لتتعامل بعدها مع مرضاها بحرفية حتى انتهت مناوبتها بهدوءٍ مثل كل يوم.

عادت إلى البيت مباشرة دون مقابلة أحد أقرانها، وقد ابتاعت لنفسها طعامٌ جاهز في طريقها لعدم رغبتها في تحضير طعامها بنفسها كما اعتادت. وفي الساعات التي تلت عودتها، امتنعت عن محادثة أحد من أخوانها أو اصدقائها عبر الهاتف أو حتى على وسائل التواصل الاجتماعي على غير عادتها حتى لا يَكشف أحدهم أمرها؛ فحين تصاب بنوبة هلع الجميع يكتشف ذلك من صوتها وحتى من طريقة كلامها الغامضة.

تخطت الساعة الثانية بعد منتصف الليل فتحضرت للنوم، وحين نظرت إلى فراشها المُرتب، قررت أن تأخذ حبة دواء كي تجعلها تنام بعمق، علها تمنع عنها هذه الهلاوس السمعية التي أحاطت بها منذ الأمس.

ردَّت أذكار النوم، وغفت للحظات كانت أشبه بالركض نحو الجحيم!

أصوات عويل عالية، تتبعها استغاثاتٍ متتالية، وأرواح فَزِعة

تعبر من خلالها برعب شديد، شعرت بها وهي تَمُر بداخلها، ليهتز جسدها بقوة، ممَّا جعلها تصرخ من الخوف و الألم معًا، ليتكرر الأمر لسِتة أطيافٍ متتابعة، ومع أخر روح مرت بجسدها توقف كل شيء!

كل الضجيج من حولها اختفى، لم تعد تسمع صرخات أو تآوهات ولا حتى ترى شيء سوى الضباب.

لفتها الغيوم من حولها فدارت حول نفسها مثل السكارى، لتتوقف فجأة، رفعت رأسها بألم، لتجد بأنها أصبحت آمنة من الأرواح الستة الفزعة!

لقد مروا من خلالها منذ لحظة واحدة وكأنها بوابة عبور خاوية لا تملك روحًا ولا حتى شعور.

يقفون الآن مُصطفين بجوار بعضهم البعض، الابتسامة تعلو وجوههم النقية الهادئة، وهم يتقدمون نحوها بخطوات ثابتة، ارتعد جسدها لقربهم، ولكنها لم تستطيع الحراك وكأنها مُكبلة القدمين والذراعين معًا.

خطا أحد منهم للأمام كي يحادثها قائلًا:

- نتمنى لكِ أن تعبري أيضًا بأمان، ولكن حتى ذلك الوقت ستحفظين أرواحنا بين جنباتك، وستكونين المسؤولة الأولى

والأخيرة عن خروجنا من الجحيم، أو سنهلك نحن السبعة وسوف يكون مَثوانا في أسفل لظًى.

وبعد أن أنهى حديثه أشار لهم، ليتابعوا تقدمهم تجاهها.

شعرت بالرعب الشديد ممَّا يحدث، فحاولت الركض ولكنها عجزت حتى عن تحريك رأسها، ظلوا على تقدمهم ببطء جعل دموعها تسقط مدرارًا على وجنتيها وهي تحاول أن توقظ عقلها بكل قوة امتلكتها يومًا.

«هيا، استيقظي!»

رددتها صارخة حتى شعرت بأن أحدهم قد فكَّ وثاقها، لتلتفت دون النظر خلفها ركضًا بكل ما أوتيت من قوة وهي مُغمضة العين.

شعرت أنها ركضت بأقصى سرعة لمسافة بعيدة حتى أنها قد وصلت لمكان آمن، فتحت عينيها لتجد أول واحد منهم يقتحم جسدها بقوة جعلتها تعاود الصراخ، ليتوالى جميعهم في دخول جسدها الشفاف حتى ظلَّ آخرهم، والذي تحدث معها منذ قليل، ليلتصق بها وهو يقول:

- لا تخذلينا.. وتذكري أن نهايتك في الثالث عشر من آذار.

ومع دخوله فتحت عينيها واستمرت في الصراخ، حتى شعرت أنها قد فقدت الوعي بينما وسادتها مبتلة من دموعها الغزيرة التي ما زالت تتساقط حتى هذه اللحظة.

لم تشعر بشيء بعدها ولا كم من الوقت قد مرَّ عليها وهي فاقدة للوعي، حتى بدأ احساسها يعود رويدًا رويدًا مع ملامسة كف خالتها لكتفها بينما تهزها بشدة وصوتها المذعور الباكي يأتيها من بعيد، وهي تقول:

- افيقي أرجوكِ يا أبريال، لا تفعلي بي هذا.

فتحت أبريال عينيها المُجهدة التي ما زالت رطبه ومليئة بدموع الرعب الذي عايشته في كابوسها الحقيقي، مسحت وجنتيها وهي تحاول اخراج صوتها لطمأنتها:

- اهدأي يا خالتي، أنا بخير.

ثم طلبت منها أن تناولها الماء حتى تترك لها بضع لحظات تتمالك فيها نفسها وتحاول استيعاب ما حدث.

اعتدلت في جلستها، وتركت أهدابها تنغلق بهدوء يخالف الثورة التي تشتعل داخلها، لتُمسك رأسها بكلتا يديها حتى سمعت خطوات خالتها الراكضة، فرفعت رأسها للأعلى، لتجدها تقف أمامها بوجهٍ جامد، وقدح الماء بيدها ثابت بشكلٍ

غير طبيعي!

قالت الخالة بصوتٍ مخيف، وهي تقترب من فراشها:

- اتركي نفسك لي وأنا سأنتزعهم من داخلك..

نزلت من موضعها بارتياع وصوتها يأبى أن يخرج من حنجرتها المرتعبة، بينما خالتها ما تزال تتقدم نحوها دون هوادة وهي ترمقها بنظرات جعلت قلبها يكاد يتوقف من خوفه، وفجأة..رَكل الباب بقدمه وبيده سوط جلدي سميك، رأته من خلف جسد خالتها الجامد جمود الموتى، لتنظر نحوه بتعجب؛ شابٌ مفتول العضلات، ذو جسد ضخم، وبشرة سمراء لامعة لم ترى مثلها قطُّ.

رفع سوطه لأعلى، ثم أسقطه على رأس خالتها التي كادت أن تُمسك بها في آخر لحظة، لتصرخ بصوتٍ فزع وجسدها المُفرَغ يسقط على الأرض مثل الهلام قبل أن تتلاشى بقاياها على الفور.

رفعت رأسها تنظر نحوه، مشدوهة ممَّا حدث، فوجدته يُمسك مرفقها بقوة:

- سوف تتطلعين لي هكذا بذهول حتى يأتي آخرون ووقتها لن أستطيع انقاذك، هيا بنا إلى مكان آمن.

استفاقت أخيرًا عندما أنهى جملته، وسحبت يدها بقوة من بين كفه، وصاحت به غاضبة بصوت مازال يرتجف بقوة:

- من أنت؟! ومن أذن لكَ كي تدخل بيتي؟ وما الذي فعلته منذ قليل بخالتي؟ وكيف تجرؤ على سحبي هكذا خلفك؟ هل جننت يا هذا؟!

صكَّ على أسنانه بقوة وهو يضع سوطه في الجراب المتدلي من وسطه، ونظر نحوها بعينيه السوداء القاتمة التي يُغلفها سحرٌ خاص، وقال:

- اسمي ليس «يا هذا»، وستعرفين من أنا حين ننتقل إلى مكان آمن، وأنا لا أحتاج لأذنك حتى أنقذك من براثن اتباع آبيغور، ومن سقط توًّا ليس خالتك، بل كما ذكرت في الجملة السابقة؛ أنه أحد أتباع آبيغور ، وهو ليس الوحيد ولا الأخير، فبعد لحظاتٍ سوف يمتلئ منزلكِ بهم، ووقتها لن يستطيع أحدٌ انقاذك منهم، لذا عوضًا عن تضييع وقتي باللوم، كان يجب عليكِ أن تشكريني.

حاولت التحدث، فرفع كفه ليُكمل:

- لا أحتاج شكرك الآن، كل ما أحتاجه هو أن تتحركي حتى نترك هذا المكان في الحال.

جلست على فراشها مرة أخرى وهي ترفع رأسها، وأنفاسها اللاهثة ترتفع أكثر من شدة توترها:

- لن أذهب معك لأي مكان دون أن تجيب على أسئلتي..

رفعت زاوية فمها بتهكم، وهي تتساءل:

- ومن آبيغور هذا؟ وما الذي يريدهُ مني؟ وكيف لي أن اصدقك بكل بساطة هكذا..

ثم حركت كفها نحوه:

- اخرج من هنا وكفى هراءً، فأنا أريد أن أبدل ملابسي كي أذهب لعملي..

ضيَّق عينيه وهو ينظر للساعة التي قاربت على الخامسة صباحًا، فوجهت رأسها إلى حيث ينظر، لتُدرك في هذه اللحظة مدى بلاهتها. ليهز كتفه بخفة وهو يتوجه نحو باب الشقة مدمدمًا بهدوءٍ غريب:

- حسنًا، كما تريدين..

ثم التفت، وعادَ ينظر نحوها:

- ولكن إذا خرجت من هنا، فلن أعود لإنقاذك.

عبر من الباب بثبات، وهي تحاول السيطرة على قدميها اللذان كانا يرتعدان، وهتفت:

- أنا لا أحتاج للانقاذ من الأساس.

جلست أبريال على فراشها، تتلفت حولها برعبٍ وهناك هدوء غريب عمَّ المكان بأكمله جعلها تضم ركبتيها لصدرها في محاولة للسيطرة على ارتعاشتها، وعقلها عاجزٌ عن فِهم ما يحدث لها هكذا في سويعات قليلة. دقائق مرت في هذا الهدوء القاتل، إلى أن جعلها طرقٌ على باب الشقة تنتفض، ليصطدم رأسها بحافة الفراش، فتأففت مغمغمة بضيق:

- مؤكد أن ذلك الشاب الأسمر قد عادَ مرة أخرى.

فتحت الباب زاعقة، لتجد أمامها ليلى جارتها وهي تبتسم لها بغرابة. ابتلعت ريقها بصعوبة وبادلتها الابتسامة بأخرى مرتعشة، بينما تتساءل سرًا عن زيارتها لها في هذا الوقت، وقبل أن تُكمل سؤالها، دفعتها الأخيرة بقوة جعلتها تقع على الأرض، لتدخل ليلى وهي تغلق الباب خلفها قائلة:

- اتركي نفسك لي وأنا سأنتزعهم من داخلك.

زحفت على ظهرها في الأرض لتبتعد من أمامها، وهي تصرخ بأعلى صوتها:

- أرجوك انقذني، يا من لا أعرف اسمهُ بعد!

أمسكت ليلى بقدميها، فارتفع صراخها:

- أعتذر منك..أرجوك؛ يا مليح اللون وجميل العينين.. انقذني ..

لم تعي وقتها ما قالته، حتى سمعت صوت سوطه من خلف ليلى لتجد جسدها أصبح في الحال مثل جسد خالتها، حاولت الوقوف فلم تستطع، فوجدته يمُد لها يده ليرفعها من على الأرض.

قاومت بكائها قليلًا حتى انفجرت، فربَّت على ظهرها قائلًا:

- اهدأي.. أنتِ الآن بخير..

جففت وجنتيها ورفعت عينيها بخجل كي تشكره، فضم حاجبيه وهو يسألها باهتمام:

- لقد سمعتكِ تناديني بمليح اللون، جميل العينين.

انقلبت بشرة وجهها للون الأحمر، وحاولت اظهار الحنق على ملامحها، وهي تقف قائلة بصوتٍ به بحة اكتسبتها بفِعل الخوف:

- أنا لم أكن في وعيي يا هذا! كنتُ في ظل هجوم مع كائن مجهول لا أعرف ما الذي يريده مني، شكرًا لك على انقاذك لي مرة أخرى، وتستطيع الآن المغادرة.

لم تستطع انهاء جملتها وقد وجدت نفسها متدلية من أعلى كتفه بلحظة؛ يحملها كطفل مشاغب. وقبل أن تهدر به صارخة، ارتفع صوته وهو يغادر المنزل خارجًا نحو الشارع الرئيسي:

- كلمة واحدة أخرى وسوف أضربك كالصبي العنيد ذو اللسان السليط الذي يريد التأديب، ووقتها لن تلومي إلا نفسك.

كتمت أنفاسها، لتجده ارتفع للأعلى بجناحيه فجأة، وهو يُمسك بقدميها وجسدها النحيل يتدلى للأسفل. فجحظت عينيها وهي ترى المبنى الذي فيه شقتها يبتعد بينما هو يعلو بها على ارتفاع شاهق، وعند هذه اللحظة اطلقت الباقي من صوتها ليخرُج على هيئة صرخات متتالية وهي تراه يعلو شيئًا فشيئًا حتى تخطى السُحب.

بدأت حُنجرتها بالانسداد وقلبها يكاد قلبها يتوقف من تسارع دقاته، ليتسمر جسدها المتدلي برعبٍ واضح. حينها فقط توقفت عن المقاومة، ولم تعد تشعر بشيء آخر بعدما فقدت الوعي.

* * *

كانت تقف على حافة السفينة الكبيرة تتابع تقدمها نحو الشاطئ، استدارت يمنة ويُسرة بريبة لتتأكد أن لا أحدٌ يتبعها، استعدت للهبوط حين وجدت المرساة تنطلق بمفردها نحو الرمال، لتشعر هي بهزة طفيفة نمَّت عن ارتداد السفينة من أثر التوقف.

أمسكت بطرف فستانها الواسع الذي يتحرك مع خصلات شعرها الطويل بفِعل الرياح، لترفع قدميها وتتحرك ببطء نحو الشاطئ الرملي، وهي لا تدري ما الذي جاء بها إلى هنا؛ ولكنها اعتادت على المُضي قدمًا لتكتشف ماهية هذه الرحلات المفاجئة.

تلفتت حولها فلم تجد شيء يثير الدهشة؛ مُجرد شاطئ تغمُره الرمال الصفراء التي تلمع تحت ضوء الشمس الساطعة بينما الأمواج تختال من خلفها بصوتها المُحبب وهي تركض بأقصى طاقتها حتى تصل لمهجعها، فترتمي عليه، قبل أن تتقهقر وتعاود الكَرّة.

وضعت كفها أعلى جبينها وهي تُضيِّق عينيها لترى أبعد من ذلك، فلم تجد سوى سورٍ كبير على امتداد البصر، وعلى الفور علمت أن هذه ضالتها، فخطت خطوة واحدة وهي تأخذ نفسًا عميقًا، لتجد نفسها أمام هذا السور الممتد لمسافة بعيدة يحاوط داخله قصرًا يبدو عتيق المقام. حركت رأسها نحو اليمين، لتتلألأ في حدقتيها بعض الأضواء التي جعلتها تمضي في طريقها لتقترب منها، حتى تبين لها أنها كلمات ذهبية اللون ينعكس شعاع الشمس عليها مُنشئًا بريقٌ يلمعُ بشكلٍ خاص. مررت سبابتها على الحروف المكتوبة باللغة الآشورية، لتقرأها هامسة:

«بلاط بنيرار؛ الملك العظيم، الملك القدير، ملك الشعوب، ملك أرض آشور، الملك الذي اتخذه آشور ملك الآلهة السبعة ابنًا له.»

أنهت الجمُلة المُدوّنة ليهدأ البحر من خلفها وتسكُن الرياح التي كانت تأزُ منذ لحظات، وتتبدل الشمس التي كانت ساطعة بهلال صغير تحاوطه نجومٌ بالكاد تنير جزء صغير من دربها، فأغمضت عينيها على الفور، لتتسارع دقات قلبها بخوف لا تعرف مصدره ولكن ما حدث من تحول سريعُ حولها جعلها تُدرك أن شيئًا سيء سوف يحدث الآن، فهمست بالحاح:

- استيقظي يا آنا..هيا استيقظي..

كانت على وشك أن تفتح عينيها على الفور، ولكن هناك طيفٌ مرَّ من أمامها جعلها تفتح عينيها داخل الحُلم مرة أخرى بدلاً من أن تفتحهما على الواقع.

استدارت على الفور لتجد نفحة من رياح ساخنة تمر خلفها، ليقشعر بدنها برجفة قوية، فوقعت منتصف شعورين متضادين: أن تستيقظ وتنجو بنفسها، وشعورٌ آخر من الفضول يقتلها لتعرف من هذا الطيف الذي يريد أن يُعرفها على نفسه بأسوأ الطرق. قررت أن تنجو بنفسها قبل أن يتوقف قلبها رعبًا ممَّا يحدث حولها في هذا الظلام، أغمضت عينيها ثانية، وقبل أن تحثُ نفسها على الاستيقاظ، شعرت بكفه أعلى صدرها المتهجد، فتوقفت أنفاسها اللاهثة، لتسمع صوته الخافت خفوت الموتى، وهو يقول لها بلغته الآشورية القديمة:

- لا ترحلي الآن، انتظري لأبلغك رسالتي.

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي مازالت تحبس انفاسها وتحاول السيطرة على جسدها المذعور، ليستطرد قائلًا:

- لا تحاوي انقاذها، فقد تمَّت المهمة اليوم وأصبحت مُلكه منذ هذه اللحظة، عودي لموطنك، يا آنا. ولا تحاولي التدخل حتى لا تنقلب الأمور على جميع من تُحبين، وحينها لن ينجو منكم أحد.

شعرت بصدرها يضيق حتى كادت انفاسها تنقطع، لتشهق عند عودتها بنفس اللحظة التي رفع فيها كفه عن صدرها، اعتدلت في فراشها بأنفاس متقطعة حتى بدأت تسعل بقوة جعلت كوبا تقتحم غرفتها على عجلٍ، وهي تسألها بقلقٍ واضح:

- ما بكِ يا آنا؟! ما الذي حدث؟

تفاقمت حدة السُعال المتتالي، فقامت كوبا راكضة لتأتيها بكوبٍ من الماء، أخذته منها آنا لتتجرعه كاملًا حتى هدأت أنفاسها بشكلٍ معقول، ثم ضيقت عينيها ونظرت لأمها التي كانت تتأملها بدورها بوجهٍ شاحب.

- ماذا رأيتِ؟!

ظلّت آنا على صمتها وهي لا تدري ما الذي يجب عليها قوله، هي لا تفهم ما الذي ألقاه هذا الطيف على مسامعها ولا من ماذا يحذرها! ومن هي تلك التي لا يجب عليها انقاذها؟

وضعت كوبا كفها على كتف ابنتها، وتساءلت وهي تربت عليها برفقٍ:

- هل عادت لكِ كوابيس ذلك الدير ، وما حدث به؟!

اكتفت بهزة نفيٍ خفيفة من رأسها جعلت كوبا تضم حاجبيها بدهشة، واستفسرت:

- ما الذي رأيته إذًا وجعلكِ في هذه الحالة؟

في النهاية فتحت آنا فمها لتقُص على أمها ما رأته في منامها، بصوت مضطرب لم يقوى بعد. زاغَ بصر كوبا وهي تستمع لابنتها، وكأنها علمت على الفور اجابة كل تلك الأسئلة التي لم تعرف آنا بعدُ اجابتها، ولكنها وبدلًا من أن تمنحها هذه الاجابات؛ رسمت ابتسامة عريضة على وجهها، ووقفت تستعدُ للعودة لغرفتها، وهي تقول لها:

- هذه ليست رؤيا واضحة لها تأويل يا ابنتي، مجرد أضغاث أحلام، لا تهتمي لها وحاولي أن تنالي قسطًا آخر من النوم العميق، وأنا واثقة أن هذه الأحلام السيئة لن تعاودك مرة أخرى.

ساعدتها على الاستلقاء وهي تدثرها بالغطاء، لتنحني وتُقبلها على جبينها، متمنية لها ليلة سعيدة، قبل أن تخرج من غرفتها وتجُر الباب خلفها لتسمع آنا صوت أمها من الخارج:

- لا تنسي أن تغلقي الأضواء التي بجوارك يا حبيبتي، حتى تحصلي على ساعات نومٍ جيدة.

اطفأت آنا الضوء وهي تُحدق في سقف الغرفة بتفَكر، بينما احساسها يُخبرها أن أمها تُخفي عليها شيئًا يُفسر لها ما رأته، فهي عندما تنسحب فورًا هكذا من الحديث بأي كلام ليس له قُيمة فمؤكد أنها تكْتُم سرًّا ما، ولكنها سوف تعرفه دون مساعدتها، يبدو أنها تحاول إبعادها عن هذه الأمور منذ أن كادت تفقدها في الحادثة الأخيرة، فتذمرت آنا بضيق:

- ولكن يجب أن تعلم أن هذا هو قدري كما كان قدر أسلافي.

ظلت على موضعها لوقتٍ ليس بقليل حتى تأكدت بأن أمها قد غفت ولن تستيقظ ثانية سوى في الصباح، فهبطت من أعلى فراشها بهدوء، وتسللت خارج غرفتها وهي تسير على أطراف أصابعها، لتنزل لدرج وتتجه نحو الباب الخلفي، الذي عبرته بهدوء، قبل أن تتقدم نحو الحديقة الخلفية ومنها للقبو الذي توجد فيه كتبها السرية، عازمة أمرها على أن تمر بأحدهم كي تعرف ما مغزى هذه الرؤية التي تراها للمرة الأولى منذ عدة أشهر تخلصت خلالهم من الكوابيس المزعجة المتكررة، ولكن حدسها لم يخطئ من قبل ولن يخطئ الآن، هناك شيءٌ عظيم يحدث، ويجب عليها أن تستعد له.

هبطت درجات السُلم الحديدي حتى وصلت للأسفل، فرفعت ذراعها لتضيء الحجرة عبر المفتاح المتدلي من السقف، لينتفض جسدها بفزع حين رأت أمها تجلس على المقعد وهي تنظر إليها بغيظ:

- كُنت أعلم أنك لن تتجاوزي الأمر بهذه البساطة.

أشارت نحو المقعد الأخر الموضوع خلفها، لتُردف:

- اجلسي يا آنا.

جلست آنا وهي ترفع حاجبها متسائلة:

- لمَ حاولتِ أن تضلليني إذًا؟!

تأففت كوبا بضيق شديد، ثم أجابتها:

- لا أعرف لمَ رأسك اليابس بهذا العنِد؟! لمَ لا تشبهين والدك الذي كان يملك من لين الجانب ما يكفي العائلة بأكملها؟ لولاه لما بقينا كل تلك السنوات بآمان ونحن محتفظين بجميع أفراد العائلة دون فقداننا أحدٍ منهم!

عقدت آنا ذراعيها ببعضهما البعض وهي تتأمل وجه أمها الممتعض بهدوء تام، لتستطرد كوبا بنفس الضيق الذي خالطه على الفور خوفٌ شديد:

- سأقص لكِ كل ما تريدين معرفته ولكن..

قربّت كوبا مقعدها من ابنتها حتى كادت أن تلتصق بوجهها،

وحذرتها بعينين تلمعان من الذعر الواضح:

- ولكنكِ ستعدينني قبلها أنكِ لن تتدخلي في هذا الأمر، مثلما واجهتِ قدرك بمفردك دعيها تواجه قدرها، فأنا لن أسمح لكِ بأن تقحمي نفسكِ في هذا الأمر بأي شكل، وتحت أي اعتبار، فهلاكك في هذا الأمر مُحتَّم لا محالة.

شعرت آنا بعِظم ما يحدث، فلم تحذرها أمها بهذا الشكل من قبل، بل كانت هي من تدفعها دفعًا في المرة السابقة كي تواجه قدرها وما خُلقت لأجله، ففتحت فمها بترقب وهي تُمسك كفي أمها برفقٍ:

- لمَ كل هذا التحذير والضغط الذي تمارسينه على نفسكِ، يا أمي؟ أنا افهم جيدًا أن ما حدث من قبل كان ثقيلٌ عليكِ، ولن تستطيعي نسيان فكرة أنك فقدتني بسهولة ولو بعد عشرة أعوام، وأنا أعي جيدًا مدى خوفك الزائد خلال العام السابق، ولكنكِ لم تكوني مسبقًا بهذا الرعب الذي أراه على وجهكِ!

سحبت كويا كفها من بين قبضة ابنتها، وهي تؤكد عليها ما قالته:

- سوف تعدينني أولًا، وبعدها سأشرح لكِ الأمر، ولكن للمعرفة فقط.

زفرت آنا بضيق:

- حسنًا يا أمي، أعدك أنني لن أتدخل في شيء؛ والآن أريد معرفة من هي التي حذرني الطيف من الاقتراب منها، وأنتِ تمشين على دربه الآن؟

* * *

اليوم الثاني

٢ - آذار

خرجت همهمة خفيضة من بين شفتيها جعلته يُدرك أنها على وشك الاستيقاظ، فوضع على المنضدة الخشبية الصغير إلى جوار فراشها كوبًا من عصير البرتقال، ومعه حبتين دائريتين باللون الأبيض، وعاد للخلف، وعيناه لا تفارقان وجهها متجعد الملامح باستياءٍ واضح.

جلس على مقعدٍ أثري قبالتها، ووضع احدى قدميه على الأخرى، بينما شبك أصابع كفيه ببعضهما وهو يراقبها بعين نسرٍ ثاقبة النظر بحدقتين متسعتين وبهدوءٍ تام.

حركت رأسها بتململ، ثم رفعت ذراعيها للأعلى، تمط إياهم بملامح ممتعضة، لتفتح عينيها بهدوء وكأنها لم تُدرك بعد ما مرت به منذ ساعات وكأنها فقدت الذاكرة، نهضت من الفراش باتجاهٍ يخالف موضع جلوسه، تبحث عن حذائها، لتنتبه أخيرًا إلى أن هذا ليس فراشها!

رغمًا عنه، ظهرت ابتسامته وهو يراها تضع كلتا كفيها على وجهها، وتردد بذعرٍ:

- أين أنا؟!

لم يستطع الصمود أكثر من ذلك، وخرج صوته متزنًا جهورًا، ولكنه هادئ كطبيعته:

- تناولي العصير ومعه حبتا المسكن حتى لا يتملكك صداعٌ مميت.

التفتت نحوه بصرخة مكتومة، لتتوالى على عقلها كل الأحداث التي جرت البارحة، لتتوقف عند أخذه لها، وطيرانه بها على ارتفاعٍ جعلها تفقد الوعي.

وبتلقائية شديدة، تفقدت ملابسها فوجدتها كما هي، رفعت رأسها نحوه، لتتساءل بصوتٍ مضطرب:

- من أنت؟!

وقبل أن يُجيب، استدارت برأسها لتتفقد الغرفة بأكملها؛ غرفة بمساحة كبيرة تكاد تتخطى مساحة شقتها، فراشٌ خشبي مُطعم باللون الذهبي ذو هيئة فخمة، توجد أمامه على مسافة بعيدة مرآة كبيرة الحجم تحمل نفس الزخارف، بينما جلس هو على مقعد كبير يشبههم، وأمامه منضدة متوسطة الحجم، اعتلتها مزهرية كبيرة مليئة بالورود.

لفت نظرها النافذة الزجاجية التي تحيط الجدار بأكمله من السقف حتى الأرضية الخشبية، اقتربت من النافذة بوجل، لتتأكد أنها في ناطحة سحاب على مرتفعٍ عظيم، تطلعت نحوه وهو مازال على وضعه يراقبها ولم يتحرك قيد أنملة، ظلَّ هكذا للحظات حاولت فيها ترتيب أفكارها، ليُداهم هو عقلها:

- لو انتهيتِ من فحص الغرفة؛ تستطيعين الجلوس الآن.

أنهى جملتهُ وهو يشير نحو المقعد أمامه، فاقتربت منه دون إرادة، وجلست عليه وهي زائغة البصر، فنهض من مجلسه، متقدمًا نحو المنضدة الصغيرة، ليحمل كوب العصير والحبتان، ويناولهم إياها قائلًا:

- هيا، تناوليهم أولًا.

نظرت لهم بريبة فابتسم لها:

- لا تخافي يا أبريال، أنه مجرد عصير ودواء مسكن للألم الرأس.

صوته كان به بحة جعلتها لا تتردد في بلع الحبتان وبعدهما نصف كأس العصير، فاعتدل في مجلسه ونظراته القوية لا تفارقان حدقتيها.

- اسمي عاتق، وأنا ساحرٌ من زمنٍ قديم. علمتُ بشأنكِ وأنا أحضَّر بعض التعاويذ الخاصة بهذه الأرواح التي تطاردك، وبالطبع ما دُمت استطعت الوصول إليكِ، فالأمر بالنسبة لآبيغور أبسط بكثير.

ضيقت عينيها بغير فِهم وهي تتأمل حدقتيه اللامعتين بدهشة، وعقلها حتى الآن لم يعمل بعد.

شعر عاتق أنه هناكَ شيء غريبٌ بها، من هي مِثلها بهذا الوضع ستكون مذعورة لدرجة الهلاك ممَّا رأته، ولكن هذه الفتاة إما لا تعلم حقًّا ما أصابها، ولا عواقبه، أو أن هناك خللٌ في عقلها.

فرقع اصبعيه أمام وجهها:

- هييه.. أبريال، هل تسمعينني؟!

تنحنحت بحرجٍ وهي تقول لهُ:

- هل ستغضب لو أخبرتكَ أنني لم أسمع بعد اسمك شيء.

رفع حاجبه بغرابة وهو يتسأل:

- لماذا؟!

لم تجبه، فصكَ أسنانه بغيظ، ليُعيد ما قاله بصوت مرتفع:

- لماذا يا أبريال لم تسمعي ما قلته؟!

اهتز جسدها من صوته المرتفع أمام وجهها، لتحمر وجنتيها، وتجيبه بعينان ناعستان:

- أنا لا استيقظ من نومي حقًا، واتفاعل مع العالم الحقيقي، إلَّا بعد ساعتين على الأقل من نهوضي، وبعد تناولي فنجان القهوة.

ردد بذهولٍ:

- ساعتين!

تثاءبت، ووضعت كفها على فمها بعبوسٍ. فقضم شفته السفلى، وهو ينهض من مكانه بخطوات رتيبة خارج الغرفة، قائلًا لها:

- تستطيعين العودة إلى الفراش يا أبريال.

نظرت نحوه بطرف عينيها لتتأكد من خروجه، ثم نهضت لتعود للفراش، وهي لا تستطيع التحكم في فمها الذي يتسعُ بتثاؤب في كل لحظة تمر، اسندت ظهرها للخلف فغفت على

الفور مغمضة العينين لتضع عقلها في حالة من السبات، حتى عاد عاتق بعد مرور ساعة ونصف، ليجدها على هذه الحالة وكأنها مجرد آلة تشحن بطاريتها، اقترب منها ليضع كوبًا كبيرًا من القهوة بجوارها، ثم عادَ إلى مجلسه كما كان ينظر لها.

تخللت رائحة القهوة أنفها عنوة، ففتحت عينيها على الفور وهي تبحث عن مصدر الرائحة حتى وجدته، لم تُمهل نفسها ولو بضع ثوانٍ لتلتقط الكوب بنهَمٍ كبير، لتستنشقهُ أولًا بعشقٍ، قبل أن ترتشفهُ ببطء وتلذذ غريب جعل عاتق يضيق عينيه وهو لا يفهم ما الذي تفعلهُ هذه المختلة، ظل يتأملها بتعجبٍ إلى أن انتهت، وفجأة انتفضت من الفراش كمن لدغها عقربٌ سامٌ، لتقترب منه بخطوات واسعة وصوتها المرتفع يضجُّ الغرفة وهي تقول له:

- من أنت؟! وكيف طرت بي على هذه المسافة؟! ومن أين جئت بهذه الأجنحة الغريبة؟!

كاد أن يفقد عقله من هذه الفتاة، ولكنه تمالك نفسه وهو يضغط على اسنانه قائلًا من بينهما:

- اجلسي يا أبريال، لأعيد عليكِ ما قُلته منذ ساعتين.

ضيقت عينيها بتحدٍ واضح وهي تزعق به:

- لن أجلس.. هيا أخبرني بما يحدث يا..

توقفت وهي تحاول أن تتذكر أسمه الذي لم تسمع سواه، ولكنه لم تصل إليه، فآثرت الصمت، لينتفض هو واقفًا، فعادت بجسدها للخلف خطوة واحدة بريب،ة ولكنها حاولت اخفاء هذه الحركة العفوية على الفور لتفرد جسدها بقوة وهي تتأمل يده التي أمسكت بذراعها. حاولت الفكاك منه، ولكنه كان أقوى من أن تستطيع حتى زحزحة ذراعها من قبضته، ليحدّق في عينيها بجرأة أجفلتها، قبل أن يُلقي على مسامعها كلماته، أو بالأحرى أوامرهُ:

- اسمي عاتق، اجلسي الآن كي نستطيع التحدث مثل الأشخاص الذين يحملون عقلًا داخل رؤوسهم ولم ينزعوه ويضعوه في مكانٍ آخر، أرجوكِ يا أبريال لا تفقديني اتزاني، فأنا لم أفقده منذ سنوات طويلة.

جلست دون أن تفتح فمها مرة أخرى، لتستمع ما يقوله بتركيزٍ تام:

- آبيغور هو أحد أمراء الجحيم السبع ويُقال أنه قائدهم، يُعرف بأنه الشيطان الأعلى والمسؤول عن الحروب والمعارك، يفوز من يبيع لهُ نفسه، الأرواح الست الذين استقروا داخل جسدكِ هم أتباعه مُنذ عقود، كانوا امراء وملوك استحوذ عليهم آبيغور مقابل النصر وتوسعة ممالكهم، حتى وجدوا أنفسهم عبيدًا له

ولأوامره. لم يستطيعوا إكمال مهامهم التي كلفهم بها ومن يفعل ذلك فالموت هو الخلاص الوحيد له، ولكن آبيغور ليس رحيمًا هكذا ليترك الموت يأخذهم منه بهذه البساطة، اجتمع الست وبطريقة اتبعوها في السحر القديم قاموا بقتل انفسهم وحفظ أرواحهم في مكانٍ بعيد إلى أن يجدوا حلًا للتحايل على عقود آبيغور، ولكن من شروط هذه الطقوس أن يكونوا سبعة أرواح، لذا أخذ أحدهم وزيره معهم لإكمال العدد فقط، ولكنه كان رجلٌ ضعيفٍ لم يتحمل الطقوس الشديدة، فمات قبل أن ينتقل معهم لذلك ظلت هذه الأرواح الست في «عالم الخواء»، لم يستطيعوا العودة ولا الموت، وبالطبع هذا العالم، الواضح من اسمه، لم يساعدهم على إيجاد أيّ حلٍ لهم.

وعلى الجانب الآخر، وفي بلدٍ بعيد، كانت ذات تلك القصة تخرج من فم كوبا بينما آنا تستمع لها بكل حواسها في نفس اللحظة التي يرددها عاتق على مسامع أبريال.

لتفتح كوبا أحد الكُتب، تريها رسمًا تقريبيًا لمكان الخواء، ثم حركت سبابتها نحو فتاة ذات شعر أسودٍ طويل، وترتدي فستانًا واسعًا أبيض اللون، لديها بعض من النمش الطفيف على بشرتها، وعيناها الزمردية تلمع بطريقة أجفلتها، فسألت أمها بقلقٍ وترقب واضح:

- من هذه الفتاة؟!

أخذت كوبا نفسًا عميقًا وهي تجاهد نفسها، قبل أن تقول لها:

- في فترة بعيدة، من فترات انتقالنا من بلدٍ لآخر، هاجمنا مجموعة من الرجال وكان على رأسهم أحد السحرة المعروفين بالشر وكان يُسمى (ببا أو بيب)؛ لا أتذكر جيدًا. حينها قرر والدك أن تنتقل العائلة بأكملها إلى بلد بينما ينفصل هو عنَّا ويذهب إلى بلدٍ آخر. كان خائفًا عليكِ بشدة بطشهم، وقتها لم تكوني قد تجاوزتِ الثمانية أشهر من عمرك فأخذنا عمك مع ابناءه وانتقلنا إلى فرنسا، بينما هرب أبيكِ إلى مِصر، حيث كان هناك أحد المُقربين الذي اقترح عليه حمايته، وذلك لأنه كان يعرف أحد السحرة الصالحين، افترقنا حينها لخمس سنواتٍ، حتى عاد إلينا والدكِ عند انتقالنا لإنجلترا وتقابلنا جميعًا هناك، ومن وقتها لم يفارقنا مرة أخرى، ولكنه كان شارد الذهن بطريقة جعلتني أشك بأمره، فظل هكذا لأشهر قبل أن يعترف لي بما حدث أثناء ابتعاده عنا.

ترقرقت عين كوبا بدموعٍ حبيسة حاولت اخفائها عن ابنتها، ولكنها لم تستطع إلَّا أن تُعلق دمعتها حتى لا تسقط ويظهر الألم الذي جاهدت لاخفاؤه لأعوام. شعرت آنا بما تعانيه أمها، فربتت على كفها برقة، تشجعها أن تكمل، فاستطردت:

- بعد تضييق شديد مني عليه قرر الاعتراف بما اقترفه في حقي حتى يسقُط الذنبَ الذي يحمله عن كاهلهُ، أخبرني

والدك أنه عاش في شقةٍ صغيرة في منزل صديقه الذي بدوره قد عرَّفه على الساحر الذي أخبرتك عنه منذ قليل، كان هذا الساحر ملاذه للهروب من «ببا» الذي ذهب خلفه لمِصر، وبالفعل قام هذا الساحر المصري بحمايته واخفائه، ولكنه لم يستطيع حمايته من ابنته الصغرى التي أعُجبت بوالدك، وظلت تحوم حولهُ، حتى ضعُفَ أمامها وتزوجها وأنجب منها هذه الفتاة.

توقفت كوبا عن الحديث وأنفاسها تتسارع لمعاودة هذه الذكرى القاتلة لمشاعرها، بينما جحظت آنا عينيها وهي لا تُصدق ما فعلهُ أبيها، ولكنها تداركت الأمر في الحال وهي تتسائل:

- هل يعني هذا أن هذه الفتاة هي أختي؟!

أجّلتْ كوبا صوتها المتحشرج وهي تقول لها:

- نعم أنها أختك من أبيكِ.

هزت آنا كتفيها بتعجب:

- وما هو دورها في هذه القصة؟! ولما تقف في هذا المكان الذي يسمى الخواء؟!

هدأت أنفاس كوبا المضطربة، وهي تُقنع نفسها أن زوجها توفى ومن بعده زوجته الثانية وأنه قد مرت سنواتٌ عديدةٌ على هذه الحادثة التي كان عليها أن تتجاوزها بعدما انفصلت عن زوجها تمامًا حتى وافته المنية، ولكنها كلما عادت، هاجمها هذا الشعور المقيت بالخيانة، شعور يحمل غصة تقف في منتصف حلقها وهي تتخيل نفسها في خضم معاركها للحفاظ على عائلتها وحمايتهم كان هو يلهو مع أخرى، هزت رأسها بعنف لتُسقط كل هذه المشاهد المؤلمة من رأسها وتتابع حديثها مع ابنتها:

- لقد أخبرني والدكِ أن جدها الساحر كان يعمل على بضعة تعاويذ يحاول بها استدعاء أحد هؤلاء الملوك العالقين، وكان غرضه أن يساعدهم على تحرير بلدهم من العدو المُحتل. وفي أحد مجالسه السرية لتجربة طقسٍ ما، كانت أختك ذات العامين تلعب قريبًا من غرفته التي يحذر على الجميع الاقتراب منها، ولكنها تسللت بجسدها الصغير ودلفت للداخل، ولم يعلم أحد ما الذي حدث معهما في تلك الغرفة، لأن الجد توفى في الساعات القليلة التالية للحادثة، وبعدها وأنا اطالع تلك الكتب من قريب وجدت هذا الكتاب الغريب الذي لم يكن ضمن مجُلدات أجدادك منذ أن تعهدنا على حمايتهم.

أتمَّت حديثها وهي تشير إلى المكتبة الخشبية:

- كان مرميًا بإهمال في هذا الرف الأخير، تعجبت لوجوده وفتحته لكي أعرف ما يحتويه، فوجدت القصة التي قصصتها عليكِ عن آبيغور وأرواحه السبع ولم أربطها بأختكِ إلا حين قصصتِ عليَّ ما رأيته في حلمك، حينها فقط ربطت الأمور ببعضها البعض وعلمتُ أنه قد حان وقت اختبارها.

وفي شقة عاتق التي تقع في الدور الثلاثون في ناطحة السحاب، كانت أبريال تجلس فاغرة فاها بينما يُعيد عليها عاتق جُملته الأخيرة:

- هااي .. يا أبريال، هل تذكرتِ شيئًا ممًا حدث معكِ في تلك الغرفة مع جدكِ؟!

هزت رأسها نافية، وعينيها مثبتةٌ نحو اللوح الزجاجي الذي يعكس ضوء الشمس التي تتوسط السماء في هذا التوقيت، فيملأ الغرفة بضوء تلألأ في عينيها الزمردية التي تُشبه عين والدها، ليُخرجها عاتق من سكونها قائلًا:

- لا تقلقي، سنجد حلًّا وسأعرف ما الذي حدث معكِ، ولمَ أختارك الملوك الست لتكوني السابعة لهم.

افاقت من شرودها وهي تستقيم في وقفتها قائلة:

- أريد العودة إلى منزلي كي أذهب لعملي الأن.

تدلى فكه للأسفل، والكلمات تهرب من لسانه من شدة تعجبه لما قالته بكل هذه البساطة، لينجح في السيطرة على أعصابه أخيرًا وهو يقول لها بنفاذ صبر:

- اعتقد أنكِ كنتِ مستيقظة طوال الساعة الماضية التي قصصتُ عليكِ فيها ما يحدث معكِ، أليس كذلك؟!

ضيقت عينيها بغضبٍ ظاهر وهي ترفع زاوية فمها بضيقٍ:

- ما الذي تعنيه بسؤالك الساذج هذا؟! هل تشير بقولك أنني لم أفهم ما قلته؟! لا يا أيها الساحر العظيم، لقد سمعتُ وفهمتُ ما قُلته جيدًا ولكني لا أكترث لهذه القصص التراثية التي تتبادلها الثقافات والحضارات والعجائز من زمانٍ لزمن، أنا مسلمة وعابدة لله ولن يضرني شيئًا مما قُلته، فأرجو أن تستجيب لطلبي وتعيدني إلى منزلي حتى أمارس حياتي الطبيعية بعيدًا عن هذا الهِراء.

وقف أمامها وشعورٌ بضيقٌ شديد في التنفس يداهمهُ وهو يضغط على حروفه:

- هل تعلمين إنكِ إذا وصلتِ لشقتك حيَّة، فلن تستطيعي الصمود لساعة واحدة بعد دخولكِ بها!

وضعت كلتا كفيها على خصرها وهي تقول له:

- وهل هذا الآبيغور واعوانه لن يستطيعوا الوصول لشقتك أنت؟ هل يخافون الارتفاعات؟

اقترب منها بهدوء وجفن عينيه يرتعشُ بغرابة جعلتها تعود للخلف كلما تقدم منها حتى أمسك بمرفقها لتتوقف، فأحنى رأسه كي تُصبح حدقتيه أمام عينيها مباشرة ليخرج صوته الهادئ هدوء الموتى:

- لن يستطيع أي شيطانٍ معرفة مكان هذه الشقة لأنني أحميها جيدًا، لو أردتِ استخدام حظك في الخروج من هنا فأفعلي ذلك في الحال؛ ولكن أقسم لكِ يا أبريال لو جفَّ حلقُكِ في مناداتي لإنقاذك كما ساقكِ رأسكِ اليابس في المرة الماضية فلن أتزحزح من مكاني إلا عندما تكونين جُثة هامدة، وذلك كي أقوم بدفن جسدكِ البالي الذي لا قيمة له إلى جوار جدكِ وأمك.

ترك مرفقها وأسرع خارج الغرفة، وهو يُغلق بابها خلفه بقوة جعلت جسدها يرتجُ بينما صدرها يعلو ويهبط باضطراب واضح، جلست على المقعد خلفها تُفكر سريعًا في حديثهُ الذي تظنه صادقٌ بشكلٍ كبير.

قامت من مجلسها تتبعه للخارج فلم تجدهُ أمامها، فخرجت على استحياء من الغرفة تتأمل هذا البهو الكبير الذي يتزين

بأثاثٍ مُبهر كما القصور، لتنادي عليه بخفوتٍ وهي تنظر حولها، لتجد صوته يصدع من مكانٍ ما:

- تعالي إلى هنا.

تتبعت مصدر الصوت فوجدته أمامها، يقف خلف رخامة كبيرة، يُمسك بسكينٍ حاد يُقطع به بعض الخضروات المختلفة على قطاعة خشبيه، فتقدمت نحوه وهي تسأله:

- ماذا تفعل؟!

لم يرفع رأسه ليجيبها وصوت احتكاك السكين في القطَّاعة يثير فضولها:

- أحضر لكِ بعض الطعام كما ترين.

ثم رفع رأسه ليُردف:

- فلا يجوز أن تعودي لشقتك دون طعامُ منذ البارحة.

احمرت وجنتيها هي لا تصدق ما ستقوله للتو:

- بما أنني لم أتخذ في حياتي أي قرار متهور حتى هذه اللحظة، فسوف تكون هذه المرة الأولى، أنا سأظل معك

للأسف الشديد حتى نستطيع حل هذه الكارثة التي قذفني جدي بها.

- حسنًا.

كلمة واحدًة كانت كافية، قالها دون تأثُر أو حتى اندهاش..

ضيقت عينيها بتعجبٌ من هدوئه، ليشير إلى المقعد الطويل بمحاذاة الطاولة التي يقف خلفها:

- اجلسي ريثما انهي اعداد طعامكِ، وحتى هذا الوقت احكي لي كيف ماتت أمكِ، وهل أخبرتكِ شيئًا قبل موتها؟

* * *

استيقظت كوبا قُبيل العصر بدقائق، فلم تنم هي وابنتها إلا بعد طلوع الشمس ببضع ساعات. استندت بظهرها على الفراش وهي تتذكر قصة الزواج الذي قضَّ مضجعها لشهورٍ طويلة، ليذهب عقلها مع أبريال التي فقدت كُلًا من أبيها وأمها في وقت قصير، لقد فكرت كثيرًا في الذهاب إلى مِصر وتبني الفتاة كي تربيها مع ابنتها، ولكن تنقلاتهم الكثيرة جعلتها تخشى عليها من الانحراف، فهي بالكاد استطاعت أن تُسيطر على ابنتها، فكيف لها بابنة زوجها التي ما كانت لتسمح لها بأن توجهُها أو تتحكم بقراراتها؟

حاسبت نفسها لبعض الوقت لأنها تخلَّت عنها، ولكنها وثبت بخفة من فراشها وهي تنادي:

- هيا يا آنا استيقظي كي نأكل سويًا، فأنا جائعة جدًا.

دلفت لدورة المياه لتقف تحت الصنبور لدقائق قبل أن تخرج وهي تُعيد ندائها بينما ترجع لغرفتها كي تُصفف شعرها المبتل:

- آنا ألم تستيقظي بعد.

أنهت تصفيف شعرها وهي تزفر بضيقٍ، ثم اسرعت نحو غرفة آنا المقابلة لها:

- دعينا لا نضيع يومنا هذا، وتعالي نستغله معًا في صنع بعض الطعام ولنتنزه سويًا في الخارج.

توقفت مثل التمثال الحجري حين فتحت باب الغرفة فوجدت فراش ابنتها مُرتب!

دخلت الغرفة بقدمان ترتعشان، وهي تحاول أن تُكذب حدسها، وهي ترى ورقة مطوية أعلى الفراش، موضوعة في موضع واضح وضوح الشمس، فتحت الورقة بيدٍ تهتز من الخوف، ليثور داخلها شعورٌ بالغضب الشديد يخالطه شعورٌ بالخوف والوجل على ابنتها وهي تقرأ ما خطته بيدها:

«اعتذر منكِ يا أمي، وأرجو أن تسامحيني على اخلاف وعدي لكِ، سأصدقك القول ولن أكذب عليكِ وأخبركِ انني فكرتُ كثيرًا، لا يا أمي، أنا لم أفكر لحظة واحدة في اللحاق بأختي. حاولت ألا أغضب منكِ لعدم اخباري بوجودها وتركي هكذا، مثل الشجرة التي نمت في قلب صحراءٍ قاحلةٍ، ليس لي أختٌ ولا ونيس. لقد شاهدتِ بنات عمي وهما تعاملانني بأسوأ الطرق، وتقومان بنبذي كأنني مرضٌ عِضال تخشيان الاقتراب منه، ولم يكن لي سوى إيدين، والذي مهما حاولت أن اعتبره أخًا لي كان يحوَّل الأمر بطريقته لأكون حبيبتهُ، لقد لاحظتِ كل ذلك ولكنك ظللتِ تحفظين هذا السر حتى عني، ويعلمُ الله، لو أنني لم أرى هذه الرؤية، إذا كنتِ ستخبرينني به أم كنتُ سأموت دون أن اعرفه، لا تقلقي عليّ يا أمي فأنا استطيع حماية نفسي جيدًا، وحين أهبط إلى أرض مِصر سوف أتصل بكِ، لا تنسي دوائكِ. إلى اللقاء يا أمي.. ابنتكِ آنا.»

* * *

دقَّت الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وفي هذا الطقس البارد كان يرتدي بنطالاً من الجينز أسود اللون، يعلوه قميص مفتوحٌ لأعلى سرته بقليل، صدره يمتلئ بقلائد ذهبية اللون، ولا يوجد اصبع واحد من اصابعهُ العشر إلا وبه خاتم، وكل واحدٍ منهم يحمل رمزٌ مختلف.

كان يقف أمام البدروم (السرداب) الذي تحتله المطابخ وأماكن انتظار السيارات وحجرات الخدم والمغاسل الرخامية، ويتصل بقاعة المائدة عن طريق مصعد مصنوع من خشب الجوز.

نظر نحو المِصعد وهو يسترق السمع، فجاءته الأصوات الخافتة من الجانب الأيسر للقصر، عند برجٌ كبير، كان يدور على قاعدة متحركة دورة كاملة كل ساعة، ليتيح لمن يجلس به أن يشاهد ما حوله في جميع الاتجاهات، ويتألف هذا البرج من أربع طوابق يربطها سلم حلزوني تزدان جوانبه الخشبية بالرخام، وتوجد على درابزينه نقوشٌ من الصفائح البرونزية مزينة بتماثيل هندية دقيقة النحت.

دار حول القصر ليجد حديقة فناء بها زهور ونباتات، وأسفله نفق يصل بينه وبين «كنيسة البازيليك».

نزل النفق بهدوءٍ حتى وصل إلى الكنيسة، وهُناك استطاع ايجاد مفتاح موضوع داخل احدى الأحجار التي تُزين الباب الضخم، ثم عاد للبرج الخارجي، ليصعد السُلم الحلزوني حتى وصل إلى الطابق الثاني، وضع المفتاح في الباب، ليُصدر الباب الخشبي صوت أزيز عالٍ، ليجد في استقباله مجموعة من النساء والرجال الذين يرتدون نفس ملابسهُ وحليه التي تتميز بالرموز المختلفة، ليتقدم الكاهن الأكبر في ابتسامة شيطانية:

- جئتَ في موعدك بالضبط يا ولهان.

قطَّب الرجُل حاجبيه وقال:

- أنا أسمي جاد، وليس ولهان.

أشار لفتاتين من الخلف لتتقدما نحوه وهما شبه عرايا، لا ترتديان سوى أشياء بسيطة تُغطي سوأتهما، والوشوم المتعددة تكاد تجتاح جسديهما بالكامل، همست إحداهما بإغواء قام بتخدير حواسه واشعال رغبته في اللحظة ذاتها:

- اسمك هنا ولهان، وهو بالمناسبة اسمٌ شهيٌ جدًا..

أنهت جملتها وهي تجول عينيها على كل شبرٌ في جسده، لتنهي تفحصها الوقح بغمزة اتبعتها بضحكة رقيعة.

وقف الكاهن في منتصف الغرفة وهو يرفع كفه لكي يصمت الجميع، وحينها التفوا حوله مثل خلية نحل تدور في مجال ملكتها ولكنهم يدورون عكس عقارب الساعة، بينما يقف جاد لا يفهم ما يحدث الآن حوله، فسحبته أحدى الفتاتين ليقف في الصف أمامها ويفعل ما يفعله الجميع، رفع الكاهن صوته ليُجلجل في جدران الغرفة وهو يعد على اصابعهِ:

- اتبع الشيطان، فهو لن يأمرك إلَّا بما يؤكد ذاتك، ويجعل

وجودك وجودًا حيويًا.

- أطلق العنان لأهوائك وانغمس في اللذة.

- الشيطان يمثل الحكمة والحيوية غير المشوهة، التي لا خداع فيها للنفس، ولا أفكار زائفة سرابية الهدف.

- أفكار الشيطان محسوسة وملموسة ومشاهدة، لها مذاق، وتفعل في النفس والجسد فعل الترياق، والعمل بها فيه الشفاء لكل أمراض النفس والوقاية منها.

- لا ينبغي أن تتورط في الحب، فالحب ضعفٌ وتخاذل وتهافت، أزهق الحب في نفسك لتكون كاملًا.

- أظهر أنكَ لسه في حاجة لأحد، وأنَّ سعادتك من ذاتك ولا يعطيها لكَ أحد، وليس لأحد أن يمّن بها عليك، في الحب يكون التفريط في حقوقك فلا تحب، وانتزع حقوقك من الآخرين.

- مَنْ يضربك على خدك فاضربه بيديك على جسمه كله.

- لا تُحَّب جارك وأنما عامله كأحد الناس العاديين.

- لا تتزوج، لا تنجب، فتتخلص من أن تكون وسيلة

بيولوجية للحياة واستمراريتها، وكن لنفسك فقط.

● اقتل كلما رغبت في ذلك، امنع البقرة من إدرار اللبن، اجعل الآخرين غير قادرين على التكاثر، اقتل الأجنة في بطون أمهاتهم، اشربوا دم الصغار واصنعوا منه حساء، اخبزوا في الأفران لحومهم، واصنعوا من عظامهم أدوات تعذيب.

● لا تتزوج، ولا تنجب، وانغمس في اللذة.

أنهى وصاياه وسط همهمات الجميع من حوله، وهم يرددون خلفه بيقين تام وكامل حتى انتهوا معه، ليرفع الكاهن يده بجهاز التحكم عن بُعد، ضاغطًا زر التشغيل لترتج الغرفة بموسيقى (الميتال) الخاصة بهم، والمصحوبة بكلمات تُعظم الشيطان الأكبر، ليسود الهرجُ والمرجُ من بعدها، وينزع الجميع ملابسه في مشهدٍ عبثي به من الفجور والمجون ما يتخطى الدهور، ليَغرق الجميع في شهوةٍ مقيتةٍ تقيدهم بسلاسل من الجحيم، لتسحبهم نحو القاع دون أن يدركوا أنهم مجرد أدوات قد أصبحت في جوف السعير.

* * *

اليوم الثالث

٣ - آذار

«هل يريد أحدكم صورة مع الفقمة، هل يريد أحدًا صورة تجمعهُ بالفقمة؟»

التقطت أذنيها هذه الكلمات المتتالية، من شاب في أواخر العشرينات من عمره، بينما يؤشر لها الرجل بجوارها عن مكان المُتحف الذي تريده.

تجاهلت سبابة الرجل، ثم ازاحت نظارتها الشمسية، ونظرت نحوه بتدقيق؛ شاب ذو جسد رياضي، يرتدي بنطال من الجينز الأزرق، يعلوه قميص أبيض بنصف أكمام، يُظهر عضلات ذراعيه القوية، بينما يضع عدة سلاسل فضية تتدلى من عُنقه تنتهي إحداهما برمز لم تتبينه من هذه المسافة، ولكنه أثار فضولها بشكل لم تفهمه.

حرك الشاب نحو غرفة خشبية أمام البحيرة لها باب ذو نافذة مفتوحة، يدخل خلالها كلب البحر لكي يأكل من يدهِ بضعة أسماك من الموضوعة أمامه، ثم يخرج ثانية، وخلفه الرجل الذي يبدو كأنه مدربه الخاص، ليُسقط الفقمة نفسه في الماء أمام عيون الأطفال الذين يقفزون مرحًا لرؤيته.

ضمَّت حاجبيها وهي تدققُ النظر في وجهه المليح لعدة ثوان، قبل أن يتطلع إليها بابتسامة جعلت قلبها يتسارع بشكل غير مُعتاد.

وضعت نظارتها على عينيها ثانية، ثم تحسست كاميراتها الفوتوغرافية، لتُكمل طريقها نحو المتحف الصغير للحيوانات المفترسة، الذي هو بجوار بيت الزواحف.

مضت في طريقها إلى أن وصلت إلى البوابة التي كُتب فوق لافتتها: (بيت الزواحف)، وقبل أن تدفع للسيدة الجالسة أمام آلة عدِّ النقود، سمعت رجلًا ينادي قائلًا:

- أرجو من الجميع الخروج عبر البوابة الرئيسية الآن، لقد حان وقت اغلاق الحديقة.

نظرت نحو ساعة يدها فوجدتها تخطت الخامسة، وهذا موعد إغلاق حديقة الحيوان، زفرت بضيق شديد وكادت أن تعود، ولكن السيدة قالت لها:

- هل تريدين الدخول يا جميلة؟!

ضيقت عينيها للحظة لم تستمر طويلًا، لتُقرر بعدها الدخول سريعًا، ودفعت لها بضع جنيهات جعلت السيدة تقول لها بابتسامة غريبة:

- هل تبتغين زيارة المتحف أيضًا؟

اكتفت بإيماءة، وتركت لها باقي المال ودخلت سريعًا، كي تلتقط عدة صور بكاميراتها قبل أن يُخرجها أحدهم.

لم يكن هناك أحد غيرها بالداخل، فاستغلت هذه الفرصة وبدأت في التقاط الصور المتعددة، للتماسيح تارة وللسلاحف متعددة الفصائل تارة أخرى، ثم مرت على بيت الحرباء، حتى وصلت إلى الكوبرا وبجوارها ثعبان الأناكوندا.

ابتلعت ريقها بصعوبة، ثم وقفت لبُرهة تلتقط انفاسها وهي تتذكر ما حدث في الماضي، لحظة حاولت أن تتخطاها منذ سنوات، ولكنها لم تستطع مهما جاهدت للنسيان. التقطت لهم بعض الصور العشوائية، وتجاهلت نظراتهم الغريبة إليها، لدرجة أن الكوبرا وقفت على ذيلها تتطلع نحوها من خلف الزجاج، وتكاد تُجزم أنها كشرت لها عن أنيابها بابتسامة غريبة.

ركضت للخارج فلم تجد السيدة التي دفعت لها، ولا أي شخص آخر!

ولكن زئير الأسد الجالس في عرينه جوار بيت الزواحف جعلها تخطو نحو العرين، لتلتقط له بضع صور حتى تجد أحدٌ

يدلها على مكان المتحف، وهو المكان الذي جاءت خصيصًا إلى هنا من أجله.

وقفت خلف السور الكبير، ورفعت كاميراتها لتصور الأسد الجالس يأكل تحت شجرته على مسافة كبيرة منها، يفصل بينهما سورٍ ضخم ومرتفع بحوالي خمسة طوابق وأكثر. شعرت بشيء يزحف خلفها وهي تضغط على زر الالتقاط، وفحيحٌ اعتادت سماعه يأتيها بوضوح، التفتت سريعًا، فوجدت الكوبرا تقف أمامها مباشرة دون أن تصدر حركة واحدة ولسانها المشقوق يخرج من فمها ويدخل بهدوء تام.

عادت للخلف حتى التصقت بالسور من خلفها، فشعرت بصوت زئير الأسد يصّمُ أذنيها. نظرت بطرف عينيها فوجدته يقف أعلاها، على حافة السور!

توقفت عقلها عن التفكير، حتى بدت التساؤلات عن كيفية خروج الكوبرا من الزجاج والبيت بأكمله، وكيفية خروج الأسد من عرينّه وصعوده من هذا الارتفاع المستحيل، غير مقنعة!

اتخذت الجدار الاسمنتي ظهرًا لها، ووقفت أمام الاثنان دون حراك فعلي، ولكن قدميها المرتعشتان، وقلبها المرتعب، جعلوها تهتز في وقفتها رغمًا عنها. حاولت اخراج صوتها منادية باسم يوناس؛ فخرج ضعيفًا جدًا، وغير مفهوم على الاطلاق.

ظلَّ الثلاثة هكذا للحظات؛ ينظرون لبعضهم البعض، وهي لا تفهم ما الذي يريدونه منها بالضبط، إلى أن قررت الكوبرا أن تُهاجمها بغتة، فأوقفها الأسد بمخلبه قبل أن تصل جسدها، فالتفت الكوبرا على رقبة الأسد الذي رمى بثقله فوق رأسها.

حاولت أن تتحرك وهم في خضم عراكهم، لكنها توقفت حين وجدت أحد الضباع ومن خلفه عائلته يقتربون منها!

وضعت كفها على فمها تكتم صرخاتها، وهي تلتفت حولها يمنة ويسرة بذعر شديد، فخلفها حائط اسمنتي، وعلى يسارها سور لو قررت تخطيه ستهوي لتتهشم إلى قطع صغيرة.

التفت الضباع حول الأسد والكوبرا، وبقى قائدهم يخطو نحوها ببطء، وهذه النظرة التي جعلتها تتعرق بشكل واضح، وقبل أن يصل إليها بخطوة واحدة حتى كاد أن يُغشي عليها، وجدت الشاب الذي قابلته منذ قليل يقف أمامها، خلف الضبع مباشرة.

نظرت لعينيه بتعجب واضح وهي تكذب نفسها، لتجده يقول لها:

- لا تخافي سأخرجكِ من هنا.

وقبل أن يُتّمم جملته التي لا تُشبه في لهجتها أهل هذا البلد،

هاجمه الضبع، ولكنه تغلب عليه في حركتين متتاليتين، ثم وصل إليها في لمح البصر وهو يغمز للأسد الذي ما زال يتعارك مع الضباع بعدما انسحبت الكوبرا فور رؤيته، ودون أن تنتبه، وجدت نفسها بين ذراعيه القويتين على أعلى نقطة في جبل لم تعرف من أين أتى!

التقطت انفاسها بصعوبة وهي تسأله بدهشة:

- من أنت؟! وكيف عرفت لغتي؟!

رفع زاوية فمه بنفس الابتسامة، وأغمض عينيه ثم فتحهما مرة أخرى، لتشهق بشدة وهو يقول لها:

- أنا واثق أنكِ لم تنسيني لهذه الدرجة. .يا آنا.

* * *

زفرت بمللٍ وهي تقف قُرب النافذة تنظر نحو السماء من هذا المُرتفع الشاهق، والسُحب تمُر على مَقربةً منها لدرجة جعلتها تتأملها طويلًا حتى مرَّ هذا الوقت، لم تأخذ هاتفها من شقتها قبل أن تنجو بنفسِها من شبح «ليلى» الذي كاد أن يُنهي حياتها، ولا تجد في هذا المنزل الغريب ساعة واحدة تعرفُ بها التوقيت، لقد سُجنت داخل هذا الصرح الفخم، ولكنه يظل في النهاية سجنٌ مُضجرٌ وخانق لدرجة أن فكرة الانتحار قد راودتها

اليوم ولم يمُر سوى أربعة وعشرون ساعة فقط على مكوثها هنا، فماذا عليها أن تفعل في العشرة أيام القادمة!

لم يصل حديثها مع عاتق بالأمس إلى نقطة جيدة، فهي لم تتذكر شيئًا مما حدث داخل الغرفة مع جَدها، وحتى عند وفاة أمها كانت في سنٍ صغيرة، وحتى وإن أخبرتها شيئًا فذاكرتها لا تسعفها البتة.

انتفض جسدها حين سمعت طرقًا على باب الغرفة، ورغم أن عاتق قد طرقه بخفة إلا أنها بدأت تُصاب بالهلع من أقل حركةٍ بسيطةٍ بعدما حدث لها في هذا الكابوس وما تبعه. أذنت له بالدخول، فدلف ومعه ورقة كبيرة مطوية يُمسكها في يده اليسرى، وفي يده اليُمني يحمل كوبًا كبيرًا من القهوة، مدَّها إليها قائلًا:

- تفضلي.

نظرت للكوب بتعجب:

- ما هذا؟ أنا لا أشرب القهوة دون ..

وقبل أن تُكمل باغتتها:

- أعلم أنكِ تشربين هذه الكمية بالحليب فقط.

رفعت حاجبيها وهي تأخذ منه الكوب، ليستطرد وهو يميل برأسه نحوها:

- ودون سكر.

ابتسمت بخفة، وهمست بذهول مُصطنع:

- كيف عرفتَ هذا؟!

زمَّ شفتيه بنزقٍ:

- هذه مهنتي فأنا ساحر كما أخبرتكِ.

تلاشت ابتسامتها وهي تتفكر قائلة:

- هذا صحيح، لقد صنعت لي واحدة بالأمس حين استيقظت ولكنها كانت في فنجانٍ صغيرٌ ودون حليب ومُحلاة بشكل جعلني أشربها على مضض دون خيار آخر، لذا أخبرتك بعدما أعددت لي الفطور أنني اتناولها في كوب كبير، وبالحليب، ودون سكر.

ابتسم رغمًا عنه، وفرد الورقة الكبيرة التي في يده لتجدها خريطة، فسألته والدهشة تعتلي ملامحها:

- ما هذه؟!

وقبل أن يُجيب، أردفت بضيق:

- ألا يوجد هنا ساعة أعرف بها الوقت؟!

نظر عبر النافذة الزجاجية لهنيهة، قبل أن يُجيبها:

- الساعة الآن الخامسة والنصف، وأنا لا أحتاج إلى ساعة، فالسماء أمامي.

فتحت فمها باستغراب، بينما هو نظر نحو الخريطة الكبيرة وهو يفردها أعلى المنضدة التي تتوسط المِقعدين، ليشير إليها كي تقترب وهو يضع سبابته على جزءٍ من الخارطة:

- في هذه الجزيرة يتركز أعوان آبيغور.

ثم حرك سبابته لمكان آخر، وأضاف:

- وهنا كانت مملكة الملك الآشوري «آداسي»، وعلى ضفاف هذا البحر توجد أسوار مملكته، ويُقال أنه قد دوَّن عليها رسالة، تركها لمن يستطيع فك شفرتها، وحينها سوف يجدهُ هو وباقي الملوك.

رفع رأسه ينظر لوجه أبريال التي ما زلت مشدوهة، ليسألها بغرابة:

- ما بكِ؟!

نطقت بصوت منخفض، ولكنه مضطرب بشكلٍ ما:

- كيف عرفت الساعة بهذه الدقة في لحظة واحدة استغرقتها في النظر للسماء؟!

ستفقده هذه الفتاة الوعي في لحظة واحدة، مؤكد هناك عُطلٌ في عقلها لدرجة أن لا يعمل بشكلٍ سوي. أخذ نفسًا عميقًا وهو يقول لها:

- هل سمعت شيئًا آخر بعدما أخبرتك بالساعة؟!

ضيقت عينيها ومطط شفتيها السفلى وهي تجيبه:

- هل كنت تريد مني مشاركتك في الحديث الذي رددته بعدها؟

كوَّر قبضته، لتظهر العروق الزرقاء بوضوح على ظهر كفه الذي يعتصره من الغضب، مع ذلك ظلَّ جسدهُ ثابت ووجهه جامد دون تعابيرٍ واضحة، ممَّا جعل أبريال ترشف القهوة، وهي

تنظر لهُ من خلف الكوب، قبل أن تقول بحرج:

- أعتذر منك، تستطيع إعادة ما حدثتني به مرة أخرى.

صكَّ أسنانه، وتغيرت ملامحه الهادئة لأخرى مُمتعضة وهو يقول لها:

- أرى بأنكِ تظنين نفسكِ في نُزهة، لدرجة أنكِ لا تعين وجود ستة أرواح داخل جسدك يريدون أخذك معهم بعد أيامٍ، وهناك أحد الأبالسة، وهو أمير من امراء الجحيم السبع، يبحث عنكِ في كل شبر في الكرة الأرضية ليأخذ روحك مع الستة أرواح التي تحملينها بطريقة ستجعلك تتمنين الموت ذاته، ولن تجديه كي يُنقذكِ منه.

تعالت أنفاسها بتوتر واضح وهي تضع الكوب فوق بقوة المنضدة، قبل أن تقف منتصبة بجسدٍ مهزوز:

- أنا لا أظن بأنني في نزهة، بل أعي جيدًا وجودي في هذا السجن الحديث لدرجة جعلتني أفكر في أن أرمي بجسدي من النافذة كي أتخلص من الكابوس الذي لا يفارقني لا نومًا ولا يقظة.

أنهت جُملتها وذراعها مازالت مرفوعة تشير بها نحو الشُرفة، ثم أرختها وأخذت نفسًا عميقًا، تحاول به السيطرة على دموعها

وهي تُكمل:

- أنا حقًا لا أفهم معظم حديثك ولا أنتبه لأي حديث ما دام عقلي يعمل في اتجاه آخر، هذه طبيعتي التي خُلقت بها، فإذا كنت تظن أنك ستجد امرأة محاربة تستيقظ في الصباح لتشاركك هذه الخرافات وتبحث معك عبر التاريخ من خلال تلك الخرائط، عن حل لُغز، أو عن إيجاد طريقة تتخلص بها من أرواحٍ شريرة انتقلت من قرونٍ عَبر السحر والتعاويذ، ليقذف بها حظها العَثر في طريقهم، وتجد نفسها في بيت رجلٌ غريب يملكُ جناحين، يطلب منها كل يوم أن تنتبه لما يقوله من طلاسم؛ فأنا أعتذر منك، لستُ هذه الفتاة! أنا أبسط وأقل من طموحاتك بكثير.

رقَّ قلبهُ لحديثها، من الواضح بالفعل أنها فتاة بسيطة لا تفهم ولا تعي كل هذه التعقيدات التي وقعت على رأسها في يوم وليلة، ومطالب منها أن تواكب عقله وأفكاره دون أن تضييع في غياهب هذه الظُلمات التي فُرضت عليها، في النهاية فبعض بني آدم لهم عقولٌ محدودة الفِكر والطاقة، ويجب أن يتعامل معها بهدوءٍ أكثر من ذلك.

ظلَّ صدرها يعلو ويهبط بتوتر وغضبٍ يخالطه الحزن على حالها، وعلى شعورها المقيت بالحيرة والتخبط والتوهان، وما آلت إليه أمورها منذ أن وطأت قدمها هذا المنزل.

اقترب خطوة واحدة منها مُحافظًا على مسافة بضع خطوات بينهم ليهز كتفه بهدوء:

- أعتذر منكِ فقد كُنت قاسيًا معكِ لدرجة أزعجتني حقًا، فأرجو أن ..

وقبل أن يتُمّ جملته، سمعا جرس الباب الخارجي يرن بشكلٍ متكرر، اختض جسدها، فرفع كفيه مطمئنًا:

- لا تقلقي يا أبريال، من الممكن أن يكون الحارس الخاص بالمبنى.

تركها وخرج مُسرعًا ليرى من الطارق، ليجد بأنها «بولاريس»، نظر خلفه ليتأكد أن أبريال لم تتبعه للخارج، وعاد لبولاريس، يحدقُ بها بسخطٍ:

- ما الذي جاء بكِ إلى هُنا؟!

دفعته بكفيها الذي وضعتها أعلى صدره، كي تتخطاه وتدلف للداخل وهي تقول له:

- جئت لأوقظكَ من أحلامك يا عاتق، هل جُننت أنت؟! كيف لكَ أن تظُن أنك تستطيع إنقاذها من آبيغور!

احمرَّت عيناه بغضبٍ وهو يشير لها نحو الباب:

- هيا من هنا يا بولاريس، فأنا لم أطلب نصائحكِ.

لكزته في كتفه بقوة جعلته يرتد للخلف وهي تصيح به:

- افقً يا عاتق هذه ليست مُهمتك، هيا معي فهناك كوارث تنتظرُنا بعيدًا عن هذه الفتاة التي نعرف جميعًا مصيرها.

وقبل أن يفقد عاتق اعصابه على بولاريس وجد أبريال تناديه من خلفه:

- هل هناك مشكلة يا عاتق؟!

التفت نحوها قائلًا بحزمٍ واضح:

- عودي لغرفتك يا أبريال، سأنتهي من محادثتي هذه واتبعك.

لم تتحرك أبريال وهي تدقق النظر في الفتاة الواقفة أمام عاتق، ترتدي بنطال جلدي أسود يعلوه سُترة جلدية أيضًا بنفس اللون، بينما يتميز شعرها القصير الذي يقف عند أعلى رقبتها باللون الأبيض الباهت، فهي لم ترى امرأة تملُك هذا اللون الغريب، تلاقت عينيها بعينان بولاريس التي تميزت باللون

الأسود اللامع مثلها مثل عاتق، لكن لون بشرتها الفاتحة يختلف عنه، وفي خضم تأملها الواضح بالفتاة لم تشعر بعاتق الذي أمسك كفها بقوة، وسحبها نحو الغرفة وهو يأمرها بلهجة شديدة:

- لا تبرحي غرفتك حتى أتي إليكِ، أو آذن لكِ بالخروج.

ثم اغلق الباب خلفه، وتركها تُفكر بعمق: من تكون هذه الفتاة الغريبة؟! هل هي زوجته لهذا وجهها غاضب من رؤيتها؟! أم أنها حبيبته وقد غارت لذلك نظرت لها بكُرهٍ وحقدٍ هكذا؟!

لم تصل إلى جواب واضح فاستلقت على فراشها لبعض الوقت قبل أن تُغلق عينيها وتستسلم للنوم العميق.

* * *

فرقع بإصبعهُ ليتحول إلى جسده القديم الذي أحبته فيه، فدفعته بكلتا كفيها وهي تعود للخلف، وبصوتٍ حاد ومرتفع اخبرته:

- ابتعد عني يا عدار.

لمعت عيناه بحزنٍ واضح وهو يردد:

- لم أكن أنتظر ردة الفعل هذه.

قطبت حاجبيها، ولم تتغير نبرتها الغاضبة:

- هل كنت تتوقع بعدما فعلتهُ بي أن ارتمي في أحضانك، وأردد عبارات عاطفية ليس لها معنى عن شوقي لكَ؟

رفعت يدها تزيح خصلات شعرها الثائرة من على وجهها، لتُردف دون أن تترك لهُ فرصة للحديث:

- ابتعد عني يا عدار، فلا يوجد لدينا طريقٌ واحد نسلكه سويًا، عُد لعالمك واتركني في عالمي، والآن من فضلك، ارجعني من حيث أتيت بي.

ظلَّ يتأمل عينيها الزمردية التي تلمع في ضوء الشمس البرتقالي الذي قارب على الاختفاء، وكأنه لم يسمع حرفًا ممَّا نطقته، ليُفاجئها بقوله:

- لقد اشتقتُ إليكِ كثيرًا، وكدتُ أن أجَّن لعدم مقدرتي على رؤيتك طوال الفترة السابقة.

ابتلعت ريقها بصعوبة، واضطربت أنفاسها بشكلٍ واضح، لتحاول أن تستعيد ثباتها أمامه وهي تقول:

- أشعر بالدهشة لمعرفتك بكوني حيةً، رغم أنك تركتني وبيني وبين الموت خطوة واحدة، وأنت الذي دفعتي لكي أخطوها.

تحولت ملامحهُ للحزن، ولانت نبرته:

- لقد أخرجتكِ من الدير بعدما تقاتلت مع شقيقاي وكُدت أن أنهي حياة أحدهما، وتركتهما، وسلمتك ليوناس بيدي يا آنا، من أخبرك كذبًا هذا الحديث؟

اقتربت منه وهي تردد:

- امم كَذبًا! وهل هناك من يعرف الكَذبِ مثلك يا عدار؟

أنهت جملتها وهي تلكزه في كتفه بحنقٍ واضح، لتستطرد:

- هل تستطيع اخباري كيف خرجت من سَجنك؟ ولمَ تتبعني إلى هُنا؟ وكيف عرفت مكاني وانقذتني في الوقت المناسب من كوبرا تُشبه عالمك ومجموعة من الضِباع المتنكرين، ما هذه الصدفة الجميلة؟ هل تقدر على أن تُعرفني على الأسد الذي قام بسحق الكوبرا قبل أن تنفث سمها في جسدي؟

أمسك كفها برفقٍ وعيناه لا تفارقان عيناها:

- اهدأي يا حبيبتي، أرجوكِ، ودعيني أشرح لكِ الأمر.

سحبت كفها من قبضته، وعادت للخلف وهي تعقد ذراعيها أعلى صدرها قائلة:

- أنا لستُ حبيبتك. وحسنًا، أنا الآن هادئةٌ واستمع إليك.

وضع كلتا كفيه في جيب بنطاله ووقف بشموخٍ وهو يقول:

- اخبريني أولًا، ما الذي جاء بكِ إلى حديقة الحيوان تلك؟

ضيقت عينيها، ثم اطلقت ضحكة مستهزئة وهي تقول بسخرية واضحة:

- الآن علمت لمَ تمَّ اطلاق سراحك، يا شيطاني الغالي.

لم تدع له فرصة أخرى للتحدث والتفتت تبحث عن مكانٍ تستطيع النزول منه من هذا الجبل المرتفع للغاية، حتى وجدت مَمر به الكثير من الصخور، وقبل أن تخطو أول خطوة، لف عدار ذراعه حول خصرها ليمنعها من النزول:

- ماذا تفعلين؟ هل جننتِ؟! ستسقطين من هذا المرتفع، لقد حلَّ الظلام ولن تري مكان سيرك، اهدأي وأنا سأنقلك للفندق الذي تقطنين به.

التفتت لتردعه عنها، وهي تزيل ذراعه بقوة من حول خصرها صارخة:

- لا تجرؤ على لمسي مرة أخرى، لقد عرفت لما جئت بي إلى هُنا، كي استمع لهُرائك رغمًا عني.

رفع كفيه باستسلام:

- اعتذر منكِ لن أكررها، هل بإمكانك سماعي الآن؟ أقسم لكِ أن ما سأخبرك به ليس بهراء ولا كذب.

آثرت الصمت، فأكمل:

- يجب عليكِ أن تعودي إلى بلدكِ يا آنا، فمجيئك إلى هُنا قرار متهور كعادتك، ما يحدث هُنا ليست لُعبة كما حدث من قبل، الأمر هنا أعظم بكثير ممًا تتخيلين، لقد أنقذتكِ اليوم ولكني لن أستطيع غدًا.

زفرت بضيقٍ، ثم سألته:

- هل أنهيت حديثك؟؟

اقترب منها، فعادت للخلف وهي تحذره:

- إياك أن تقترب، أنا لم أطلب منكِ انقاذي ولو اعتقدت أنني كنت سألقي حتفي من دونك؛ فأنت واهم.

توقف مكانه وهو يُحدثها بحنقٍ ظهرت أثاره على عينيه التي تحولت للون الأحمر:

- لو كنتِ تعتقدين أنني لو لم أتي لكان يوناس سينقذكِ فأنتِ واهمة، يوناس لن يُجيبك يا آنا لا في هذا الوقت، ولا في الأيام المُقبلة، وممكن أن يطول اختفائه لشهورٍ أو حتى بضعة سنين.

شعرت بالقلق رغمًا عنها، لتسأله بوجلٍ:

- ما به يوناس؟!

أجابها بامتعاضٍ:

- لا مجال للحديث عن يوناس الآن.

ثم لانت نبرة صوته الجهور، وهو يحاول إقناعها بالعدول عن المخاطرة بحياتها:

- أرجوكِ تخلي عن عِنادك قليلًا يا آنا، فأختك أمرها محتوم، لا تُلقي بنفسك في طريق آبيغور فهو ليس مثل أبي، هذا أميرٌ

من أمراء الجحيم، وهؤلاء لن يقوموا بقتلك بل سوف يفعلون بكِ ما لم تقدرين على استيعابهُ مهما حاولت شرحه.

رفعت حاجبها وهي تقول:

- تعرف بأمر أختي إذًا؟ مؤكد أن اطلاق سراحك لم يكن إلا على يد أمير من امراء الجحيم.

أوقفته قبل أن يتحدث، لتُردف:

- تحذيرك هذا لن يزيد إلا من اصراري على إيجادها وانقاذها من هذا الآبيغور، الذي وبالمناسبة لن يستطيع مسها ولا مسي، وكما فعلت سابقًا في الدير فتحذيرك ليَّ بهذه النبرة المرتعبة تؤكد لي أنني أسير على الطريق الصحيح، لذا لقد انتهى حديثنا إلى هنا وانقلني في الحال للفندق.

خلل خصلات شعره بأصابعه، وهو يحاول مرة أخرى أن يجعلها تتخذ قرارًا صائبًا:

- حسنًا يا آنا.. إن كنتِ لا تهتمين لأمرك فاهتمي لأمر أمكِ.

انتفض جسدها بارتياع وهي تقترب منه لتُمسك بياقة قميصه، تسأله بخوف واضح:

- ما بها أمي؟!

أزاح يدها من ياقة قميصهُ بتوددٍ، ليحاوطها بكفه مُجيبًا:

- لا تخافي هي بخير، ولكنها تبكي منذ رحيلك وتنزل للسرداب كل ساعة لتبحث عن أي ورقة تدلها على مكانك ثم تصعد للمنزل، تلف به بتيهٍ واضح، لتعود مرة أخرى للقبو حتى تتعب وتنام في مكانها.

رقَّ قلبها ودمعت عينيها، وهي تتخيل حيرة أمها وخوفها عليها، ليتملكها خوفٌ شديدٌ أن لا تأخذ أدويتها وحينها من الممكن أن تسوء حالتها.

نزعت كفها من بين يدهُ، لتفتح حقيبتها كي تُخرج منها هاتفها لتقوم بالاتصال بإيدين الذي أجابها على الفور، لتبدأ الحديث دون تحية:

- اعتني بأمي يا إيدين.. أرجوك، فأنا قد سافرت إلى بلدٍ آخر لعملٍ هام، وأنا قلقةٌ عليها للغاية. تذكر لها كل ما فعلته لأجلك وحبها الكبير لكَ، ولا تتركها حتى أعود فهي في أمانتكَ.

أنهت المحادثة دون أن تسمع منه كلمة، واغلقت هاتفها حتى لا يتصل بها، فهي تعرفه جيدًا وتعرف فضوله نحوها منذ أن

انفصلت عنه.

رفعت رأسها نحو عدار الذي لاحظت أن خديه يهتزان إثر اصطكاك أسنانه، فتجاهلت غضبه الواضح الذي تعلم أن سببه محادثة إيدين، لتطلب منه بحزمٍ:

- هذه المرة الأخيرة التي سأطلب منك فيها اعادتي، وبعدها سوف أقفز من هنا.

أنهت جملتها وهي تُشير للأسفل، فوجدته ثابتًا مكانه لا يتحرك، وهو يقول لها:

- هل ما زالتِ تحبينه؟!

أجابته بهدوءٍ:

- هذا الأمر لا يعينك.

لمس شفته العليا بلسانه وهو يسألها بجدية:

- كم يكلفُني إجابة هذا السؤال؟!

ضيقت عينيها وهي تتفكر، لتزم شفتيها وهي تُمرر رقبتها داخل حزام الحقيبة الطويل، لتثبتها على كتفها حتى لا تقع:

- امم، هذا عرضٌ مغري حقًا.

أكملت وهي تمد له يدها:

- انقلني إلى غرفتي، وهناك سوف نتفاوض على هذا الأمر.

ظلَّ واقفًا مكانه، لتتخذ قرارها المجنون وتُسرع نحو الحافة، تقذف بجسدها للهاوية تاركة الجبل خلفها مغمضة العينين، تراهن على أَجلها الذي لن يتركه عدار ينتهي في هذه اللحظة، أمسك بها قبل أن تسقط أرضًا محاوطًا إياها بذراعيه، لتجد نفسها على صدره بعدما كاد الرعب أن يقتلها، ظلت مغمضة العينين للحظاتٍ أخرى تستنشق فيها رائحتهُ التي عشقتها حين كانت في هذا الموضع سابقًا، لعنت قلبها الذي ما زال ينبض بحبه، وفتحت عينيها لتجد نفسها في غرفتها الخاصة بداخل الفندق، وهو يدفعها نحو الفراش قائلًا بسخط:

- لقد تجاوزتِ حد الجنون يا آنا.

نزعت حقيبتها ووضعتها على الفراش، قبل أن تنتصب واقفة وهي تُخفي ابتسامتها الفَرِحة لكونها أغضبته بهذا الشكل، لتقول له بهدوء حاولت اظهاره رغم أن نبضات قلبها المتسارعة لم تهدأ بعدما رأت الموت نُصب عينيها:

- لقد أخبرتك أنني سأفعلها إن لم تستجب لي، وأنا لم اعتاد

التهديد أو قولِ وعدٍ لن استطيع تنفيذه.

كوَّر قبضته بغيظٍ واضح وهي يقول لها من بين اسنانه:

- حسنًا لقد فعلتِ ما تريدينه وعدتِ لغرفتك، وأنا قد حذرتُك من خطورة الأمر واتممت مهمتي وجاء وقت الوداع.

وقبل أن يختفي أوقفته:

- ألا تريد اجابة على سؤالك؟

تطلع لعينيها ليجدها تقتربُ منه قائلة:

- هل تريد معرفة ما المُقابل؟!

باغتتها بأن سحبها نحوه من ذراعها لتلتصق بصدره، اختطف قُبلة عميقة استسلمت لها لثوانِ قبل أن تحاول إبعاده عنها بكل ما أوتيت من قوة، فتركها وعاد للخلف مبتسمًا، لتلتقط هي أنفاسها بصعوبة قبل أن تسبهُ وتلعنه بصوتها الرنان، ليختفي من أمامها على الفور، فجلست أعلى الفراش تحاول السيطرة على أعصابها التي فقدت بسببه، فارتجف جسدها وهي تسمع همساته خلف أذنها قبل أن يُغادر الغرفة:

- لقد عرفتُ الجواب يا آنا منذ أول لحظة رأتني عيناكِ بها،

لكن ورغم ذلك فأنا لا أخلف وعدي وأنتظر منك طلبًا مقابل هذه القُبلة.

شتمته بصوتٍ مكتومٍ من الغيظ وهي تردد:

- اللعنة عليك يا عدار.

وبخطواتٍ واسعة هرعت نحو الشرفة لتفتح زجاجها، كي تستنشق بعضًا من الهواء لتستعيد توازنها الذي اختل من قُبلته المفاجئة، ولتتأكد أيضًا من مغادرته. استمرت في الوقوف هكذا لنصف ساعة وعقلها لا يتوقف عن التفكير في كل ما حدث، شعرت بالقليل من الراحة، فأغلقت الشرفة وعادت إلى فراشها لتلتقط حقيبتها كي تفتحها.

أدخلت يدها متحسسة جيب سري في الداخل، لتخرج منه دائرة خشبية صغيرة الحجم بها سهمان صغيران موضوعان عكس بعضهما البعض مثل عقارب الساعة، وفي منتصفها مكان لدائرة أخرى مجوَّفة فارغة.

وضعت آنا يدها في جيب بنطالها وأخرجت حجرًا، أمسكته بين اصبعيها لتضعه في المكان الفارغ المُخصص له، وحين وضعتهُ اجتاح الضوء الأزرق سقف الغرفة بأكملها، لتتحرك الاسهم في اتجاهات عديدة مثل البوصلة، قبل أن تتوقف في اتجاه الشمال الشرقي، تنهدت آنا بعمق وهي تحمد الله أنها

استطاعت أن تلتقط الحجر من جُحر الثعابين في غفلة من الكوبرا التي تبعتها حين علمت باختفائه.

أعادت البوصلة للجيب السري داخل الحقيبة، وخلعت ثيابها متوجهة لدورة المياه لتأخذ حمامًا سريعًا تزيل به شوقها لعدار وامتنانها لرؤيته اليوم، وانقاذه لها حين رمت نفسها من فوق الجبل، لينتهي لقائهم بقُبلة كانت تحلُم بها منذ أن افترقا، تحركت من تحت الصنبور والتفت بمئزرها قبل أن تعود للفراش ترتمي عليه، ليداهمها النوم ويختطفها من خِضم عراكها مع قلبها الذي أسمتهُ بالخائن.

* * *

الفصل الرابع

٤ - آذار

كان صوت الفتاة الفاتن المُهلك لحواسه يأتيه بنبرة هادئة ومغوية عبر الهاتف:

- ابحث جيدًا يا ولهان.. أووه، أقصد يا جاد.

اعتدل في فراشه وهو ينظر لزوجته الراقدة بجواره عارية، ليُجيب التي عبر الهاتف بنزقٍ:

- أنا لا أعرف حقًا ما الذي أبحث عنه بالتحديد، هل تستطيعين المجيء والبحث معي؟

لم تتغير نبرتها الحانية الرقيقة وهي تقول له:

- لا أستطيع يا حبيبي، فالقواعد صارمة. يجب أن تجده أنت بمفردك وتأتي به في مكاننا قبل الموعد المُحدد.

وقبل أن يتحدث مرةً أخرى أردفت:

- يجب أن أذهب الآن فلدي عملٌ مهم، سأحدثك لاحقًا.

انهت جُملتها بقُبلة عاجلة جعلته ينهض من فراشه تاركًا هاتفه أعلى المنضدة، وهو يجُر مئزره من طرف السرير الخشبي، ليضعه على جسده العاري، سائرًا بضعة خطوات نحو النافذة، فاتحًا ستارتها ليُدخل ضوء الشمس داخل الغرفة المُظلمة التي تُماثل داخله الذي أصبح في فترة قصيرة أشد عتمة من سواد الليل الحالك.

وقف عارِ الصدر، يُمسك بطرف المئزر ليداري سوءته وهو يتأمل الشارع الذي كان يعُج بضجيج المارة وضحكات الأطفال ومرحهم وهم يمرِّرون الكرة بينهم، بينما يتذكر كلام الكاهن لهُ قُبيل الفجر قبل أن يغادر الجميع القاعة التي شهدت أمتع اللحظات بالنسبة لهُ، فقد قضى ساعات الليل الطويلة في شرب الخمر وممارسة الجنس الجماعي مع جميع الفتيات الجميلات اللاتي كُنَّ يرافقنه هو وباقي الشباب، حتى تمكن التعب والارهاق من أجسادهم الضعيفة ليسقطوا نائمين لما يقرب الساعة، قبل أن يتفرق هذا الجمع المَاجن على وعد باللقاء في ليلة أخرى.

كان حديث الكاهن غريبٌ بالنسبة إليه عندما أوقفه وطلب من الجميع الخروج من القاعة، ولكن عقله حاول ترجمته بشكلٍ منطقي، ليتردد خطابه في أذنه بصوته الهادي والابتسامة البشوشة تعتلي ثغرهُ:

- هناك عدة أنواع من العبيد بيننا: منتمون، وأمراء، وأميرٌ

للمجموعة، ثم أميرٌ لكهفٍ كامل، ثم شرٌ، والأعلى من الجميع وهو «الشر الأعظم».

ثم حدق الكاهن به لتتلألأ عينية بالأحمر القاتم وهو يستطرد:

- والأخير هو أنا الكاهن فوق الأرض، وعلى حسب رغبتكَ وقدرتكَ سوف تكون مكانتك، أنت الآن ما زلت مُجرد منتمي حديث بيننا، فهل لديك القُدرة على تصعيد مكانتك؟

أجابه دون تردد وهو ينظر لعينيه بإصرار:

- لا أريد سوى الشر الأعظم، فدُلني على طريقه.

تعالت ضحكات الكاهن وهو يضع يدهُ على كتفه الأيسر، ليقبض عليه ضاغطًا بقوة:

- رأيت هذا في عينيك قبل أن تأتي إلى هُنا، وعندما راقبتكُ بالأمس وأنت تُمارس عاداتك الشاذة مع الفتيات والفتيان على حد سواء بطريقة مختلفة ومميزة، لدرجة أنك لم تمس أحدًا منهم إلا وتركت على جسده علاماتٌ قوية سيتذكرها فور النظر لبدنه حين يعود، أيقنتُ حينها أنك ستصل حتمًا للشر الأعظم في وقتٍ قليل يا ولهان، لذا فعليك إتباع القواعد وصعود الدرج بثبات حتى تصل مرادك.

رفع ولهان كف الكاهن من على كَتفه ليفرد جسده الضخم بقوة قائلًا:

- هيا اخبرني بها جميعًا.

تحولت عين الكاهن من الأحمر القاتم للأسود الشديد وهو يسألهُ:

- علمتُ أنك متزوجُ حديثًا.

أومأ جاد برأسه، فأكمل الكاهن:

- لا يوجد في قواعدنا زواجُ ولا ارتباط ولا حُب فهذا ضد وصايا آبانا الأكبر، لذا فأول الخطوات هي التخلُص منها دون أثر.

ردد جاد بنبرة قوية:

- اعتبر أن المهمة قد تمت.

ضيق الكاهن عينيه قائلًا:

- سوف تأتيني بتذكار مُميزُ من جسدها الليلة ومعه كمية وفيرة من دمائها الطازجة.

لم تحد عينيه عنه وهو يقول:

- حسنًا.

ثم رفع زاوية فمه بعبثٍ، ليُردف:

- أكاد أُخمن ما الجزء المُميز الذي تُشير إليه.

رفع الكاهن حاجبه ليمُر على حدقتيه ضوءٌ طفيف وهو يقول له:

- لقد أصبح اصرارك يحفزُني يا ولهان.

دقق جاد النظر بعينيه متسائلًا:

- ما التالي؟!

رفع الكاهن كفهُ قائلًا:

- خطوة بخطوة يا رجُل، لا تحاول الركض في هذه الأمور فينكشفُ أمركُ سريعًا، الليلة اتمَّ المهمة الأولى وسوف أخبرك بالبقية.

وحين ترك الكاهن وجد واحدة من الفتيات التي قامت

باستقباله تنتظرهُ في الخارج، وهي تقول لهُ:

- لقد سمعتُ حديثكما، ولو أردت لأخبرتُك عن نهاية الدرج والوصول للشر الأعظم من أقصر الطُرق.

أثارت اهتمامه ليسألها بوضوحٍ:

- ماذا تريدين في المقابل؟

أطلقت ضحكة عالية وهي تغمز لهُ:

- اسمي «هَياه» ودعني أخبركُ أولًا وبعدها سوف نتحدث بشأن المُقابل عندما يحلُّ أوانه.

عاد جاد إلى واقعه، ليلقي نظرة على زوجته التي ما زالت راقدةً في الفراش تئن بخفوت، ليقترب منها ويرفع الغطاء من على جسدها، ليرى بقعًا زرقاءُ وحمراء تلون أجزاءُ كثيرة من جلدها، فأعاد الغِطاءُ ثانيةً وانطلق نحو المطبخ ليفتح دُرج السكاكين التي مازالت حادة، لينتقل بعينيه على شفراتها المتعددة، حتى استقر على واحدة ذات حجمٍ كبير، التقطها ليرفعها للأعلى متأملًا شفراتها الفضية وهي تلمع في الضوء.

بعد قليل سمعت زوجته صوت جلبة تلاها مُكبر الصوت الذي صدح بنغمة غريبة على أذنها، فتحركت من الفراش وهي

ترتدي ملابسها بطريقة بطيئة ومتألمة، فجميع أجزاء جسدها ما تزال تؤلمها بقوة بسبب ممارسات زوجها الغريبة التي مارسها معها حين عاد في بداية صباح اليوم، خطت نحو المرآة لتنظر لوجهها المنتفخ بغضبٍ، ثم انطلقت للخارج ببطء والألم يجتاحُ عضلاتها أجمع وصوت أمَها يتردد في أذنها:

«لم أرتح لهذا الرجل يا ابنتي، قلبي ينقبض بقوة كلما رأيته، وأنا لم أُكذب قلبي يومًا».

سقطت عينيها عليه وهو يقف أمام الموقد يحرك جسده مع النغمات، ليستدير وبيده المقلاة المليئة بالبيض الذي اجتاحت رائحته اللذيذة أنفها، ليضعها أعلى المنضدة الخشبية داخل المطبخ وهو يشير إليها قائلًا:

- لقد أحضرتُ لكِ افطارًا رائعًا، هيا فقد تجاوزت الساعة السادسة هناك وقتُ قصير على شروق الشمس.

اقتربت بوجلٍ وملامح ممتعضة من صوت الموسيقى العالية، لتقول له بنبرةٍ صوت حاولت اخراجه صعوبة:

- اخفض هذا الصوت قليلًا.

نظر لها هذه النظرة التي تجعل نبضات قلبها تتباطىء برعبٍ واضح، ليتجاوز هو جملتها ويسحب الكرسي الخشبي وهو

يقول لها:

- هيا اجلسي لنفطر سويًا.

جلست بجسدٍ يهتز من الألم، ولكنها حاولت ألا تُظهر ذلك له، ليجلس هو أمامها يناولها قطعة خُبز:

- تذوقي واخبريني برأيك.

أخذت منه قطعة الخُبز وتناولت بها بعض البيض وهي تقول له بعينان زائغتان:

- لذيذ.

وقف، فانتفضت بعفوية جعلته ينظر لها وهو يُضيق عينيه بينما يقترب منها، ليمرر كفه فوق رأسها بحنوٍ:

- ما بكِ يا حبيبتي؟!

هزت رأسها نفيًا:

- أنا بخير لا تقلق.

قبّل جبهتها برقة، وخطى خطوتين نحو الثلاجة ليأخذ منها

زجاجة صغيرة ليعطيها إياها وهو يقول لها:

- تناولي هذه مع الفطور ستشعرين بعدها بسعادة لا نهائية.

نظرت نحو الزجاجة بحذرٍ متسائلة:

- ما هذه؟!

هزَّ رأسه، وأخبرها بنبرة حازمة:

- لا تسألي، هيا اشربي.

فعلت ما أمرها به دون اعتراض، لتسعل بقوة من لذعة المشروب التي لا تعرف كنهه، فوقف جوارها، يربت على ظهرها بخفة قائلًا:

- اكملي يا حبيبتي، سيُعجبك حين تُنهيه.

أكملت وكأنها تنتقم من نفسها على أنها تورطت مع رجُل كهذا، رجُل تخشاه كأنه ملاك الموت، رجُل اعتبرته حُب حياتها ومنقذها من براثن حياة تمتلىء بالوحوش الضارية التي كانت تنتظر أقل فرصة للانقضاض عليها ونهشها، ولمَ لا؟ فهي فتاة لا تملك ضهر ولا سند بعدما تركها والدها هي وأمها يواجهان مكارهُ الحياة بمفردهما في مُجتمعٍ وبيئة تُلقب بيتهم «ببيت

المتعة»؛ أمها التي كانت تنتظر أن تنتشلها من مستنقع هذه العيشة المأساوية وجدتها تبيع جسدها للرجال مُقابل بضعة مئاتٍ تنتهي فور حصولها عليها، كانت تبيت الليالي خلف باب غرفتها ترتعد من الخوف في أن يهجم عليها أحد السكارى ليستبيح جسدها بورقة أو أكثر من النقود، ولكن الحسنة الوحيدة التي تتذكرها لأمها أنها كانت تَحميها منهم، وتؤكد عليها أن تظل مُحافظة على عِفتها حتى تتزوج رجُلًا يشتريها بأغلى الأثمان.

أنهت الزجاجة ونظرت نحو جاد، الذي بدوره كان يتأملها بعينا ثعلبٍ ماكر ينتظر سقوط ضحيته لينقض عليها، لتفتح فمها بأنفاسٍ متهدجة متسائلة:

- لماذا اخترتني لكي أكون زوجتك يا جاد؟!

بثبات وبنبرة صادقةٍ أخبرها:

- رأيت في عينيك نظرة ملائكية وبريئة جعلت فضولي يتضاعف ويدفعني بقوة لمعرفة كيف لفتاةٌ مثلكِ تعيش داخل بيت المُتعة ألَّا تُجرب هذه المُتعة قط، كيف يعمل عقلها؟ وما هي مبادئها التي تتمسك بها بقوة تجعلها ترفض كل هذا المُجون والمال والثروة؛ التي كانت تستطيع أن تجنيها بسهولة؛ كي تُسلمها لرجلٌ واحد لن يدفع لها سوى مرة واحدة بضع نقودٍ مُسجلة في عقدٍ، ولن تستطيع حتى الحصول عليها.

شعرت بالمكان يدور من حولها بشكلٍ جنوني قبل أن يسقط رأسها أعلى المنضدة، لتقع المقلاة بما فيها على أرضية المطبخ أثر اصطدام جُمجمتها على القطعة البلاستيكية المانعة لوصول الحرارة.

أوقف موسيقاه والتقط هاتفه من على المنضدة، ثم قام بالاتصال بأحد الأرقام التي يحفظها جيدًا، ليأتيه صوتها على الجانب الآخر قائلة:

- هل تذكرت حماتك أخيرًا يا رجل؟

لم يُعطِ لها مجالًا للحديث، ليباغتُها:

- اخبري ابنتك أن هربها من فراشها في الصباح لن يمُر مرور الكِرام.

شهقت السيدة قائلة بذعر:

- ابنتي لم تأتي إلي، أين ذهبت؟ وماذا فعلت بها لتهرب من فراشك؟!

أجاب بثباتٍ، ونبرة جعلها غاضبةٌ بشكلٍ كاف:

- لن أُطيل الحديث معكِ، أبلغيها رسالتي حين تأتيكِ.

ثم انهى المحادثة على الفور وهو يقف ليسحب السكين الحادة من جواره، عازمًا أمره على صعود أول درجة من درجات القواعد بأقل ضررٍ مُمكن، ليتفرغ بعدها للبحث عن آخر درجة كما أخبرته هَياه.

* * *

كانت تسير بلا هُدى في أحد الممرات لمبنى قديم لا تعرف كنههُ، ولكنها كلما أنهت ممّر وجدت آخر في أحد الاتجاهات، شعرت بالرهبة من شيء لم تدركهُ إلى الآن، ولكنها أسرعت خطاها قليلًا من شدة خوفها، وفجأة أحست بأن هناك أحدٌ يتبعها، فتحولت خطواتها السريعة للركض ومنها للهرولة وهي مازالت في تلك الممرات التي لا تنتهي!

كانت تلتقط أنفاسها بصعوبة، وقدميها يثقلان كثقِل جسدها، وهي لا تزال تحاول ولا تريد الاستسلام والتوقف. ارتفع صوت أنفاسها اللاهثة، وكلما وجدت نهاية لممر شعرت بالقليل من الأمل حتى تصل لنهايته لتجد آخر.

ظلَّت هكذا حتى تعب جسدها وخانها، لترتمي أرضًا بعدما تعثرَّت قدمها اليمنى وتعرقلت بحاجزٍ لم تلحظه. تركت جسدها يتراخى وقلبها يكاد ينفجر من الرعب، وعدوها المجهول يقترب منها أكثر، حتى شعرت بحرارة أنفاسه تقترب منها وهو

يهمس:

- أنتِ الآن لي يا أبريال.

سالت دموعها على خديها بصمت وهي تنتظر الموت يأخذها في أي لحظة، ليبدأ جسدها بالارتعاش الشديد إثر فزعها من صوته البغيض، لتجد فجأة يدًا لا تعرف لمن تعود، تسحبها من قدميها مسافة بعيدة وهي تلهث، قائلة بصوتٍ أنثوي مطمئن:

- لا تخافي يا أبريال.

ثم توقفت الفتاة التي تسحبها، لتنحي وهي تمد لها يدها قائلة:

- هيا انهضي.

لم ترى وجهها جيدًا من الدموع التي كانت تملأ مقلتيها، ولكنها رأت عينيها التي تُماثل لون عينيها بشكلٍ مُبهر، أمسكت يدها، ثم تركتها لتمسح دموعها، وهي تسألها:

- من أنتِ؟!

وقبل أن تُجيب الفتاة، جاء كائن مجهولٌ من خلفها، لم يظهر

منه سوى عيناه القاتمتين وأنيابه التي تضيء في هذا الظلام الدامس، سحبها من ظهرها على غفلة منها جعلتها تصرخُ عاليًا، ليصدح صوتها في الأرجاء ويتردد صداه:

- اهربي يا أبريال.

استيقظت آنا عند هذه الجُملة وجسدها ينتفض بقوة لتجد أمامها أحد الضباع الذين استقبلوها في حديقة الحيوان يحدق بها بطريقةٍ مرعبةٍ للغاية، عادت بجسدها للخلف تلتصق في ظهر الفراش، لتخرج صوتها بأقصى قوة ما زالت تمتلكها:

- من أنت؟!

رمقها بنظرة مخيفة وهو يُكشر عن أنيابه ويُصدر صوت خَفْخَفة جعلتها تُضيق عينيها بتحدٍ واضح تحوَّل على آثره لجسد رجولي بغيض، ضخم الجُثة، حليق الرأس، له نظرات ثاقبة وقابضة جعلت ملامح وجهها تتجعد باشمئزاز.

ليفتح فمه الكريه بصوتٍ جعلها تقشعر قائلًا:

- غادري من هنا يا آنا ولا تتدخلي في شؤوننا، أنا لم أؤذيكِ حتى الآن لأجل عدار، ولكن هذه المرة الأخيرة.

ثم أختفى من أمامها عائدًا لأبريال.

وعلى الفور شعرت أبريال بنفس الأنفاس الساخنة تأتي من خلفها لتقول لها بخفوت:

- لا سبيل للهرب.

وعند هذه اللحظة صاحت بعويلٍ:

- لاااا ارجوك.

انتفضت فزعة لتجد عاتق يجلس جوارها بوجهٍ رطب وملامح مرتعبة لم تراها من قبل، شعرت بدموعها ما زالت تتساقط على وجنتيها، بينما أنفاسها اللاهثة تكاد تخنُقها من تتابعها، قلبها ينتفض بقوة وجسدها يرتعش لدرجة أنها لم تستطيع التحكم به، بقيا هكذا للحظات حتى سحبها عاتق ليأخذها في أحضانه، أحس بقلبها ينتفض قُرب صدره بينما علت شهقاتها المتقطعة لدرجة البكاء الشديد، ربت على ظهرها بحنو، ثم أغمض عينيه وبدأ يمرر كفه من أعلى رأسها حتى منتصف ظهرها وهو يتمتم بهمس خفيض كلمات لم تفهم منها شيء، لكن أثرها كان عظيم.

ففي لحظات شعرت بالهدوء والمطمئنة التي جعلت بكاؤها يقل حتى توقفت براحة لم تحس بها منذ سنوات، حتى قبل أن تقع في هذه الورطة التي لا تعي منها شيئًا. ابتلعت ريقها بصعوبة بعدما أدركت أنها في أحضان رجلٌ غريب يتلمس

جسدها، فابتعدت سريعًا، وبحزنٍ واضح نظرت إليه، فوجدته قد رفع كلتا ذراعيه اللتان كانتا على ظهرها من حركتها المفاجأة، ليضعهما أعلى ركبتيه وهو يقول لها:

- هل أنتِ بخيرٍ الأن؟!

حركت رأسها إيجابًا بخجلٍ واضح ووجنتين محمرتين، ليسألها بقلق:

- هل تستطيعين الأن أن تقصِي عليّ ما حدث في كابوسك؟!

هزت رأسها نفيًا، فوقف عاتق قائلًا بتفهم:

- حسنًا.. سأعُد لكِ مشروبٌ دافئ وبعدها سوف نتحدث إن أردتِ.

تركها وانصرف خارج الغرفة ومنها للمطبخ. أخرج من الرف كوبًا من الزجاج ولكنه انفلت منه ليقع أرضًا، صكَّ اسنانه بغيظ، ووقف يستند بكلتا كفيه أعلى الرف الرخامي يحاول تنظيم انفاسه ليُهدئ جسده الذي ما زال يرتجف من قُربها.

لقد تحرك قلبه واهتاجت مشاعره التي هي في ثبات منذ أن وُلد، استطاع السيطرة على جسده ولكنه لم يقدر على فِعل المثل مع قلبه.

اعتدل في وقفته وأخرج كوبًا آخر، ليصنع لها مشروب مخصوص يعرف تمامًا أنه سوف يجعلها تنسى ما شعرت به في هذا الكابوس فور تناوله.

اعتدلت أبريال في فراشها، وهي تضم كلتا ركبتيها إلى صدرها وتهز جسدها بتوتر ظاهر، في حين أن قلبها المقبوض ما زال يرتعد من الداخل، ولكن جسدها هدأ بشكلٍ كبير منذ كانت في احضانه، عادت وجنتيها للاحمرار حين تذكرت، لتشعر بسوءٍ كبير على أنها تركته يقترب منها بهذا الشكل حتى لو كانت مستيقظة من كابوس مفزع كاد من فيه أن ينتزع روحها من جسدها ولم تكن في كامل وعيها عندما فاقت.

طرق عاتق الباب قبل أن يدخل، لتوقف اهتزازها وتنتفض واقفة لتتحرك نحو المقعد الذي بجوار النافذة تجلس عليه، فهي تشعر بالحرج من وجودها مستلقية على الفراش وفي الغرفة رجلٌ غريب.

وضع الصينية التي كان يحملها من بين يديه على المنضدة وجلس على المقعد المُقابل وهو يعطي لها الكوب:

- هيا، تناوليه يا أبريال وستشعرين أنكِ في حالٍ أفضل بإذن الله.

أخذت الكوب من يده لترتشف القليل منها وهي تسأله

بتعجب:

- ما الذي أتى بكَ إلى غرفتي في هذا الوقت؟!

أجابها وهو يتجنب النظر في عينيها مباشرة:

- سمعتُ صراخكِ من غرفتي فركضت إليكِ أحاول ايقاظكِ، ولكنك لم تستجيبي لي إلا في آخر لحظة.

ضمت حاجبيها وهي تضع الكوب موضعه قائلة:

- وكيف عرفتُ أنها كانت آخر لحظة؟!

أشار نحو الكوب في محاولة منه للهروب من الإجابة:

- تناوليه بأكمله يا أبريال.

ظلت تحدقُ به بتدقيق واضح، فقال بثباتٍ حاول إظهاره:

- كنت أقصد كانت آخر لحظة قبل أن تستيقظي.

أمسكت الكوب وقامت بالشرب منه، ليدقق النظر بها قبل أن يقول لها:

- هل ستقصين عليّ كابوسك الأن؟!

هزت رأسها وهي تجيب:

- نعم سأقصه عليكَ وبعدها ستساعدني في التعرف على شخص ما.

* * *

في هذه الأثناء دخلت آنا الحمام لتغتسل بسرعة بسبب تعرقها الشديد إثر الركض قبل أن تنطلق في طريقها إلى أختها، فشعرت بحُرقة في ظهرها عند نزول الماء عليها، خرجت من تحت رشاش المياه لتقف أمام المرآة الطويلة الملتصقة في الجدار، فشاهدت آثار أنياب هذا الوحش تسِّمُ ظهرها وتتساقط منها الدماء الحارة!

زفرت بحنقٍ وهي تشتمه، لترتدي مئزرها، شاعرة بألم من الحركة وخاصة عندما لمس المئزر موضع الجُرح. خرجت من الحمام، لتشهق بخفة حينما رأت عدار يستند على الجدار واقفًا أمامها ينظر لها بغضبٍ واضح، تقدمت منه بضيق وهي تصرخ به:

- ما هذه الغرفة الحقيرة التي تجتذب أسوأ خلق الله.

أمال برأسه فأكملت بنفس الضيق:

- ما الذي جاء بكَ مرة أخرى، هيا غادر من هنا لا أريد رؤية وجوهكم العكرة هذه في غرفتي ثانية.

اقترب منها وهو يحيطُها بعينيه قائلًا:

- ماذا فعل بكِ ذلك القذر؟!

اقتربت بوجهها منه وهي تُضيق عينيها قائلة بسخطٍ:

- كما فعلت أنت، ولكنه لما يتجاوز جلدي السميك.

قرَّب وجهه منها كما فعلت هي وهو يقول بخفوت:

- لقد ثقبتُ قلبكِ بعمقٍ إذًا؟!

اهتزت حدقتيها بوضوح فابتعدت عنه توليه ظهرها:

- هيا أغرب عن وجهي ولا تعد.

وجد بقعة دم كبيرة تلون ظهر مئزرها الأبيض، فانتفض قلبهُ واسرع ليُمسك ذراعها بقوة قائلًا:

- اجلسي كي أعالج جُرحك وكفاكِ عنادًا، ولي حسابٌ آخر مع هذا الحقير.

سحبت ذراعها بقوة وشعورها بالألم يزداد، ورغم ذلك صاحت به:

- لا أريد مساعدتك يا عدار، هيا اخرج من هنا وأنا سأعالج نفسي.

لمعت عيناه القاتمة بسوادٍ داكن وهو يأمرها بهذه النبرة التي تُخيفُها حقًا:

- اجلسي يا آنا.

تطلعت إليه للحظات لم تتحمل بهم الألم، فجلست توليه ظهرها وهي تفتح المئزر بهدوء. وبيد مرتعشة وحدقتيها يتحركان يمينًا ويسارًا، قالت له:

- سوف تجد حقيبة الاسعافات الأولية في الدرج الثاني.

تعجبت وكادت تلتفت نحوه حين وجدته لا يتحرك، ولكنه منعها قائلًا:

- لا تتحركي.

ظلَّت ثابتة، تضم حاجبيها بدهشة وهي لا تشعر بشيء ولا حتى لمسة يده، ولا تدري ما الذي يفعله هكذا دون صوت، فتأففت قائلة:

- ما الذي تفعله يا عدار؟! هل هناك شيء مُقلق لهذا الحد؟

وأخيرًا سمعت صوت أنفاسه خلفها وهو يرفع مئزرها على كتفها هامسًا:

- لقد انتهيت.

التفتت تواجهه بدهشة وهي تسأله:

- ماذا فعلت؟!

اشتعلت نظراته وأنفاسه معًا وهو بهذا القُرب منها، ولكنه حاول المقاومة وهو يُجيبها:

- لا تقلقي، لا يوجد شيء الأن.

لم تصدقه ولكنها كانت بالفعل لا تشعر بأي ألم، لذا خطت نحو المرآة لترى ظهرها بحركة عفوية أشعلت جسده أكثر، فلم تجد ولا حتى آثر لما حدث، وقف خلفها وهو يقترب منها ببطء، فنظرت نحوه عبر المرآة لتضبط المئزر على كتفها

وعيناها تستجوبانه دون حديث، شعرت بالخطر من نظراته التي تتفحصها، فاستدارت تجاهه قبل أن يصل إليها محذرة إياه:

- إياكَ أن تقترب.

توقف على الفور وصدره يعلو ويهبط بشكلٍ واضح من شدة اضطرابه، لتشعر هي بقلبها ينتفض بقوة داخل اضلاعها، وبنبرة رجاء واضح قالت له:

- هيا غادر الآن يا عدار، وأشكرك على مساعدتك.

ظلَّ هكذا بلا حراك وحدقتيه تتسعان برغبة ساطعة مثل الشمس، بينما مكثت آنا في موضعها وعيناها لا تلينان له ولا حتى بالنظر، ليسألها بنبرة هادئة تحمل حزن كبير:

- لماذا ترفضيني بهذا الشكل المُهين؟! رغم أنني أعلم جيدًا بحقيقة مشاعركِ نحوي.

وقفت تفرد جسدها بثبات وهي تُجيبه بصوتٍ قوي أجبرت نفسها على إخراجه:

- لم تقُدني مشاعري يومًا إلى مكانٍ أو طريقٍ لا أريده يا عدار، ومؤكد لن أسمح لها أن تفعل ذلك.

اختض جسدها حين انتقل يقف أمامها في لمح البصر، ليحاوط خصرها بذراعه وهو يقول لها:

- لما لا تبغين أن تتقاطع طرقنا إذًا؟! أنا لا أفهم حقًا كيف تقدرين أن تسيطري على قلبك هكذا، في حين أننا بالكاد أستطيع السيطرة على جسدي أمامك.

تجنبت النظر لعينيه وهي تضع كلتا كفيها أعلى صدره وهي تدفعه قائلة بحزم شديد:

- ابتعد عني.

رفع وجهها لتتقابل أعينهم، وارتخى كفيها اللذان كانا يدفعانه وهي تسمعه يقول لها:

- أنا أحبك يا آنا، لقد فعلتِ بي مالم تفعله امرأة من قبلك، ولا حتى من بعد أن افترقنا.

هزت رأسها نفيًا وهي تواجهه:

- لن أستطيع يا عدار، لن أفعلها.. ارجوك اتركني.

سقطت ذراعه وعاد للخلف، تاركًا لها مجالًا للهروب من أمامه، ليقول لها بصوته الذي ما زال متأثرٌ من رفضها إياه:

- مؤكد أنا لن أجبركِ على تقبُل طبيعتي.

ثم أردف بنبرة تحذير واضح:

- دعينا من هذا الأمر الآن واسمعي جيدًا، ما حدث في كابوسك مجرد بداية، وغرس أنياب هذا الحقير في ظهرك وظهوره لكِ بصفته الحيوانية ليس بتهديد تستطيعين تجاهلهُ، كنت أتمنى أن تناديني حين وجدته في غرفتكِ، ولكن بطبع السيدة آنا لا تطلب المساعدة إلا من يوناس؛ أما عدار فليذهب للجحيم.

كادت تنطق فأوقفها:

- نصيحة أخيرة قبل أن اغادر، لا تختبري حظكِ مرة أخرى مع الشياطين، فهو لم يتركك لأجلي كما أخبركِ وأخبرني، هو ترككِ فقط لإكمال مهمته، فالتسامح في عالمنا لا وجود لهُ؛ لذا لقد جئتُ إليكِ على الفور حين علمت بمقابلتكم وهذا لأنني أعلم جيدًا أنه سيعود إليكِ، ولأنكِ تفضلين الموت على استحضاري لمساعدتك استطيع تعليمك بعض الأمور التي سوف تحميكِ من هذه الزيارات المفاجئة، بالطبع لو أردتِ ذلك.. اعتقد أنكِ تعرفين اسمي جيدًا الوداع يا آنا.

رددت بهمس مؤلم:

- اتمنى أن أراكَ بخيرٍ يا عدار.

ثم اغمضت عينيها وهي تأخذ بضعة انفاسٍ متتالية تسيطر بها على جسدها المضطرب من وجوده قربها بهذا الشكل، لقد كادت أن تستسلم له لو ظلَّ هكذا للحظات أخرى، فتحت عينيها قبل أن تُسرع نحو حقيبتها لترتدي ملابسها على عجلٍ وتغادر الغرفة والفندق بأكمله بعدما أغلقت حسابها، ركبت سيارة أجرة لتُخرج البوصلة الأثرية من جيبها السحري تنظر لاتجاهها قائلة للسائق:

- انحدر لليسار من فضلك.

سأل الرجل مستفسرًا:

- أين وجهتك تحديدًا يا سيدتي؟!

ابتسمت له بلُطفٍ وهي تُخبره:

- معي جهاز لتحديد الموقع الذي سوف تأخذني إليه، وذلك لأنني لا اعرف المنطقة التي أريد الذهاب إليها، لذا فسوف أُرهقك معي وأخبرك اتجاه سيرك وأنت في الطريق، اعتذر منك.

نظر لها الرجل عبر المرآة الداخلية بوجهٍ بشوش مرددًا:

- لا عليكِ يا سيدتي فأنا معكِ حتى أوصلكِ لوجهتكِ بسلام.

* * *

اليوم الخامس

٥ - آذار

وجههُ جامدٌ جمود الموتى دون أي تعابير تدل على أن بداخله مطلقًا أي مشاعر، يحمل بيده حقيبة صغيرة، وهو يدلف لسيارته منطلقًا بها نحو (قصر البارون)؛ المكان المُحدد لهم. صفَّ السيارة في مكانٍ بعيد نسبيًا عن بوابة الدخول الجانبية، وخطا بخطوات ثابتة وبطيئة، وعيناه متسعتان بهيئة مُرعبة، سمع نقرات كعبٍ لحذاءٍ أنثوي يأتي من خلفه، فرفع زاوية فمه بابتسامة وهو يقول:

- هل تحاولين إخافتي؟!

أطلقت ضحكة عالية، فنظر نحوها بتحذير جعلها تضع كفها على شفتيها، وهي تهمس له:

- كيف رأيتني؟!

ابطأ خطواته أكثر، ليسير جوارها مُجيبًا:

- رأيتكِ تنتظرينني على ناصية الشارع الرئيسي.

ألقت عليه نظرة بجانب عينيها وهي تقول له:

- وما الذي جعلك واثقًا أنني أنتظرك أنت تحديدًا؟!

مالَ برأسه نحوها وهي يهمس لها:

- أعلم أنك اشتقت لي لأنني لم آتي البارحة.

أدارت رأسها تتأمل وجهه الجامد، فتعثرت وهي شاردة في ملامحه حتى كادت أن تقع، فأمسك خصرها سريعًا وتلاقت أعينهما، لتضع هي كفها على رقبته قائلة بإغواء:

- ما رأيك أن نذهب الليلة إلى مكانٍ آخر لكي نستمتع بسهرتنا معًا دون شركاء، فلا أريد أن يعبث بجسدي الليلة أحدٌ غيرك.

لمعت عيناه القاتمة وهو يساعدها على الوقوف مستوية:

- أمرك نافذ يا هَياه، ولكن دعينا أولًا نقابل الكاهن كي أعطي لهُ هذه الأمانة ونعود سويًا.

ضيقت عينيها بتساؤل:

- هل فعلتها؟!

رفع حاجبه الأيسر قائلًا:

- ألم تثقي بي؟!

ابتلعت ريقها بصعوبة وقد ظهر الخوف على ملامحها وهي تبتعد عنه، ليسألها بقلق:

- ما بكِ؟! أليس كل أفراد المجموعة يفعلون ذلك لكي يصبحوا في مكانة أعلى؟!

هزت رأسها نفيًا وهي تردد بخفوت:

- لا يا ولهان، جميعنا يقول أنه سوف يفعل ذلك كي يرتقي، ولكننا لا نستطيع فِعلها لذا نظل منتمون فقط.

وبدلًا من أن تجتاحه أي مشاعر سيئة نحو فِعلته ارتسمت ابتسامة غريبة على وجهه تدل على التميز والتفرد وكأن مقداره قد ارتفع أمام نفسه أضعاف، شعرت هَياه بالخطر قرب من هذا الشخص الذي قتل زوجته وقطع بعض أعضائها الحساسة ليعيطها للكاهن وهو يملك كل هذا الهدوء النفسي، بل ويبتسم الآن لكونه استطاع فِعلها دون البقية!

توقفا أماما البوابة التي يدخلون من خلالها، لتتقدمه هَياه بجسدٍ متوتر، لتسمعه من خلفها يقول لها:

- سوف اسلمه ما اتفقنا عليه، ونخرج من هنا كي أخبرك ما الذي سأفعله تاليًا.

توقفت لتستدير نحوه، ولكنها عادت خطوتان للخلف وهي تُخبره:

- لا.. لقد غيرت رأيي سوف أسهر معهم الليلة.

ثم التفتت كي تُكمل طريقها، فأمسك ذراعها يمنعها من التحرك وهو يتأمل عينيها بقوة جعلتها ترتعد:

- ما الذي جعلك تغيرين رأيك بهذه السرعة؟! هل يا ترى معرفتك بجريمتي جعلتك تخافين مني لهذا الحد الذي يجعلكِ ترفضين الاكتفاء بي الليلة؟!

حاولت أن تسحب ذراعها ولكنه منعها من التحرك، لتجيبه بصوتٍ مُرتجف ولكنها جعلت نظراتها تظلُ ثابته:

- وهل هناك سببٌ أكبر من ذلك يجعلني ألَّا أئتمنك على نفسي؟!

ترك ذراعها ووضع كفه على وجنتها برقة وهو يقترب أكثر منها حتى التصق بجسدها:

- لا تخافي يا هَياه، فأنا فعلتُ ذلك فقط لأنها خارج جماعتنا وأنتِ تعرفين أنه محرمٌ علينا فِعلُ ذلك لأحدٍ منا.

بدأ يعبثُ بجسدها حتى أشعلهُ وهو يُكمل:

- وحتى لو كان مباحًا لما استطعتُ فِعل ذلك معكِ، فنحن نشبهُ بعضنا كثيرًا وأنا لا أستطيع التفريط بكِ.

خروج الكاهن أوقفه عن فِعل المزيد معها، وهو يوقفهم:

- لم نبدأ جلستنا بعد، هيا إلى الداخل.

أوقفه جاد قائلًا:

- انتظر يا أيها الكاهن، فأنا أريد تسليمك الأمانة التي اتفقنا عليها.

نظر لها الكاهن بتدقيق وهو يسأله:

- حقًا فعلتها يا ولهان؟!

أومأ برأسه، فكشر الكاهن عن أنيابه اللامعة بابتسامةٍ خبيثة وهو يقول لهُ:

- اتبعني إذًا.

وقبل أن يسير خلفه نظر لهَياه قائلًا:

- سوف أنهي الأمر معهُ ونخرج سويًا كما اتفقنا.

هزت رأسها إيجابًا بعدما صدقته، فهم بالفعل لديهم ميثاقٌ واضح ألا يؤذي بعضهم بعضًا، ومن يقتُل امرأته كي يصعد عدة درجات يرتقي بيها للشيطان الأعظم لن يؤذي أحدٌ من جماعته حتى لا يسقط ويُحاكم.

قررت أن تدخل الغرفة لتلتقي ببعض أصدقائها حتى ينتهي جاد من حديثه مع الكاهن، وحين دخلت إليهم وجدت منهم ثلاثة من اصدقائها المُقربين الذين دخلوا لهذه الجماعة معًا يتهامسون بينهم، اقتربت منهم وهي تضربهم بكفها في مناطق عدة من أجسادهم وهي تضحك عاليًا قائلة:

- اخبروني عمَّ تتهامسون؟!

أشار لها أحدهم وهو يرفع سبابته على فَمِه:

- ششش لا نريد أن يسمعنا أحد.

اختفت ابتسامتها واقتربت منهم لتجلس في وسطهم هامسة:

- ما الأمر؟!

اقتربت الفتاة من أذنها لتقول لها في خفوت:

- هُناك خبرٌ يُشاع في الأنحاء من وسط الكهنة فوق الأرض، وهناك واحدٌ من الشر الأعظم أخبرني أن آبيغور يعرض مكافئة كبيرة لمن يحضر لهُ الروح السابعة الشريرة كي يفعل فعلتهُ في الثالث عشر من آذار، وسمعنا أن بعض الكهنة العِظام يبحثون في كُل مكان، وأن من يجدها قبل الموعِد سوف يكون بجوار آبيغور للأبد وسيكَّرمه بين الجماعات الخاصة كلها بجواره، وأن لوسيفر سوف يضع لهُ التاج بنفسه.

جحظت عين هَياه بدهشة وهي تسألها باهتمام:

- هل هذه الروح تملُك قيمةً كبيرة لذلك الحد؟!

اقترب منها الشاب الثالث وهو يُخبرها:

- وأكثرُ من ذلك بكثير، هل تعلمين أن آبيغور حين يحصل عليها سوف يُخرج الملوك الستة من عالم الخواء، وحينها سيستطيع السيطرة على الدول السبع العظيمة التي من خلالها تكتمل خطتهُ الكُبرى في الحصول على كل السطوة والمال والسلاح الموجود في العالم، وحينها سننطلقُ جميعًا نحو أرض الميعاد.

سألتهم بفضولٍ اجتاح جميع حواسها:

- هل تعرفون مواصفات هذه الروح؟!

اخبرتها الفتاة ببهجة احساسها بقُرب نجاح مخططهم الذي ينتظرونه كما يتداول الكهنة منذ قرونٍ كثيرة:

- هُناك كتيبٌ صغيرٌ في المكتبة خاصتنا في الطابق الثاني، تستطيعين إيجاده بسهولة إن أخبرتكِ مكانه؛ ولكن عليكِ أولًا أن تُطلعينا على ما تفكرين به.

ضيقت عينيها بتركيزٍ وهي تقول لهم:

- هل تعرفون ولهان الذي أنضم إلينا منذ أيامٍ؟!

حركوا رأسهم بإيجاب وهم ينصتون بتركيزٍ، فأردفت هَياه:

- الليلة جاء إلى هُنا يحمل أجزاء من أعضاء زوجته الخاصة.

شهقت الفتاة، بينما ابتسم الشبان بسعادة، ليقول أحدهم:

- هذا الرجُل اكتشافُ حقًا، اتوقع أن يأخذ مكان الكاهن قريبًا لو استمر بهذه الخُطى السريعة.

ليتدخل الشاب الآخر:

- لا تتركيه يا هَياه واطويه تحت ذراعك، فسوف يرفعكِ معه وبدوركِ سترفعيننا، أليس كذلك؟!

رفعت كتفيها وهي تنظر لصديقتها قائلة:

- بالطبع، لو أخبرتني هي عن مكان الكُتيب الموجود به المواصفات.

زمَّت الفتاة شفتيها متسائلة:

- اخبريني بخطتك.

اقتربت من الثلاثة هامسةً:

- بما أنه يملك هذا الحماس الكبير، وقد أخبرتهُ من قبل على القداس الأحمر كي يعتلي منصب الشر الأعظم في أقرب وقت، ولكني لم أتخيل أنه سيقدر على أول التضحيات وأصعبها على الاطلاق، لذا فكرت الأن أن أخبره على قصة الأرواح السبعة والمكافئة الكبيرة المجزية هذه، ولو فَعلها سأجعله يرفعنا معه نحن الأربعة.

تهلل وجه الثلاثة، ودون نقاشٍ آخر أخبرتها الفتاة:

- في الرف الثاني على يسارك حين تدخلين المكتبة، ستجدين أمامه كتابُ مُصغر للإنجيل الأسود.

سمعت صوت جاد من خلفها يناديها، فالتفتت برأسها نحوه مُبتسمة وهي تقول له:

- حسنًا أنا آتية على الفور.

ثم عادت لصديقتها تسألها سريعًا:

- ما اسم هذا الكتاب؟! وما هو العنوان المطبوع عليه؟!

أخبرتها الفتاة على عجلٍ:

- لا شيء. مُجرد غلافٌ جلديٌ أسود اللون، والكتيب صغير الحجم جدًا مثل كف يدك.

تركتها وركضت نحو جاد الذي وجدته بملامحُ ممتعضة فسألته باهتمام:

- ما بكَ؟! هل حدث شئ مع الكاهن؟!

أمسك ذراعها يسحبها إلى جواره بخفة، وهو يقول لها:

- لا لم يحدث شيئًا، هيا نخرجُ من هنا فأنا أريد الخمر والعبث الأن.

أوقفته بعدما عبرا البوابة الرئيسية قائلة وهي تسحبه نحو الطابق الثاني:

- تعالَ معي أولًا كي نأخذ شيئًا هامًا من المكتبة.

أمسك ذراعها بقوة قائلًا:

- لا أريد شيئًا غيرك الأن.

وضعت كفها على شفتيه وهي تنظر حولها بريبة:

- اخفض صوتك حتى لا ينكشف أمرنا، وأرجوك يا ولهان استمع لي وأفعل ما أقوله لك وسوف أشرح كل شئ بعدما تفعل ما تريده بجسدي، اتفقنا؟!

تأفف بضيقٍ وهو يهز رأسه، فطبعت قبلة قوية على وجنته وهي تردد:

- أنا واثقة أنك لن تجد ما تشكرني به فيما بعد على ما أفعله من أجلك في هذه اللحظة.

* * *

توقفت سيارة الأجرة أسفل ناطحة السحاب التي أشارت إليها البوصلة الخشبية، لتترجل آنا من السيارة وهي تشكر الرجُل الذي أوصلها بسلامٍ إلى المكان التي تسكن به أختها.

توتر جسدها الواضح يعكس ما بداخلها وهي تحاول ترتيب الكلمات التي ستواجه بها أختها حين تراها للمرة الأولى، نظرت نحو البوصلة التي ارتفع سهمها للأعلى فرفعت رأسها تحاول أن تتبين أيًّا من الطوابق التي عليها الصعود إليها، فليس من المنطقي أن تبحث في هذه الطوابق جميعها.

عادت للخلف عدة خطوات لتسمع زمور السيارة قادم من خلفها بصوتٍ مرتفعٍ ومستمر، لينتفض جسدها وهي تنظر خلفها بفزعٍ لترى السيارة تمر بسرعة هائلة. لو ظلت في مكانها كانت لتصبح جُثة هامدة الآن. التقطت أنفاسها المرتعدة حتى هدأت، لترفع رأسها للأعلى ثانية وهي تتأمل عدد الطوابق. ليلفت نَظرها هالةٌ ذهبية اللون تُحيط أحد الشقق في طابقٌ مرتفعٌ للغاية، شعرت أن هذا مُرادُها فبدأت تعدُ الادوار حتى وصلت للدور الثلاثين، شعرت بالامتنان لنظرها الثاقب هذا الذي ورثتهُ عن جدها الأكبر وتوجهت نحو المِصعد وهي تضغط الزر على الرقم ثلاثين.

في هذه الأثناء كانت تجلس أبريال أمام الحاجز الرخامي،

وفي الجهة الأخرى يقف عاتق أمام الموقد يصنع أحد الأطعمة الخاصة به باستمتاعٍ شديد وهو يُقرب الملعقة من أبريال قائلًا:

- هيا، تذوقي وأخبريني برأيك الصادق.

تذوقت وهي تُهمهم باشتهاء:

- لم أذق طعامًا بهذه اللذة من قبل.

سحب الملعقة من فمها ليضعها داخل الحوض وهو يقول لها:

- أشكركِ على الإطراء.

لتسأله أبريال بتوجُسٍ:

- هل تعلم أنني منذ أن جئت إلى هُنا لم أراك تتناول أي شيء لا مأكول ولا مشروب حتى الماء، هل تخبرني لماذا؟!

لم يتصور أنها لاحظت ذلك، فظهرت ملامحه المضطربة بوضوح، ليحاول تبرير الأمر:

- أنا أحبُ صنع الطعام وليس أكله.

أنهى جُملته بغمزة حاول بها التشويش على عقلها، ولكنها لم تبتلع الطُعم، وقبل أن تفتح فمها ثانية سمعا طرقٌ على الباب، فارتعد جسد أبريال ليحدق بها عاتق وهو يخرج من المطبخ قائلًا:

- لماذا انتفضتِ هكذا؟! لا تقلقي مؤكد أنه أحد اصدقائي.

تركت المقعد لتنتصب بجسدها وهي تتحرك لتخبره:

- استقبل ضيوفك وأنا سأكون في غرفتي.

أحس بشيءُ غريب يصدُر من الطارق وكأنها ذبذباتٌ تخبرهُ بسرٍ ما، فقال لها بتلقائية:

- توقفي يا أبريال.

وقفت أبريال بتعجب وهو يفتح باب الشقة، لتتغير ملامحة على الفور وهو يُفتر عن ابتسامة رقيقة وهو يقول لآنا:

- تفضلي يا سيدتي.

تحيرت آنا من هذا الاستقبال الغريب، ولكنها دخلت لتجد أبريال واقفة أمامها، لتُحدق الفتاتان للحظات ببعضها البعض بخوفٍ يخالطهُ ذهول وهما تتطلعان بعجبٍ على نفس لون

عينيهما!

نطقت آنا بتوتر واضح:

- هل أنتِ أبريال؟!

نظرت أبريال إلى عاتق الذي اقترب بدوره منها، وهو يشير نحو آنا قائلًا:

- هذه هي آنا التي رأيتها في حُلمك أو بالأحرى كابوسك.

أعادت أبريال وجهها نحو آنا وهي تسألها بدهشة:

- أختي!

هزَّت آنا رأسها بسعادة، وكأنها بهذه الاجابة ازاحت من على قلبها كاهل التفسير، فأردفت أبريال دون أن تُسلم عليها حتى:

- كيف استطعتِ معرفة مكاني؟!

تجمدت آنا بحرجٍ بعد أن باغتتها بهذا السؤال، ليبتسم عاتق بسخرية قائلًا:

- أجيبِي عليها أولًا يا آنا وإلا لن تفعل شيئًا ولن تسمعكِ بعد

الآن، فعقلها لن يتوقف عن التفكير في الاجابة.

نظرت لهُ أبريال بضيقٍ، بينما عادت آنا بذاكرتها عندما غفت في الطائرة التي كانت على متنها في الرحلة القادمة لمصر.

فتحت عينيها فوجدت السماء فوقها والشمس تُلقي بأشعتها الدافئة على جسدها المُدد أعلى الرمال الساخنة، اعتدلت جالسة، تتأمل المكان حولها بريبة وهي لا تعرف من نقلها إلى هُنا، استقامت بجسدها وهي تنظف ثوبها الأبيض الفضفاض من الأتربة العالقة به، ثم استدارت لترى ما خلفها فلم تجد سوى صحراء كبيرة ترى في نهايتها هرم خوفو بضخامته المعهودة، رددت بخفوت وهي تلتف باتجاهٍ آخر.

«ما الذي جاء بي إلى هُنا؟»

لتصطدم به يقف أمامها بابتسامته الهادئة قائلًا:

- لقد اشتقتُ إليكِ يا آنا.

تهلل وجهها بسعادة بالغة وهي تقترب منه:

- وأنا أيضًا يا آصف، لقد لهف قلبي عليك.

تقدم خطوة منها وهو يضع ذراعه خلف ظهرها متسائلًا:

أخبريني عن أحوالك، فنحن لم نلتق منذ أن انهيتِ الكُتب.

أجابته وهي تستدير:

- ما زلت أحاول التعافي.

ثم أردفت مشيرة للهرم الأكبر:

- لمَ جئت بي إلى هنا؟!

انتقل ليقف أمامه على مقربة منها وهو يتأمل عينيها بتدقيق، ليخبرها:

- اعتقد أن كوبا تحدثت معكِ عن زوجة أبيك، لذا أنتِ تنتقلين الأن لمصر.

اجتاح الحُزن عينيها وهي تقول له:

- لما لم تُخبرني أنت من قبل؟!

نظر حوله بريبة:

- ليس لدي وقت كبير، خذي هذه البوصلة واحتفظي بها في مكانٍ سري، وسوف تجدين الحجر الخاص بها الذي سيجعلها

تعمل وتُخبركِ بمكان أختك في جُحر الحية الموجود في حديقة الحيوان.

جحظت عينيها قائلة:

- وكيف سأحصل عليه؟!

ابتسم إليها، وهو يُمسك كلتا كفيها، ليربت عليها قائلًا بنبرة حانية:

- هل هذا سؤال يليق بفتاة انتصرت على عدار وأبيه؟! وحملت نفسها دون مساعدة من أحد كي تبحث عن أختها التي لم تعرف بوجودها سوى من بضع ساعات؟!

أكمل هامسًا قبل أن يختفي:

- بالتأكيد سوف تتدبرين أمرك.

عادت آنا إلى حاضرها وهي تُمسك بيدها البوصلة تعطيها لأبريال وهي تجيب:

- هذه هي التي دلتني عليكِ.

اتسعت عين عاتق بحيرة وهو يسألها:

- كيف استطعتِ الحصول على هذا الحجر؟!

رفعت زاوية فمها بابتسامة وهي تقول له:

- مساعدة صغيرة من صديقٌ قديم.

اعادت النظر لأبريال التي وجدتها تتأملها بحنانٍ، وهي ما زالت متسمرة مكانها مثل الحجارة، لتُبادر آنا بالاقتراب منها وهي تمد يدها إليها بالسلام، فسحبتها أبريال إلى أحضانها لتتشبث بها بقوة وهي تقول لها:

- لقد عشت سنوات كثيرة بدون أهل ولا أقارب، أنت حقًا لا تتخيلين سعادتي بلقياكِ يا آنا.

ربتت آنا على ظهرها برقة وهي تقول لها:

- حياتي ليست مختلفةٌ عنكِ كثيرًا، فقد افتقدت شعور الأخوَّة طوال حياتي يا أبريال ولم أتردد لحظة في البحث عنكِ بعد دقائق من معرفتي بوجودك.

ابتعدتا عن بعضهم البعض، وكلاً منهما تمتلئ عينيها بدموع اللقاء. لتعودا لأحضان بعضها البعض مرة أخرى. لتردد آنا بخفوت:

- أعدكِ أنني لن أسمح لمخلوقٍ أن يفرقنا ثانيةً.

انتفض جسد الاثنتان حين اندفع باب المنزل بقوة ليسقط أرضًا ويسقط بالقرب من أقدامهم، عادت الفتاتان إلى لخلف حين ظهر ضباب الكثيف من خلف الباب الساقط، ليتقدمهم عاتق بجسدٍ غاضب حتى اختفى الضباب، وانكشف هو ومن بداخله بوجهٍ جامد وملامح قوية.

خرجت من فم آنا شهقة عالية تختلط بها الدهشة مع الغضب الشديد، لتجد عاتق يقترب منه وقبل أن يلكمه أمسك عدار بقبضته وهو يقول لهُ:

- هل تظن أن هالتك المُقدسة سوف تحمي منزلكَ مني؟!

ثم دفعه بقوة فسقط عاتق على الأرض، ليضع عدار كفهُ على فمه قائلًا:

- يا إلهي، هل تركت قوتك في السماء قبل أن تقابل هذه الفتاة يا رجُل؟

خطت آنا بعنفٍ نحوه وبكلتا كفيها دفعته في صدره بغيظٍ شديد، وهي تقول له:

- هل خدعتني للمرة الثانية يا حقير؟! كيف جرؤت أن تفعل

بي ذلك.

رفعت كفها من أعلى صدره لتصفعه على وجهه فأمسك كفها سريعًا قبل أن تصل إلى وجنته، وقال بنبرة تحذيرية:

- اهدأي يا آنا.

في هذه الأثناء انحنت أبريال نحو عاتق لتساعده على الوقوف، وهي تسأله بقلقٍ:

- من هذا؟!

لم يجبها، وانطلق للداخل كي يجلب سوطه من مخبأه السري وهو يصك أسنانه بغضبٍ، وحين أمسكه عادت له قواه ليتلألأ السوط مثل نجوم الليل في يده، ولمعت عيناه السوداء ببريقٍ خاصٍ وهو يخرج من الغرفة بسرعة جنونية، ليجد آنا ما زالت تصرخ به:

- كنت تحاول إقناعي بالعودة وأنت تعلم جيدًا أنني لن أفعلها، لذا استمريت في تحذيري لكي تجعلني أصرَّ بشدة على البحث عنها حتى تعرف أنت مكانها أيها الحقير.

سحبت كفها من يده لتضربه على صدره ثانيةً وهي تردد بنفس الصراخ:

- منذ أن علمتُ بحقيقتك وأنا لا أثق بكَ على الاطلاق، ولكنك كلما واجهتني حاولت التودد لي كي أثق بكَ ولكنك مهما فعلت لن تقترب ولا حتى إنش واحد يا أيها الحقير.

ترك لها جسده لتُفرغ به غضبها لتستطرد آنا بصيحة شديدة:

- أغرب عن وجهي، لا أريد رؤيتك مهما حييت. وإن جرؤت مرة أخرى على الاقتراب مني سوف أقتلك يا عدار، وأنت تعرف أنني أستطيع فعلها.

فاجأها عاتق بأن أمسك بذراعها بقوة ليجرها للخلف حتى كادت أن تقع أرضًا، ليستشيط عدار غضبًا مما فعله، فأثنى قبضته كي يضرب وجهه وهو يزعق به:

- كيف تجرؤ على لمسها يا أيها الحشرة!

تجنب عاتق لكمته بأن انحنى بظهره للخلف، ثم عاد منتصبًا يضربه بالسوط على رأسه، فأمسك عدار بطرف السوط قبل أن يلمس جسده، حتى جرح السوط يده من حدته بقوة، ولكنه تحمل هو يلفه على ذراعه ويجر به عاتق وعيناه محمرتان بغضبٍ واضح.

أمسكت أبريال بذراع آنا وهي ترتجف بخوفٍ متسائلة:

- من هذا الرجُل يا آنا؟!

حاوطتها آنا بذراعها وهي تجيبها بانفعال لم تتخلص منه بعد:

- لا تخافي يا أبريال فهذا الرجل لا شيء، لن يستطيع أن يمسكِ بسوء.

تطور عراكها حتى تحطمت أجزاء من الحائط، لتبدأ الفتاتان بالصراخ والارتعاد ممًّا يحدث حولهما من هذا القتال المُميت حقًّا. لمح عدار عين آنا المذعورة، فسحب عاتق نحو النافذة الكبيرة التي تتوسط الصالة، ثم قذف بجسده خارجها، ليُمسك عاتق برقبته وهو يسحبهُ خلفه. صاحت أبريال بفزعٍ شديد وهي تركض نحو النافذة وخلفها آنا التي كانت تنظر نحوهما بصدمة كبيرة، لتنحني أبريال تنظر للأسفل، فركضت آنا مسرعة تتمسك بملابسها وهي تصرخ بها:

- ما الذي تفعليه يا مجنونة؟!

عادت أبريال للخلف وهي جاحظة العينين:

- لم يسقط أحدٌ منهم للأسفل!

تأففت آنا بضجرٍ وهي تقول لها:

- مع هؤلاء لا تنظري للأسفل، بل عليكِ النظر للأعلى.

ضمت أبريال حاجبيها بتعجبٍ وهي تسألها بقلقٍ:

- بالفعل عاتق يملك جناحين، ولكنه لم يرتدهما قبل أن يسقط.

رددت آنا بحيرة:

- كيف عليه أن يرتديهم؟!

رفعت أبريال كتفيها قائلة:

- لا أعلم، ولكنه حين وصل لي قبل أن أُقتل مرتين حلق بي في السماء بأجنحته، ولكنني فقدت الوعي حينها ولم أره حين عاد كيف خلعهما.

خبطت آنا بباطن كفها على جبهتها بغيظ قائلة:

- هل أخبركِ هذا الرجل بحقيقته؟!

هزت أبريال رأسها إيجابًا وهي تقول بثقة:

- نعم، أخبرني أنه ساحرٌ كبير.

صكَّت آنا أسنانها وهي تضرب كفيها ببعضها البعض قائلة:

- لا أعلم هل العيب في صنف الذكور هذا فقط، أم في جميعهم منذ خلق الله آدم؟

لم تفهم أبريال ما ترمي إليه، فتساءلت بحيرة:

- ما الذي تقصدينه؟!

أجابتها آنا وهي تضع يدها على كتفها:

- هذا الرجُل ليس بساحر، هو حارس سماء، ومهمتهم هي القبض على الشياطين التي تتعاون مع السحرة مثل عدار الذي يقاتله الآن.

تجمدت ملامح أبريال، لتتعجب آنا لها، فوضعت سبابتها على وجنتها لتقرصها بخفة:

- ما بكِ يا فتاة؟! لقد تجمدت ملامحك فجأة!

هزت أبريال رأسها مرددة:

- لم أفهم شيء! ما معنى حارس سماء؟! وهل هذا الرجل

الشرس هو شيطان؟ وكيف تعرفينه!

وقبل أن تشرح لها آنا كل ما خُفي عليها، اندفع الرجلان من النافذة مجددًا ليسقطا على الأرض، ففزعت الفتاتان بشدة، تريان كل واحد منهما مُمدد على ظهره وجسدهُ ملئٌ بالجروح العديدة، ومن الواضح أنه لم ينتصر أحدٌ منهم وخسر الاثنان المعركة.

* * *

اليوم السادس
٦ - آذار

وجد نفسه يقف منتصف أحد الشوارع الرئيسية والناس يسيرون من حوله في كل مكانٍ، كان يشعر بالتيه الشديد، فهو لا يعرف ما الذي جاء به إلى هنا وماذا عساه أن يفعل؟

وجد ضوءٌ أحمر ينير وينطفيء أمامه، ثم تحرك بشكلٍ لولبي كأنه يدعوه لإتبّاعه، استجاب جاد لهذه الإشارة وسار خلفه حتى أسرع الضوء فأصبحت خطواته تُشبه الركض، كان الضوء ينحرف تارةً لليمين وتارةً لليسار دون توقف، وجاد يركض خلفه بأقصى سرعة حتى بدأ الضوء يتباطىء، إلى أن انحرف لأحد الاتجاهات، ثم توقف أمام مكانٍ واسعٍ وكبير، لكنه يخلو من البشر!

نظر حوله بريبة، فتلاشت المباني واحدًا تلو الآخر، حتى فرغ المكان تمامًا لتنفرج أمامهُ صحراءٌ قاحلة، اندهش جاد لما يحدث وهو يستدير للخلف، وفجأة بدأت تظهر شواهد القبور!

ارتفعت نبضات قلبه مع تصاعد أصوات الغربان التي كانت تحوم فوقه، رفع رأسه ينظر إليهم، ليشعر باهتزاز الأرض تحت قدميه، ويبدأ أحد هذه الشواهد بالتحرك، فثارَ في نفسه فزعٌ

شديد جعله يلتقط أنفاسه بصعوبة وقدماه مثبتتان بالأرض، ترفض الخضوع له كي يهرب من هذا المكان المرعب.

وقع الشاهد أرضًا ليتفتت فور وقوعه، إنهار التراب بالتحرك مثل الأمواج الهائجة، ليجد زوجتهُ تقف أمامه بكامل هيئتها وهي ترتدي فستان أبيض من الحرير الفضفاض، اقتربت منه بهدوء ملامحها ودون أن تُبدي أي تعبير على وجهها، حاول الهروب ولكنه ما زال مُقيدًا لا يستطيع الحركة، وقفت قبالته تنظر لعيناه نظرةً لم يستطيع تفسيرها، لتقترب من أذنه هامسة:

- لقد استخدم الكاهن أعضائي التي سلمتها لهُ في تعويذةً ستُعيد روحي المُعذبة لمكانٍ ما، وحين أعود سوف أجد طريقة للوصول إليك يا ولهان، ووقتها فقط ستذهب معي إلى قعر الجحيم حيًا.

أنهت جملتها وهي تصرخ حتى أفاقَ صارخًا بصوت عالٍ، ليجد هياه جواره، تهزّه من كتفيه، قائلة بصوت مرتفع وصل أذنيه بعد عناء:

- ما بكَ يا جاد؟ هيا استيقظ..هيا.

وضع كلتا كفيه على أذنيه حتى يقلل صوت صراخ زوجته الذي مازال يسمعه بوضوحٍ حتى الآن، لتقوم هَياه بسرعة كبيرة وتجلب له كوبًا من الماء. ناولته الكوب وهي تحثه على أخذه

ولكنه لم يستمع لها وكفيه فوق أذنيه يضغط عليهما بقوةٍ كبيرة، وضعت كفها على كفه الأيمن وحاولت نزعه، ولكنه كان يقاوم حتى استطاعت أن ترفعه من على أذنه وهي تقول له بحزمٍ وصوت عالٍ:

- اشرب الماء في الحال.

نظر في الكوب الذي يتمسك به، ثم رفعه على فمه باهتزازة واضحة دون اعتراض حتى أنهي نصفه وسقطت بضع قطرات على صدره العاري. وضعت هَياه في فمه حبتان من المُخدر ليبتلعهما على الفور وهو ينهي باقي الماء، ثم ترك الكوب من يده ليسقط أرضًا متحطمًا لأجزاءٍ صغيرة.

أمسكت هَياه كفيه وأغمض هو عينيه بقوة حتى بدأ صوت صراخ زوجته وتهديدها يضعُف شيئًا فشيئًا حتى تلاشى نهائيًا بعد أن سرى مفعول المُخدر واندفع في دماءه، فتحت عينيها على وسعهما وهو ينظر لوجه هَياه الذي ما زال يحمل الذعر بين طيات ملامحه الحادة؛ لتنفرج شفتيه بابتسامة عابثة وعيناه تحوم حول جسدها العاري بهياجٍ واضح جعلته يسحبها بقوة ليضعها أسفل جسده قبل أن تفتح فمها بأي اعتراض.

تركته يُفرغ خوفه وغضبه وكل مشاعره المتضادة في جسدها، فقد تناولت حبتان قبله لذا هي لا تشعر بأي ألم رغم رؤيتها للجروح التي يفعلها بقوة في جميع مناطق جسدها التي بدأ

بعضها يقطرُ دمًا، إلا أنها اندمجت معه في هذه الممارسة الشاذة والغريبة حتى توقفا بعد ساعتان، أو بالأحرى حين بدأ المخدر ينحسر من أجسادهم البالية، انفاسهما مضطربة كاضطراب عقولهما. وبذراعٍ ترتعش، شدت حقيبتها لتُخرج منها كيس بلاستيك صغير به بودرة بيضاء (كوكايين)، ثم التقطت ورقتان من المال من فئة المئة، لتفرد أحدهما وتناول جاد الكيس والورقة الأولى، ليضع عليها المُخدر ريثما تلفُ هي الورقة الأخرى كي تستنشق المسحوق من خلال انفها، انتهت من جرعتها، واعطته الورقة حتى يأخذ الجرعة الأخيرة، فعل ذلك ثم رمى الورقتان من يده ليقعا أرضًا، قبل أن يتمدد على ظهره جوارها. ساد الصمت بينهما للحظات قطعته هَياه وهي تسأله:

- ما الذي رأيته في الكابوس؟

أجابها وعيناه تحدقان بسقف الغرفة:

- زوجتي التي قتلتها منذ يومين.

أدارت رأسها نحوه قائلة بهدوء:

- ماذا فعلت بها؟

تنهد وهو يشرح لها جريمتهُ بهدوءٍ شديد:

- جعلتها تشرب بعض من المُخدر الذي وضعتهُ في مشروبها قبل أن تستيقظ، وحين فقدت الوعي؛ هاتفت أمها وأخبرتها أنني استيقظتُ ولم أجدُ ابنتها وطلقتُها عبر الهاتف، عدتُ لزوجتي وذبحتُها أولًا، وبعدها قطعت أعضائها التي طلبها الكاهن ووضعتها في قارورةٍ كبيرة، وبعدها نظفتُ جسدها بالماء من دمائها ونظفت المكانُ جيدًا، وقمتُ بلف جسدها بالشراشف ثم وضعتها في السيارة وانتقلتُ بها نحو مقابر عائلتي بعد منتصف الليل، وهناك دفعتُ للحارس خمسة آلاف جعلتهُ يفتح لي المقبرة كي أدفنها بها، وبالطبع هو يعرفُني جيدًا ويعرف أنني أدرس الطب، لذا اقنعتهُ أنها أحد الجُثث التي أعمل عليها وأحتاج إلى دفنها بعدما انتهيت منها فلم يشكُ بشيء، عدت للمنزل وقمت بتنظيفه مرة أخرى مع السكين التي استخدمتها، ولكن هذه المرة استعنتُ بأدواتٍ خاصة من المنظفات التي تزيل الدماء ولا تترك أثرًا، وبعدها اغلقت الشقة وانتقلتُ إلى هنا بعدما أبلغتُ أحد السماسرة أن يعرضها للبيع.

كانت تنظر إلى ملامحه الساكنة بتعجب وهو يقص عليها جريمته بكل بساطة، لتسأله بصوت اهتزَّ بخوف ظاهر:

- وما الذي فعلته لكَ في حلمك؟

استدار ونظر إلى وجهها، لكن عيناه كانتا شاردتين بوضوح وهو يقول لها:

- اخبرتني أن الكاهن قد استخدم اعضاءها في تعويذة سوف تعود من خلالها لتنتقم مني.

اعتدلت هَياه جالسة وهي تقول:

- إذًا علينا أن نُسرع في خطتنا، لأنها إذا نجحت فلن يستطيع أحدٌ في هذا العالم أو أي عالم آخر أن يؤذيك ما دمت ستبقى إلى جوار آبيغور.

جلس يستند بظهره على الفراش وهو يسألها بريبة:

- وما الذي جعلكِ تثقين في كابوسٍ كهذا وتوقنين من أنها سوف تعود بالفعل؟!

فتحت فمها ليرتفع صوتها بضحكة عالية، ألحقتها بجُملة صادمة بالنسبة لهُ:

- هل تعتقد أن الكاهن طلب منك أعضاء زوجتك الحميمية لكي يحتفظ بها في عارضة انتصاراته الزجاجية؟

انعقد لسانه وتوقف عقلهُ وهو لا يفهم شيئًا ممَّا تقول، لتستطرد هَياه:

- هل تعلم أنتَ كيف أخذ الكاهن الأكبر هذا منصبه؟

ضيَّق عينيه، فأكملت:

- بمجاورة أحد الشياطين الأرضيين لفترة طويلة حتى يُصبح ساحرًا عظيمًا يفعل أي شيء وكل شيء ليؤذي البشر، ثم بعدها يبيع جسده لهذا الشيطان ويلتحم معه ليصبح الاثنان جسدٌ واحد، حينها فقط يُنَصب كاهن فوق الأرض والمُرسل من قِبل القوة السُفلية، ووقتئذٍ يُصبح القائد الاعلى لعدة مجموعات في بلاد كثيرة.

اضطربت ملامحه حين تأكد من كلام هَياه أن ما راه ليس كابوسًا عابرًا، وأوجعهُ البعض من ضميره الذي لم ينفك بعدُ عن لومه على فِعلته، بل هو بالفعل حقيقة مؤلمة و واقع لو لم يقرر تغيره سيتحقق بأبشع الطرق.

انحنت هَياه لتُخرج الكتيب الأسود من حقيبتها وهي تفتحه قائلة:

- سوف نجدُ مواصفات الروح السابعة هنا، ولن يكون أمامنا سوى البحث بأقصى سرعة، وحين نحصلُ عليها علينا إيجاد كتاب فيه الطقوس الخاصة بالقِداس الأحمر وتحضير آبيغور، وحينها نسلمهُ الروح ونحظى بالمكافئة.

سألها وهو يحك رأسه بحيرة:

- ولِمَ لا نسلم هذه الروح للكاهن وهو يفعل الباقي؟

أجابته بنفاذ صبر:

- لو سلمناها للكاهن فسيحصل هو على الجائزة.

ثم أردفت بضيق:

- من أين جاءتك هذه الثقة بالكاهن؟! نحن لا نثق في الكاهن فوق الأرض ولا في الشر الأعظم ولا أي أحد من أعضاء المجموعات التي لا نعرفهم جيدًا. أنت في جُحر الشياطين يا جاد، هل تعي ذلك؟!

ضيَّق عينيه وهو يردد:

= ولِمَ عليَّ أن أثق بكِ إذًا؟!

رفعت زاوية فمها بابتسامة متهكمة وهي تفتح أولى صفحات الكُتيب الصغير:

- لأن مصلحتنا واحدة، وأنا لست منافسة لك بل بالعكس؛ أنا أقل منك في الدرجة لأنك خطوت خطوتك الأولى وأنا لم

أفعلها كما أخبرتُك من قبل.

وضعت كفها داخل الغلاف حتى لا ينغلق الكُتيب واستطردت:

- وقبل أن تتساءل عن مصلحتي سأخبرك أنكَ حين تفوز بالجائزة بالتأكيد فسوف أكون بجوارك، أليس كذلك؟

أومأ برأسه وهو مازال يتفكر في كابوسهِ وفي كل ما أخبرته به للتو، فنطقت هَياه وهي تنظر للسطور المدونة بخط اليد بالحبر الأسود:

- يقول أن الروح المطلوبة يوجد في كف يدها اليُمنى خطٌ مستقيمٌ ومتصل يقطعها بشكل عرضي، وفي عينيها بريقٌ خاص، ويجب أن تكون الروح لطفلٌ لم يبلغ بعد، أو شابٌ، ولكنه موشومٌ منذُ الصغر بوشم آبيغور، وعلى من يجد الروح أن يسلمُها قبل الثالث عشر من آذار وإلا لن ينجو من الهلاك.

حدقا بعضهم ببعض لثوانِ معدودة قبل أن يتساءل جاد بقلق:

- لم أفهم شيء من هذه العلامات، وفوق هذا ما الذي يقصده بأننا إن لم نسلمها قبل الثالث عشر لن ننجو من الهلاك؟!
كيف سيعرف آبيغور إننا نبحث عنها ويجب أن نسلمهُ إياها؟

قلبت هَياه الصفحات، لتجد الاجابة:

- قبل أن تقوم بالبحث الجاد عليك القيام ببعض الطقوس التي ستساعدك على إيجاد هذه الروح، وتُجند لك بعض من الشياطين لتُعينك على العثور عليها في أسرع وقت، وأخيرًا لكي يعلم آبيغور من يساعده ويُقدسه حقًا، وعليه فإن من يسلمها في الوقت المناسب سيحظى بالجائزة الكُبرى ولن يشقى بعدها قطُّ.

* * *

تسلل ضوء الشمس عبر النوافذ الزجاجية، ففتحت أبريال عينيها بصعوبة، لتُهاجمها آلام جسدها المتفرقة من النوم على الأريكة منكمشة وهي تكوِّر جسدها متكومة في أحد أطرافها.

اعتدلت متثائبة بعينان شبه مُغمضتان وهي تتآوه بخفوت عند أي حركة تفعلها، لمحتهم يجلسون أمامها، فاختضت بحرجٍ وهي تنظر لعاتق الذي يجلس على مقعد وفي المقابل عدار تتواسطهم آنا، ضمت حاجبيها واعتدلت في مجلسها بقلقٍ واضح وهي تسأل آنا:

- هل غفوت ونحن نتحدث؟

نظر عاتق إليها وهو يرفع زاوية فمه بعبثٍ، بينما حدق بها

عدار بنظرة حانقة لأن آنا أمرتهم بألا يُصدر أحدهم صوتًا حتى تستيقظ أبريال، لتُجيبها آنا بلُطف وهدوء:

- لا عليكِ يا حبيبتي، فقد ظهر عليكِ الارهاق الشديد.

نقلت بصرها من عاتق إلى عدار، ليقف عاتق معلنًا:

- سوف اصنع لها القهوة لأنها ما تزال نائمة الآن.

وقفت أبريال قائلة بحدة:

- لا أريد منك شيئًا.

ضيَّق عينيه وهو يقترب منها قائلًا:

- لماذا؟

احمرَّت وجنتيها بغضب:

- لم أعد أثق بكَ، فأنت رجلٌ كاذب!

رفع حاجبيه بدهشة، ليسمع ضحكةٍ استهزاء صدرت من عدار، فاستدار نحوه بغيظٍ، فرفع الأخير كفه:

- لا تؤاخذني.

حدقت به آنا فاستطرد:

- لا تنظري إليَّ هكذا يا حبيبتي، فأنا شيطان والكذب أهم خصالي!

ثم أشار نحو عاتق وأكمل:

- أما هذا فالمفترض أنه حارس سماء، ولا أعتقد أن بعد هذا المنصب ثمة هناك حديث عن الكذب أو الخداع.

اقترب منه عاتق بسخطٍ وهو يدفعه في صدره:

- وهل من المفترض أن أخبر العامة عن حقيقتي يا أيها المحتال؟!

قرَّب عدار وجهه منه بعينان حمراوان وقال بفحيح يشبه الأفعى:

- لا تلمسني مرة أخرى وإلَّا...

دفعه عاتق مرة ثانية قبل أن يكمل جملته، فوقفت آنا بينهما صارخة:

- توقفا الآن.

تجمَّد الاثنان مكانهما، فاردفت وهي تنظر نحو عدار بحنق:

- وأنا لست حبيبتك.

عادت للخلف وهي تشير إليهما:

- اجلسا من فضلكما وإلا أخذت أختي وغادرنا من هنا، وحينها أقسم لكما بأنني إذا صادفت وجه أحدكما فلن أتردد للحظة في تدميره.

جلس كلًّا منهما على مقعده، فاستدارت آنا نحو أبريال لتجدها تقف تائهة بينهم ومن الواضح على ملامح وجهها أنها لا تدري بالفعل ماذا يحدث حولها، فاقتربت منها وأمسكت ذراعها:

- تعالي معي لنحُضّر قهوتنا لأنني احتاجها بشدة.

ثم عادت والتفتت نحو عاتق وعدار:

- وأنتما؛ لا تتحدثا مع بعضكما البعض حتى نعود.

لمحت عينا عدار الشاردة، لتجده يختفي من أمامهم قائلًا:

- سأعود بعد قليل.

وقف عاتق ليخطو تجاههم وهو يتطلع نحو أبريال:

- أريد التحدث معكِ.

تركت آنا ذراعها واتجهت ناحية المطبخ:

- سأُعد لكِ قهوتك معي، لكن كيف تحبينها؟

سبقها عاتق وهو مازال يراقب ملامحها الممتعضة:

- تشربها في كوبٍ كبير بالحليب وليس الماء، ودون سكر.

ابتسمت آنا بخفة، يبدو أن عاتق قد اهتم بشقيقتها بشكل كبير لدرجة أنه يعرف قهوتها المفضلة بالتفصيل.

تحركت أبريال نحو أقرب مقعد منها لتجلس عليه، فتبعها عاتق ليجلس أمامها بتوتر ظاهر:

- أنا لم أكذب عليكِ عمدًا يا أبريال.

رفع رأسه ينظر لعمق عينيها التي تُشبه لون المحيط وهو

هادئ، بينما مقلتيها تموجان بمشاعر مضطربة رغم السكون الظاهر عليهما، تطلعت بدورها لحدقتيه اللتان كانتا تلمعان بضوءٍ لم ترى مثله من قبل، ليأسرها بهذه النظرة العميقة منذ أول لقاء بينهما. شعرت أنه يسحبها بقوة لعالمه، فوقفت تخبره بنبرة مرتعشة وهي تتجنب النظر لعينيه مرة أخرى:

- ما الذي تريده مني يا عاتق؟

وقف قبالتها ليجبرها على مواجهته وهو يسألها:

- هل تشكين في أنني أريد حمايتك يا أبريال؟!

لمعت بعينيها دموع حبيسة، وأجابته:

- أنا لا أعرف حقًا ما الذي يجب عليَّ الوثوق به.

اقتربت منها آنا، تناولها كوب القهوة خاصتها وهي تربت على ظهرها بلطف:

- أنا معكِ يا أبريال، وأعدك أنني ما دمت هنا لن يمسك أحدٌ بأذى.

ثم أردفت:

- اجلسي يا حبيبتي.

حركّت أبريال بصرها، ممتنة لوجود أختها معها في هذا الوقت الحالك الذي تمر به، ثم عادت للجلوس مكانها، لتقبع آنا إلى جوارها، وتوجه الحديث إلى عاتق:

- كيف عرفت بأمر أبريال؟

وقبل أن يجيب أوقفته لتستطرد:

- على حد علمي أن حراس السماء لا يتدخلون في شؤون البشر، فما الذي حملك على فِعل ذلك؟

ارتبك للحظات من سؤالها المفاجىء، قبل أن يجيب وهو ينظر نحو أبريال:

- لقد كنت أنا مَنْ رصد حركة في بيت جدكِ.

سألته أبريال وهي تضع كوب القهوة فوق المنضدة:

- لم أفهم! أي حركة؟!

عادَ يستند على ظهر المقعد ليقص عليها ما حدث:

- نحن نُقسِّم دوريتنا لمراقبة ما يحدث من مخالفات السحرة، وحينها كان جدك يصنع تعويذة بواسطة أحد الشياطين حتى يُعيد الأرواح الست كما أخبرتك من قبل، فهبطت للقبض عليه، لكنني وجدتكِ بالداخل، فشتتِ انتباهي للحظات وأنا أحاول أن افهم سبب وجودكِ، وفي تلك اللحظات استغل الشيطان حيرتي وقام بالهجوم عليَّ لكي يُكمل جدكِ التعويذة، استمر عراكنا لوقتٍ ليس بقصير ليتوقف كلانا بعدما حدث شيء لم أفهمه حتى الآن، وعلى إثرهُ هرب الخسيس ومات جدكِ واختفيتِ من الغرفة.

ضيَّقت أبريال عيناها قائلة:

- لا أفهم ما الذي حدث.

هزَّ رأسه قائلًا:

- وميضٌ مثل الضوء الشديد، ثم أظلم كلَّ شيء بعدها. فصعدت لأبلغ الملكة ما حدث، فأمرتني أن أبحث عنكِ وأن تظلين تحت عيناي إلى أن يتضح الأمر، وأنتِ تعرفين البقية.

نظرات آنا المُدققة جعلته يحدق بها وهي تستوضح نقطة ما:

- من هو الشيطان الذي تعاركت معه وقتها؟

فهم ما ترمي إليه، فزفر بضيق، ووضح:

- اللعين...

وقبل أن يُكمل جاءَ صوت عدار من خلفه:

- بالطبع أنا.

رفعت آنا زاوية فمها بابتسامة متهكمة وهي تقول بخفوت:

- لم أجد لعينٌ مثله على هذه الأرض.

اختفى من أمامها ليظهر خلفها وهو يدنو ليصل لأذنها ويهمس:

- حقًا لعين، لكنه الوحيد الذي امتلك قلبك.

ارتجفت حدقتيها بتوتر وهي تحرك رأسها تنظر لعيناه التي تلونت بالأصفر مثل الأفعى، لتهمس لهُ بالقرب من أذنه كما فعل:

- لا تتوهم يا عدار، فما تريده ستجده في أحلامك.

ابتسم بهدوء وهو يعود لمقعده قائلًا:

- لا تروادني الأحلام يا آنا، بل أنا من يقتحم كوابيسكم.

اهتزَّ جسد أبريال برعبٍ منه، فأمسكت آنا ركبتها التي ترتعد بقوة لتوقفها وهي تميل برأسها نحوها:

- اهدأي ولا تخافي، فلن يستطيع لمسك، ولا حتى في كوابيسك.

رفع عدار كلتا كفيه باستسلام:

- أمركِ يا مولاتي.

استقرت نظرات آنا عليه وهي تسأله:

- ما الذي تريده من أبريال يا عدار؟

ثم رفعت حاجبيها وهي تحذره بسبابتها:

- حاول ألَّا تكذب.

أجابها وهو يرفع كلتا قدميه فوق المنضدة ويضع كفيه خلف رأسه:

- استخراج الأرواح الست من جسدها، وسوف أجد أنا

السابعة بمعرفتي.

انتفض عاتق وهو يركله بقدمه حتى عادَ المقعد للخلف، وقال له بغضب شديد:

- أنتَ تعرف جيدًا أنها ستموت إذا فعلت ذلك يا أيها الحقير.

وقفت الفتاتان وكلًّا منهما في حالة مختلفة؛ آنا تتمتع بثباتٍ تحاول الحفاظ عليه، بينما يرتعش جسد أبريال بخوفٍ واضح. ترك عدار المقعد واقترب منه محذرًا بغيظ:

– هذه هي المرة الثانية، اقسم لكَ أنني لن امررها في الثالثة، وحينها ستنتهي حياة أحدنا وأنت تعرف أنها بالتأكيد لن تكون حياتي.

اقتربت آنا منه، تجره من ذراعه، ليقفا في موضع بعيد عن عاتق لكن ما يزال صوتهما مسموع:

- كيف تنوي فعلها؟

خطى عاتق بحدة وهو يصيح بها بشدة:

- هل ستأمنين هذا الشيطان على روح شقيقتك؟

نظرت نحو عاتق قائلة بلوم:

- أرجوك اهدأ يا عاتق، نحن نبحث هنا عن حل. الأيام تمرُ سريعًا إذا لم تلاحظ واليوم هو السادس.

تجهم وجه عاتق وهو يقول لها:

- الحل عندي ونحن لا نحتاج إلى هذا الخبيث.

اكفهر وجه عدار واحمرَّت عيناه بحقدٍ، فوضعت آنا كفها على صدره لتوقفه قبل أن ينفجر بينهما شجار آخر وهي تقول له:

- ما هو الحل الذي تملكه يا عاتق؟

أجابها عابسًا:

- بالتأكيد لن أخبرك به أمامه، وأيضًا ليس هنا. المكان أصبح خطرًا بعدما وطأته قدماه.

رفعت رأسها تنظر لعدار وهي توجه حديثها إلى عاتق:

- إذًا جد لنا مكانًا آمنًا.

لمحت الصدمة في عين عدار الذي نزع كفها المستريح على صدره وهو يقول لها بضيق شديد:

- ألهذه الدرجة فقدتِ الثقة بي يا آنا؟!

اختفى عاتق من المكان ليبحث عن آخر وهو يُفكر في طريقة تمنع عدار من الوصول إليهم حتى لو قام بتتبعهم، ومن خلفه انسحبت أبريال من أمامهم لتسير نحو غرفتها ببطء شديد، تحمل هموم العالم على كتفيها وقلبها يثقُل بشدة داخل صدرها حتى أنفاسها تضيقُ شيئًا فشيئًا، جلست على الفراش وعينيها مثبتتان على الحائط أمامها لا تُحيد عن موضع واحد وكأنها ذهبت في ثباتٍ غريب.

صكَّت آنا أسنانها بغضب وأجابت سؤال عدار بحدة:

- أنا لم أثق بكَ منذ أن عرفتك يا عدار حتى أفقد بك الثقة الآن، وقد أخبرتك بهذا مرارًا لكنك لا تصدق.

أمسك مرفقها بقوة وهو يقربها منه قائلًا:

- وثقتِ بي عندما أحرقتِ الكتاب وأنتِ تعلمين أنني سوف أنقذك، ووثقتِ بي حين دفعتِ بنفسك من فوق الجبل وأنتِ تعرفين أنني سألحق بكِ.

سحبت مرفقها من يده بعنفٍ وهي تكمل عنه:

- ووثقت بكَ أيضًا حين صدقت بأنك راهبٌ ملعون لأكتشف بعدها أنكَ شيطانٌ كان كل غرضه أن يوقعني في حبه حتى أخرج بالمخطوطة من الدير وأنفذ خطة أبيه الملعون، ووثقتُ بمشاعركَ نحوي وصدقتُ خوفك وقلقك عليَّ حين حذرتني بالعودة وعدم الذهاب لشقيقتي، وأنتَ تريد أن أفعل عكس ذلك حتى تصل إليها.

دفعته بكلتا يديها على صدره بقوة وهي تردف بغيظ:

- أخبرني أنتَ بأي عقل يُحتم عليَّ أن أظل بهذه السذاجة واستمر في تصديقك والوثوق بك يا أيها النذل؟

قبض على كفيها يأسرهما بين كفيه حتى لا تبتعد عنه، وحدَّق بها قائلًا:

- لا تتبعي عقلكِ يا آنا، بل اسمعي صوت قلبكِ الذي يُخبركِ دومًا بعشقي لكِ.

حاولت أن تجذب كفيها ولكنه تمسك بها، لتهدر به:

- توقف عن قول هذا الهراء، واترك يدي.

هدأت نبرته وهو يقترب بوجهه منها:

- هذا ليس بهُراء أنه الحقيقة، لماذا تنكرينها لهذا الحد؟!

حدقت بعينيه شزرًا وهي تقول:

- هل السبب هو طبيعتك الشيطانية مثلًا؟!

ارخى قبضته التي يحكم بها كفيها وهو يقول لها بيأس ظهر في صوته:

- ولما لا تحاولين تقبُل طبيعتي يا آنا؟

سحبت يدها سريعًا، وهي تحرك رأسها برفضٍ مجيبة بصوتٍ مهزوز:

- لا أملك هذه الشجاعة يا عدار.

وقبل أن يتحدث ثانية أوقفته برجاءٍ وهي تُجبر مقلتيها على الثبات أمامه:

- أرجوك يا عدار أن تبتعد عنا، لو بالفعل تُكن لي أية مشاعر خاصة، اتركني كي استطيع إنقاذ شقيقتي وتخلً عن مهمتك التي كُلفت بها من أجلي.

استدارت تخطو تجاه الغرفة التي دخلت بها أبريال، فانتقل عدار ليقف أمامها وعيناه تستجديان قبولها:

- حسنًا، دعيني أساعدكِ.

هزت رأسها نافية وهي تقول له:

- لو أطعتُ قلبي من قبل كي يثقُ بكِ فهذا لأنني أعلم أنكَ لن تقدر على إيذائي، لكنني لن أستطيع الوثوق بكَ بأمر شقيقتي.. أنا أسفة.

لم تنتظر لحظة واحدة قبل أن تفتح باب الغرفة وتدلف مُغلقة الباب خلفها، ليتوارى وجه عدار عن عينيها حتى اختفى. تركت جسدها يهوي بجوار أبريال التي ما زالت شاردة كما هي، منفصلة عن العالم الخارجي وكأنها دخلت قوقعة خاصة بها واغلقتها على نفسها من الخارج كما تفعل السلحفاة.

رفعت آنا رأسها بتعجب وهي تُجفف دموعها المتساقطة آثر مواجهة عدار التي كان تخشاها مثل الموت، لتنظر نحو وجه أبريال الجامد قائلة:

- أبريال.

لم تُجبها، فكررت النداء وهي تهزها بخفة:

- هل تسمعينني؟

شهقت بقوة فانتفض جسد آنا بذعر:

- ما بكِ يا أبريال؟

قلبها المنتفض كان على وشك الخروج من صدرها وهي ترتعش بقوة وكأنها عادت من الموت للتو، شددت آنا من احتضانها وهي تحاول طمأنتها:

- أنتِ في أمان الآن يا حبيبتي، اهدأي.

سكن جسدها قليلًا، فابتعدت عنها وهي تتطلع لعينيها بحدقتين مرتعدتين:

- لقد تذكرتُ ما حدث في الغرفة مع جدي يا آنا.

وقبل أن تقصُ عليها ما حدث معها، وضعت آنا سبابتها على فمها لتمنعها من الحديث حين شعرت بوجود أحدٍ في الغرفة، ليظهر عاتق على الفور بوجهِ مرتبك وهو يقول لهم:

- لقد وجدتُ مكان آخر، ولكنني سأحتاج بعض الوقت لتأمينه جيدًا، هل ستبقيان هنا في أمانٍ حتى أعود في الصباح؟

رمقتهُ آنا بتركيز وهي تقول له:

- لا تقلق علينا، سنكون بخير حتى تعود.

اختفى من أمامهم، لتنظر آنا نحو أختها تأمرها بألا تتحدث حتى تأكدت من ذهابه بالفعل، لتسألها أبريال بقلقٍ:

- لماذا جعلتني اتوقف عن الحديث حين جاء عاتق؟

نظرت آنا نحوها:

- لأنه جاء خِفيةً منذ أن عُدتِ ولم يُفصح عن وجوده، ومعنى أنه حاول التنصت علينا فهناك سرٌ ما خلفهُ.

رددت أبريال بنبرة متعجبة:

- لقد أنقذني عاتق مرتان، لما لا تثقين به؟

تنهدت آنا بعمقٍ وهي تُمسك كفيها برقة:

- لقد تعودت خلال رحلتي التي متُ في نهايتها ألا أثقُ بأحدٍ سوى عقلي وما يقوله أجدادي.

جحظت عين أبريال وهي تسألها:

- كيف متِ وأنتِ الآن أمامي؟!

ضحكت آنا بخفة وهي تقول لها:

- لقد تم إنقاذي يا أبريال، وبما أننا ما زلنا في منتصف النهار سوف أحكي لكِ عن رحلتي المميتة تلك حتى يغلبنا النعاس.

ثم أردفت وهي تهبط من الفراش:

- ولكن قبلها، دعينا نبحث عن طعام نصنعه في هذا البيت، ولا أريد معرفة ما حدث معكِ في غرفة جدكِ إلا حين ننتقل لمكان عاتق الآمن، وهناك سأعلمك كيف تخبريني بأسرارٍ كهذه دون أن يسمعها أي كائنٌ غيرنا.

* * *

اليوم السابع
٧ - آذار

كان يجلس في صالة شقتهم البسيطة يلعب بعربته البلاستيكية التي ابتاعها من الرجل الذي يقف على ناصية حارتهم الضيقة، حيث يأتي هذا البائع كل خميس، يُصفر بصفارته الحديدية، ليعرف جميع أطفال الحارة بقدومه ويبدأ كل منهم في الضغط على والديه ليعطيه المال كي يشتري لُعبة من عنده حتى يستطيع اللعب مع باقي الاطفال وإلا نبذوه من بينهم، ولكن «سليمان» الذي يبلغ من العمر سبع سنوات قرر اليوم ألَّا يلعب مع باقي أطفال الحي لسبب لا أحد يعلمه سواه.

خرجت والدته «كريمة» من مطبخها تحمل بيدها طبقًا صغيرًا به بعضًا من الأرز المسلوق وعلى سطحه بيضة مقلية، وضعته على المنضدة الصغيرة ثم نادته بحنان:

- قم يا بني لتتناول طعامك.

وقف سليمان، وبخطوات هادئة توجه ناحية مقعده ليجلس عليه، بينما وقفت أمه تنظر له بتعجب وهي تسأله:

- لماذا رفضت الخروج اليوم واللعب مع أصدقائك؟

ثم مالت بجسدها تجاهه وهو يأخذ الملعقة على فمه، لتُردف بقلق ظاهر على نبرتها:

- هل هناك أحد من الصبية يضايقك؟ لا تُخفي على أمك.

ابتلع طعامه وهو يجيبها:

- لا تنشغلي عليَّ يا أمي بل يجبُ عليكِ أن تقلقي على أبي الآن.

ضيقت عينيها بدهشة وهي تقول بتوتر بالغ:

- ما به أبيكَ يا بني؟!

رفع رأسه ينظر إليها بحُزنٍ قائلًا:

- ستعرفين الآن، فقط عليكِ إحضار الهاتف.

أنهى جُملته، لينتفض جسدها حين سمعت رنين الهاتف الخلوي. ركضت مُسرعة تأتي به من غرفة نومها، لتجدهُ رقم غير مُسجل. تلقت المحادثة بيدٍ مرتعشة، ليأتيها صوت أحد الرجال عبر الهاتف وهو يُخبرها:

- هل تعرفين رجُلًا أسمه «محمد فاضل غلاب»؟!

أجابته وهي تبتلع ريقها بصعوبة وصوتها يكاد يكون منعدم:

- نعم أنه زوجي، أين هو؟!

تكلم الرجل بصوته الجهوري:

- في المشفى العام. لقد أصيب إصابة بالغة في حادث مروري، ويجب أن تأتي الآن لكي ننهي بعض الإجراءات.

خبطت كفها على صدرها بقوة، ثم رفعته على فمها لتكتم شهقاتها، ليستطرد الرجل بصوتٍ خفيض:

- نصيحة مني، لا تأتي بدون رجل من عائلته أو عائلتكِ.

أنهى الرجل المحادثة ليُصدر الهاتف رنين متتابع يدل على اغلاقه للخط، بينما هي استمرت على حالها عيناها مثبتتان على الحائط أمامها، تتساقط دموعها مثل الشلال وعقلها عاجز عن التفكير ولا تدري كيف تتصرف في هذه الحالة، فزوجها عاملٌ بسيطٌ في أحد المصانع ليس له أخوة ولا أهل في هذه المنطقة، هو شابٌ مغترب مثل الكثيرين الذي تركوا قريتهم الريفية لضيق العيش.

تعرف عليها في العمل فقد كانت عاملة بسيطة في نفس المصنع، توفى والدها وهي في التاسعة من عمرها وتركهم عشرة من الأبناء كانت هي الصغرى بينهم، وعندما بلغت الأربعة عشر عامًا لحقت أمها بأبيها وتفرق الأخوة جميعهم، تركت مدرستها وبدأت العمل كي تستطيع أن تكفُل نفسها بعدما تركها الجميع، ظلت هكذا من عملٍ لآخر حتى وجدت هذا المصنع فالتحقت به واستمرت في هذه الوظيفة عدة أعوام حتى التقت بهِ، نشبت بينهم قصة حبٍ أسفرت عن زواجهم وتركها لعملها كي ترعى طفلهم الوحيد؛ « سليمان»، مثَّل لها هذا الزوج العائلة بأكملها، وكفاها بإمكانياته البسيطة ضيق الحال والاحتياج لأي شخص سواه.

رفعت هاتفها وبحث عن اسمه حتى وجدته وقامت بضغط زر الاتصال وهي تهتف ببكاء صامت:

- أجب أرجوك يا محمد، أجب واخبرني ماذا أفعل الآن؟!

آتاها صوت النداء الآلي بأن هذا الهاتف مغلق الآن، ارتمت بجسدها أعلى الفراش وهي تنتحب، لتجد ولدها يمسكُ يدها برفقٍ:

- لا تحزني يا أمي؛ سيصبح أبي بخير وسوف يعود قريبًا.

مسحت دموعها سريعًا وهي تحمله لتحتضنه بقوة قائلة:

- بشرك الله بكل خيرٍ يا بني ولا حرمني إياك.

ابتسمت بسعادة وثقة في قول ولدها الذي لا ينفك منذ سنتان عن اخبارها بخفايا وأسرار تخصهم أو تخص المقربين لهم قبل حدوثها، مثل موتِ أحد جيرانهم تارة قبل أن يصل الخبر إليهم، وتارة أخرى عن المال الذي سيأتيهم من أحد مدراء زوجها كمساعدة له وشكر لإخلاصه وتفانيه في العمل، وذلك قبل عودته للمنزل، لدرجة أنه يومها أخبرها كم أخذ بالضبط، وغيرها وغيرها من الأخبار الحزينة والسعيدة على حد سواء، ومنذ أن علمت بهذه الهبة التي وهبها الله لولدها أخفت الأمر حتى عن أبيه.

انطلقت كريمة مُسرعة وهي تسحب ولدها في يدها نحو جارتها أم أسعد بعدما ارتدت عباءتها وحجابها على عجلٍ كيفما اتفق؛ لتُخبرها ما حدث بحزنٍ وبكاء شديد، واحتفظت بالخبر السعيد الذي ألقاه ولدها الصغير على مسامعها منذ لحظات لنفسها. اصيبت أم أسعد بذعرٍ وهاتفت زوجها على الفور وولدها الأكبر كي يسبقونها إلى المشفى، ثم أنهت محادثتها وقالت لها:

- أتركي سليمان عندي يا أم سليمان ولا تقلقي عليه، واذهبي لزوجك يا بنيتي وأنا سأصلي وأدعوا الله أن يعود إليكما سالمًا.

مسحت كريمة دموعها وجلست على ركبتيها لتسأله:

- هل تريد المكوث هنا مع خالتك أم أسعد حتى أعود؟!

أومأ برأسه واقترب من أذنها هامسًا:

- سأكون هنا بخير.

لتوشوشهُ أمه بهدوء:

- لا تخبر أحدٌ ما أخبرتني به يا ولدي.

ثم قبلت وجنتهُ واحتضنته قبل أن تغادر ركضًا إلى الخارج، جلس سليمان على الأريكة الموضوعة بمحاذاة الحائط لتدنو منه أم أسعد قائلة:

- هل أنت جائع يا بني؟!

هز رأسه نفيًا، فربتت على ظهره بحنانٍ قائلة:

- لا تحزن على أبيك يا ولدي سيعود سالمًا بإذن الله.

ردد خلفها:

- بإذن الله يا خالتي.

ابتسمت نحوه وهي تُقبل رأسه، وخطت نحو مطبخها قائلة:

- لقد صنعتُ اليوم حلوى ستعجبك جدًا، سوف أتيك بطبقٍ لتخبرني برأيك.

نظر سليمان من النافذة التي بجواره، فلمح طيفٌ أسود يمرُ من خلالها، فتسمر في موضعه ريثما أقبل عليه الطيف ببطء إلى أن التصق جواره هامسًا، حتى خرجت أم أسعد من مطبخها بيدها طبقٌ من الحلوى تناوله إياه:

- هيا، تذوق وأخبرني.

لاحظت السيدة شحوب وجه الطفل بشكلٍ غريب فوضعت يدها على وجهه بخوفٍ:

- بسم الله الرحمن الرحيم، ما بك يا ولدي؟!

وفي هذه اللحظة صرخ الطيف بجواره واختفى على الفور، عاد الدم لوجه سليمان تدريجياً وهو يقول لها:

- أنا بخيرٍ يا خالتي.

جثت جبهته فوجدتها دافئة، فذهبت نحو الثلاجة لتأتي بزجاجة من الماءٍ البارد لتضع القليل منها في باطن كفها ثم مررته على وجهه برقة، لتناوله بعدها الزجاجة:

- هيا يا ولدي أشرب القليل منها.

أطاعها سليمان فتركته حين سمعت رنين الهاتف، ليعود نفس الطيف إليه بوجهٍ غاضب، ممَّا جعل سليمان يقول لهُ:

- لا تحاول؛ لن أطلب مساعدتك، وابتعد عني في الحال قبل أن أقرأ عليكَ ما يؤذيك.

خرجت أم أسعد من غرفتها والهاتف في يدها تنظر نحو الطفل بغرابة وهي تسأله:

- مع من كنت تتحدث يا بني؟!

حرك رأسه يمينًا ويسارًا دون رد، فضيقت عينيها وهي تخطو تجاهه قائلة:

- تعالَ معي يا صغيري سوف أرقيك ليبتعد الشر عنك.

نظر إليها للحظات ثم سار نحوها وهو يمد لها يده موافقًا:

- افعلي ذلك، ولكن بحذر يا خالة، فلا أريد أن يؤذيكِ أحدهم.

مررت كفها على رأسه وهي تهمس له:

- حامل القرآن لا يخاف يا بني ولا يستطيع أحدٌ إيذائه، تعالى معي لغرفتي فهناك سوف نكون بأمان.

* * *

يجلس خلف المقود وبجواره هَياه تتأفف بضجرٍ وهي تنظر لساعة يدها، ثم أشاحت بصرها لجهاز تحديد المواقع على هاتف جاد لتتكلم بضيقٍ واضح:

- باقي أكثر من خمس ساعات.

حدقت بجاد الذي ينظر للطريق أمامه بتركيز شديد وكأنه يُفكر في شيء لا تعرفه، توترت ملامحها قليلًا وهي تتأمله، فمهما حاولت تخطي جريمته وقتله لزوجته دون لحظة ندم عاد احساسها بالقلق والخوف يتزايد كلما اقتربت منه، حاولت صرف تفكيرها في رحلتهم التي لا يعلمون حتى الأن كيف ستصير، وسألته بنبرة هادئة:

- هل يمكننا التوقف للاستراحة؟!

- ضغط بقدمه ليزيد السرعة فجأة وهو يجيبها دون أن يحيد ببصره عن الطريق:

- حين يمر نصف الوقت سوف نتوقف قليلًا.

أمسكت هاتفها تعبث به قليلًا ثم قامت بتوصيله بمكبر الصوت الخاص بالسيارة، لتقوم بتشغيل الموسيقى الخاص بهم بشكلٍ مرتفع وهي تتمايل على ألحانها الصاخبة بطريقة جعلته يبتسم نحوها وهو يسألها باهتمام:

- من الذي اخترع هذه الموسيقى؟!

أخفضت الصوت قليلًا حتى يسمعها، لتجيبه وهي تتمايل يمينًا ويسارًا:

- موسيقى الميتال في العام ظهرت في الستينات في أمريكا، أما موسيقانا الخاصة تسمى بلاك ميتال وقد ظهرت في الثمانيات وتحديدًا في النرويج، ألا تعجبك؟!

رفع زاوية فمه قائلًا:

- صاخبة أكثر مما يجب، وكلماتها بالنسبة لي تنم عن الضعف الانساني وأنا أحب الموسيقى التي تعبر عن القوة.

اعترضت بتعجبٍ:

- ضعف؟! أية ضعف! بالعكس يا جاد أنا أرى أنها تتحدث عن الظلام القابع داخل نفوسنا، وتُمجد الشيطان بطريقة محببة، لذا فأنا شخصيًا أحبها للغاية.

توقف في منطقة مزدحمة فأحنى رأسه نحوها وهي يضيق عينيه قائلًا:

- هل جربتِ من قبل أحد هذه الطقوس التي نحن ذاهبون لفِعلها؟!

حركت رأسها نفيًا والقلق واضح على وجهها:

- لا لم أفعل؛ لا هذا الطقس ولا غيره.

اندهش متسائلاً:

- لمَ انضممتِ إذًا لهذا الجمع؟!

شردت قليلًا وهي تنظر للخارج نحو السيارات المصطفة في الزحام وهي تقول لهُ:

- لم يكن لدي سببٌ وقتها سوى التعاطي.

تطلعت نحوه لتمرُّ على حدقتيها بريقٌ سريعٌ من ندمٍ ولكنه اختفى على الفور وهي تُردف:

- تعرفت على بعض الأصدقاء الذين يتمتعون بمرحٍ زائد وعقلٍ متفتح وذكاءٍ ابهرني بقوة جعلتني اتمنى الدخول والانغماس في دائرتهم، وعندما سمحوا لي بالدخول وجدت تعاطي المخدرات من أبسط الأشياء التي يتمتعون بها دون قيود، كنا نريد وقتها أموالٌ كثيرة لا نملكها حقيقة، لذا تعرفنا بالصدفة على شابٌ ينتمي لهذه المجموعات واقترح علينا الانضمام إليهم والتمتع بالمزايا الكثيرة التي يمنحونها ومنها المخدرات وبالطبع الأموال الوفيرة، لم نلبث كثيرًا حتى طلبنا الانضمام وبالفعل كان أكثر قرارٌ صائب اتخذته.

لمعت عينيها ببريق غريب وهي تستطرد:

- فأنا اعيش الآن دون قيود من أهلٍ كل ما يهمهم أن أصبح مثل القطيع، اتعلم كي أعتلي أعلى المناصب، اكون متدينة كي أدخل الجنة، أفعل الصواب كي أصبح في مكانة جليلة في مجتمعٍ أقل ما يوصف به هو التخلف الكبير.

تركها لتُفرغ غضبها دون تعقيب:

- أنا الآن أفعل ما يحلو لي، إن اردتُ الانفصال عن العالم بضعة من الحبوب تفي بالغرض، إن ألحت عليَّ غريزتي

الجنسية أشرت لأي رجلٌ في المجموعة ليقضي حاجتي بأفضل الطرق، إن بغيثُ مال أو اجازة خاصة في أي مكان في هذه البلد أو في أخرى يكفي أن اطلب ذلك وهم يتكفلون بالباقي، عملي كله ينحصر في استقدام المزيد ليعيشوا هذه الحياة الخالية من أي أغلالٍ خانقة تمتص العُمر والعقل وتجعلهم مجرد بيادق في لُعبة الخالق كما يسمونه.

انهت حديثها وهي مازالت تنظر نحوه بتدقيق؛ ليراودهُ شعورٌ غريبٌ بالاشمئزاز رغم أن كل هذه الاسباب التي ذكرتها كانت هي غايته هو الآخر، ولكن هناك شيءٌ ما لم تعيه هي ومن قبل لحظات هو الأخر لم يفهمه، ضيقت هَياه عينيها متسائلة:

- وأنت، لمَ قررت الانضمام لنا؟!

تجاهل سؤالها ليُفرغ ما يدور في عقله:

- هل بالفعل المنظمة التي ننتمي إليها ليس لديها أي قيود ولا أغلال؟!

زمَّت شفتيها باستنكارٍ لتُجيبه:

- بالفعل ليس لديهم ذلك، بدليل أننا نفعل كُل ما يحلو لنا ولا يوجد هناك من يردد بقوله، هذا حرامٌ، هذا لا يجوز، لا تزني فسوف تدخل النار، حافظ على صلاتك حتى تفوز

بالجنة، تحشمي فإن عريكِ يفتن الرجال، حياةٌ كلها أوامر ونواهي فقط، خالية من أي متاعٌ من المتع التي خُلقنا لنفعلها.

فكر قليلًا وهو يسير ببطء، ثم ضغط على المكابح ليتوقف ثانية أمام الإشارة التي تنير بالأحمر ثم نظر نحوها وهو يقول بشرود:

- نعم؛ بالفعل هم لا يلقون على مسامعنا تلك الأوامر والنواهي، ولكنهم يلقون علينا أوامر ونواهي أخرى! فما الفارق إذًا؟

اعترضت بضيقٍ:

- لا يا جاد، هناك فارقٌ كبير أوامر الجماعة ونواهيها للحفاظ علينا من الخطر الخارجي لزمرة الجاهلين الذين يحاوطوننا في كل مكان.

انهت جملتها ثم ضمت حاجبيها ووضعت كفها تحت ذقنها لتُردف وهي تتأمل وجهه:

- أنا أرى أمامي الآن رجلٌ قتل زوجته باقتناعٍ تام بعد بضعة أيام من انضمامه لجماعتنا ليرفع قدره ويُصبح قائد للمنتمين، فكيف تدور بعقله هذه المقارنات؟!

آثر الصمت وانطلق مسرعًا بعدما انتهى الزحام، لينحرف يسارًا في طريق فرعي ليُكمل رحلته نحو «كهف الجارة» وهذا هو المكان الذي يجب عليهم تطبيق الطقوس به كما أخبرتهم صديقة هَياه التي ترافق أحد السحرة الموجودين في مجموعة أخرى بعيدة عنهم.

استمرت هَياه في تأمل وجهه الهادئ قليلًا منتظره أن يجيبها، ولكنه لم يعرها اهتمام، فأعادت رأسها للخلف وهي تغمض عينها لتغط في النوم بعد دقائق معدودة.

كان يسير وسط صحراء شاسعة، وقد حل الظلام والهدوء عليهما، ولا ينير طريقه سوى مصباح السيارة التي يقودوها بسرعة عالية، لقد غفت هَياه بجواره وانتهى صخبها ولكن الضجيج داخل عقله لم يهدأ بعد، لا يعرف ما هي غايته حتى هذه اللحظة، لقد انضم لهذه الجماعات لأغراضٍ عدة ولكن أهمها هو التحلي بالقوة التي شعر بها حين انغمس بداخلهم لدرجة أنه قرر أن تتضاعف قوته على الجميع فأقبل على جريمة شنعاء لم يُفكر بها من قبل في اسوأ كوابيسه، تنفس بعمقٍ في محاولة منه لتنظيم أفكاره وتهدئة عقله ليشعر ببعضٍ من السلام الداخلي، ولكنه هيهات فهو لم يحصل عليه من قبل ومن الواضح أنه لن يحصل عليه أبدًا..

وصل لوجهته بعد عدة ساعات دون أن يأخذ استراحة كما وعد مرافقتهُ، فقد غلبها النوم ولم تستيقظ حتى لكزها هو على

كتفها، لتفتح عينيها التي ما زالت تمتلئ بالنعاس قائلة:

- وصلنا؟!

أومأ برأسه وهو يترجل من السيارة، لتتبعه هي ببطء حتى وقفا أمام الكهف يتأملانه بهدوء قبل أن يلتفت جاد وبيده جهاز التحكم عن بُعد ليفتح حقيبة سيارته الخلفية وهو ينظر نحو هَياه قائلًا:

- هل الكتيب بحوزتكِ؟!

حركت رأسها إيجابًا فخطى نحو السيارة ليُخرج منها حقيبةٌ سوداء صغيرة نسبيًا، رفعها على كتفه وأغلق سيارته وهو يتحرك نحو الكهف، تبعته هَياه راكضة لتُمسك كفه بخوفٍ ظاهر وهما يدلفان للداخل.

* * *

عاد عاتق لشقته بعدما دبر لهم مكان آمن في نقطة بعيدة وغير مأهولة بالسكان، ضيق عينيه وهو ينظر نحو أبريال النائمة على قدمي آنا التي نامت هي الأخرى وهي جالسة على الأريكة، اقترب منهما وهو يتنحنح بهدوء جعل آنا تفتح عينيها بصعوبة وهي تقول بصوتٍ خفيض:

- هل سنغادر الآن؟!

حرك رأسه بإيجاب، فمررت كفها برقة على ظهر أبريال وهي تناديها:

- استيقظي يا حبيبتي، يجب أن نغادر في الحال.

اعتدلت أبريال بهدوءٍ وهي تنظر لأختها تارة ولعاتق تارة أخرى، فتحت فمها وهي تتثاءب ثم سألتهم بتعجبٍ كاد أن يوقف قلب عاتق:

- أنا لا أفهم لما يجب علينا المغادرة من هنا؟!

رفع عاتق حاجبيه بينما ضيقت آنا عينيها وهي تُجيبها بحروفٍ متقطعة:

- هل أنتِ بخير يا أبريال؟!

نظرت إليها بعينيها الناعستين وهي تقول لها:

- نعم أنا بخير.

ثم أردفت وهي تبتسم نحوها:

- أتعلمين أنني لم أنم بهذا العمق وهذه الراحة منذ..

صمتت وهي تعد أصابعها لتتحدث وهي ترفع كتفيها:

- لا أعلم منذ متى، فهلا تتركيني أكمل نومي على قدميكِ؟!

لم تنتظر إجابتها ووضعت رأسها في حِجر آنا مرة أخرى ليخبط عاتق جبهته بقوة وهو يصك أسنانه، فتجاهلته آنا وأحنت رأسها نحو أختها، وهي تمرر سبابتها على وجنتها هامسة:

- دعينا نترك هذا المكان لأنه يُمثل خطرًا على كلانا، وحين نصل لوجهتنا الآمنة أعدك أنني لن أتركك تنامين دوني ثانية.

ابتسمت أبريال وهي تعتدل بنشاط مثل الأطفال:

- حسنًا.. هيا بنا.

دخلت كلتاهما للغرفة كي تبدلا ملابسهما، وتركتا عاتق يتوجه ناحية غرفته ليقف أمام النافذة الزجاجية فاتحًا إياها وهو يستند بظهره على الجدار بجواره يُفكر في هذه الفتاة العجيبة بالنسبة له، طبيبة شابة يبدو للرائي أنها تمتلك عاقلًا راجحًا وشجاعة وقوة تضاهي ملوكٌ عظام؛ لذا اختاروها لتكون سابعهم!

ترك الجدار ووقف يتأمل السماء الممتلئة بالنجوم وهو يتساءل بدهشة:

«كيف تم اختيارها إذًا وهي لا تمتلك لا عقلًا رشيدًا ولا جزءٌ ولو صغيرٌ من الشجاعة وبالطبع هي أخر فتاة يمكن أن تمتلك قوة خاصة»

تشتت عقله في تحليلات عدة، منها أن آنا هي المقصودة ولكي يستدرجونها قاموا بإدخال اختها لهذا الفخ..

ردد بحيرة:

« هل يُعقل هذا؟!»

فاق من شروده على صوتها تناديه فأجابها لتتبع صوته متوجهة نحو غرفته تتساءل:

- إلى أين سنذهب؟!

التفت نحو آنا التي تقف أمامه بثبات مُبهر ليُجيبها:

- مكانٌ بعيد.

تحدثت أبريال من خلفها بقلقٍ واضح وجسدٌ يرتعد:

- كم يبعُد عن هنا؟!

امسكت آنا بكفها تربت عليه قائلة:

- لا تخافي فأنا معكِ.

ثم اقتربت من عاتق لتستطرد وعينيها تتأملانه مثل صقرٍ جامح:

- ما اسمه؟!

أجاب وهو يدقق النظر لعينيها التي تماثل أختها في اللون ولكنهما مختلفتان تمامًا فيما يحملانه:

- جبال كيب.

وقفت أبريال جوار أختها وهي تسأله بتوتر:

- أنا لم أسمع بإسم هذا المكان في مصر من قبل.

لم تحد آنا عن النظر لعمق عيني عاتق وهي توجه حديثها لأبريال:

- جبال كيب في أستراليا يا حبيبتي.

شهقت أبريال بقوة قائلة:

- لا أنا لن أرحل كل هذه المسافة.

ثم أردفت سريعًا بتيه ظاهر:

- وكيف يمكننا السفر الآن؟ أنا لا أملك جواز سفر!

في هذه اللحظة ادارت آنا وجهها تنظر إليها باستغراب تبعها عاتق بملامح تخطت الدهشة ليردد بعدم تصديق:

- لا لا .. متى سأتوقف عن التعجب مما تقولينه يا أبريال، يجب عليَّ أن اعتاد الأمر سريعًا قبل أن أرتكب حماقة لن أسامح نفسي عليها.

زفرت أبريال بضيق وهي تقول لهما:

- ما بكما؟ هل قُلت شيئًا خاطئ، أنا بالفعل لا أملك جواز..

أوقفتها آنا سريعًا قبل أن تسترسل:

- سوف ينقلنا عاتق يا أبريال، لا تحتاجين لجواز سفرٍ يا

حبيبتي.

عادت للخلف بذعرٍ وهي تصيح:

- لا.. لا.. أنا لن أسافر هذه المسافة وهذا الشيء يحملني ويطير بجناحيه كما فعل في السابق.

ردد عاتق بذهول:

- شيء!

وقفت آنا بينهما وبنبرة جادة حاولت طمأنتها:

- اهدأي يا أبريال فأنا معكِ.

اعترضت بإصرار:

- ولو يا آنا لن أفعل ذلك، لن أجعل حياتي بين يديه.

ثم استطردت وهي تضيق عينيها بتساؤل:

- هل تضمنين سلامتنا، من الممكن أن يفلتنا لنقع من هذا الارتفاع.

دنت آنا منها تُمسك كلتا ذراعيها وهي تقنعها بهدوء، بينما نفذ صبر عاتق ليخطو نحوها بقوة، ودون هوادة أو إنذار جعلها تستدير بجسدها ركضًا ولكنها لم تتحرك سوى خطوة واحدة، قبل أن يحاوطها بذراعيها ليُقيد حركتها وهو يقفز من النافذة متجاهلًا صرخاتها العالية وشهقات آنا ورجائها أن يتركها وسوف تقوم بإقناعها بهدوء، ارتفع بجناحيه ليحلق بالقرب من النافذة وهو يقول لآنا:

- هيا يا آنا.

تأففت وهي تعتلي ظهره بضيقٍ وصرخات أبريال لا تتوقف، انطلق عاتق لتحاول آنا معه:

- اتركها الآن يا عاتق واجعلها تأتي هنا.

شدَّد عاتق من احتضانها وهي تسبه كي يتركها ولكنه لم يبالي وهو يتحدث إلى آنا:

- أنا أعرفها قبلك بأيام يا آنا، هذه العنيدة لن تقتنع مهما فعلتِ ثقي بي.

ارتفع صوت صراخ أبريال وهي تنهت بقوة:

- اتركني يا مجنون سأفقد الوعي.

اقترب يهمس في أذنها بهدوء:

- افعلي ذلك الآن، فقد اقترب صراخك أن يفقدني توازني ووقتها سوف أتركك أو لا قدر الله ستقع آنا من على ظهري.

تجمعت الدموع بعينيها المغلقتين وهي تحاول تنظيم أنفاسها المتسارعة:

- حسنًا سوف أصمت.

ثم أردفت بصوت يرتعد:

- هل يمكنك أن تجعل وجهي تجاهك.

لفها بحركة سريعة لم تدركها إلا حين أخبرها:

- حسنًا افتحي عينيك الأن.

فتحت عينيها ببطء ورعبٍ واضح وهي تتجنب النظر لأي موضع سوى عيناه السوداء اللامعة، ليرتفع صدرها ويهبط برهبة شديدة بدأت تهدأ قليلًا وهي تشعر ببعض الطمأنينة، لتسألها آنا بقلقٍ واضح:

- هل أنتِ بخير يا أبريال؟!

اجابتها بصوتٍ خفيض وحدقتيها تتأملان الظلام القابع داخل مقلتيه:

- نعم.. أنا بخير.

ارتفعت زاوية فمه بابتسامة وهو يسألها:

- هل تريدين أن أضعك بالأعلى خلف آنا؟!

- لا.

قالتها دون تفكير لتشعر بالخجل سريعًا لتبرر بصوتٍ مضطرب:

- لا أريد رؤية ما حولي فأنا حين أخاف أتصرف بدون تفكير تصرفات هوجاء، فمن المحتمل أن أسقط إن تركتني.

اضطربت أنفاسه وهو يقول لها:

- لقد أيقنت ذلك.

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي تحاول أن تتجنب النظر لعينيه ولكنها لا تعرف أين توجههما بعيدًا عنه وهي في أحضانه

هكذا وبهذا القرب، فسألته وحدقتيها يهتزان بشكلٍ واضح:

- متى سنصل؟!

اجابها وهو يرفع عينيه للأمام حين شعر بالحرج الذي يتملكها:

- عدة ساعات.

شهقت بجزعٍ:

- سنظل على هذا الحال عدة ساعات؟! وأنت هل ستتحمل أوزاننا هذه لعدة ساعات؟! مستحيل.

ابتسم وهو يضيق عينيه قائلًا:

- لو حاولت استيعاب أنني لستُ بشريًا يا أبريال سوف أكون في غاية السعادة.

هزت رأسها وهي تقول:

- أنا لا أفهم ما الذي تعنيه؟!

حلق ببطء أعلى أحد الجبال حتى وصل أمام باب منزل صغير

خشبي على قمة الجبل، تحاوطه الأشجار من جميع جوانبه بينما يقف شامخًا بمفرده في المنتصف ولا يوجد أية منازل غيره في هذا المكان، ارخى ذراعيه من حول أبريال ليجعلها تقف على الأرض، ترنحت بجسدها فحاوط خصرها بذراعهً اليمنى وهو يقول:

- تستطيعين النزول الآن يا آنا.

نزلت آنا من على ظهره فوقف على قدميه وهو ما زال يطوق أبريال حتى استعادت توازنها، لتمسكها آنا من ذراعها وهي تُمسك بمقبض الباب الخشبي لينفتح على الفور، دخلتا وخلفهما عاتق الذي نظر للأعلى قبل أن يغلق الباب خلفه وهو يقول لهما:

- لم يبقَ سوى القليل على شروق الشمس.

استدارت أبريال نحوه وهي تضغط على حروفها بغضب:

- منذ لحظات أخبرتني أن أمامنا عدة ساعات، هل تهزأ بي؟!

تقدم منها وهي يحني رأسه ليحدق بعينيها هامسًا:

- هل تريدين التحليق في أحضاني لساعات أخرى؟!

لم يتوقع ردة فعلها حين رفعت كفها لتصفعه على وجهه وهي تصرخ به:

- أنت الذي اجبرتني يا أيها الوقح.

حالت آنا بينهما سريعًا تحاول كتم ضحكاتها بقوة وهي تُحدث عاتق الذي احمر وجهه غضبًا مما فعلته هذه الحمقاء:

- اعتذر منك يا عاتق.

اصبحت نظراته أكثر ظلمة وهو يصك أسنانه، ليعرض عنهما فاتحًا باب المنزل ليخرج منه، ركضت آنا خلفه تناديه ولكنه أرتفع بجناحيه للأعلى مختفيًا عن انظارها، عادت لأبريال التي بان الرعب على ملامحها وهي تسألها بتوجس:

- هل غادر؟!

نظرت لها آنا بعتبٍ فعلىً صوت أبريال:

- يستحق هذه الصفعة وأكثر، لقد تجاوز حده معي بوقاحة كان يجب أن يدفع ثمنها.

أقبلت آنا عليها وهي تقول لها بنبرة ممتعضة:

- أنه يحاول مساعدتنا يا أبريال، أرجوكِ لا تأخذي كل كلمة على محمل الجدّ فنحن لسنا في وضع يسمح لنا بمثل هذه الترهات.

شعرت بقليل من الذنب على ردة فعلها السريعة والجارحة هذه، فلانت نظرتها وهي ترتمي في أحضان أختها قائلة:

- أنا حقًا لا أعرف ما الذي يحدث لي يا آنا، أشعر بالضياع.

ربتت آنا على ظهرها بخفة وقد غامت عينيها وهي تتنهد بقوة:

- أنا أحفظ هذا الشعور يا أبريال، لذلك فأنا أفهم جيدًا ما تمرين به.

ابتعدت أبريال عن أحضانها لتستطرد آنا وهي تُمسك بكلتا كفيها:

- أنتِ الآن في منتصف معركة لا تعرفين عنها شئ، صراعٌ لا يعنيكِ ولا تعلمين من الذي زج بكِ في وسط هذا المكان، تائهة لا تدرين ما الذي يجب عليكِ فعله، مشاعرك متضاربة بين أحاسيس تختبرينها لأول مرة ولا تجدين لها تعريف واضح، وفي وسط هذا وذاك يهاجمك شعورٌ بالأمان يأتيك من موضع لا تبغينه حقًا فلا تقدرين على مجاراته ولا صده.

ضيقت أبريال عينيها بدهشة وهي تقول لها:

- كيف استطعتِ وصف ما بداخلي بهذه الدقة؟!

ابتسمت آنا بتهكم وهي تُجيبها:

- لقد مررت بكل ذلك يا أبريال من زمنٍ ليس ببعيد أبدًا.

دفع عاتق الباب بقوة أجفلتهم، ليأمرهما بحدة:

- اتبعاني.

* * *

اليوم الثامن
٨ - آذار

جلس جاد متربعًا في منتصف الكهف بعدما أنهى ترتيب الألواح التي أخرجها من حقيبته، وقال لهَياه التي تتربع أمامه على الجانب الآخر بينما ينظر لساعة يده:

- باقي على شروق الشمس نصف ساعة.

نظرت لها بقلقٍ قائلة:

- هل تحفظ الخطوات جيدًا؟!

أجابها بتوتر مماثل لقلقها:

- نعم.

ضمَّت كفيها بعضهما البعض وهي تقول له باضطراب ظهر على صوتها:

- الشيء الذي سوف نُقدم على فِعله الآن ليس بالقليل يا ولهان.

أسند ظهره للخلف في محاولة منه للتماسك والظهور بمظهر قوي، وهو يسألها باهتمام:

- ما قصة اسم ولهان هذا؟!

ابتسمت بسخرية وهي تجيبه:

- عندما ننضم للمجموعة يقوم الكاهن الأعظم باختيار اسم خاص لنا داخل الكيان.

استطردت وهي تُقرب وجهها منه:

- وهذا الاسم يكون من أسماء الشياطين.

عاد للخلف ثانية يدقق النظر بوجهها قائلًا:

- إذًا ما هو اسمك الحقيقي؟!

رفعت زاوية فمها وهي تتأمل أحد الألواح التي رُسم عليها عصا تُشبه الصولجان يلتف حولها اثنان من الثعابين عكس بعضهما البعض، وفي نهايتها جناحان أسودا اللون، ثم أجابته وعيناها لا تفارقان اللوح:

- اسمي الحقيقي هو رتان.

رفعت رأسها تنظر إليه وهي تُردف:

- هل تعرف قصة هذه العصا؟!

نظر في ساعته مُجيبًا:

- عصا هرمس، تمثل القوة والحياة والتوازن والسرعة، لذا وضعتها في المنتصف لتُصبح محور جميع الألواح.

أكمل وهو يُشير نحو لوحٍ آخر مرسومٌ عليه ثلاثًا من الرقم ستة:

- أما عن هذا فهو رمزٌ للشيطان أو الوحش.

ثم أشار بعينه لأخر:

- وهذا هو النجم الخماسي الخاصة بنا، حيث يرشدنا هذا النجم الخماسي برموزه المرسومة عليه بـ القدرة الفكرية المطلقة والاستبداد.

- هل هذه هي جميع الألواح التي نحتاجها في هذا الطقس؟!

سألته وهي تحاول النظر للخارج، لتُكمل بسؤال آخر:

- لماذا ننتظر قرب شروق الشمس؟!

وقف وهو يطفئ الشموع التي قام بإشعالها حين دخلا هذا الكهف المُظلم، وتأكد من أن هذه الألواح تُمثل شكل الدائرة بشكلٍ دقيق، ليخبرها:

- نعم هذه هي الألواح المكتوبة في كتاب التحضير الذي أتت به صديقتك ليساعدنا، ونحن ننتظر شروق الشمس لأن هذا هو الوقت المناسب كما ذُكر في الكتاب بأن الشمس تشرق وتغرب بين قرني الشيطان، وفي هذا التوقيت يكون نشاطهم كبير.

شعرت هَياه بالخوف الشديد عندما أظلم الكهف، فقالت له بصوت يرتعد:

- لماذا لم تجعلني أقرأ معك هذا الكتاب ورفضت أن أطّلِع عليه؟! على الأقل كُنت سأعرف ما الذي يحدث بدلًا من وقوفي هكذا؛ لا أرى شيئًا ولا أفهم ماذا يجب عليَّ فعله.

تجاهل سؤالها عن عمدٍ وهو يقف على جانبي الدائرة ويُخرج من جيبه صليبًا خشبيًا، ثم قام بخلع جميع ملابسه وهو يحدثها:

- قفي الآن يا هَياه واخلعي جميع ملابسكِ، يجب أن تكوني

عارية تمامًا لكي نبدأ هذا الطقس.

فعلت ما أمرها به وشعورها بالخوف يتزايد، فثبت مكانه وهو يغمض عينيه ليحُثها على فعل المثل أمِرًا:

- رددي خلفي ما أقوله بحروفٍ واضحة.

ثم قام بإنشاد بعض كلمات الاستدعاء تتبعها عدة كلماتٍ تعظم الشيطان، ليختم هذه الترانيم بالاستعطاف والرجاء كي يظهر لهم، وحين أنهى آخر جملة له شعر بالكهف وكأنه يشتعل بالنارِ دون ضوء، وبعدها تعالت صرخات هَياه التي بدت وكأن أحدهم يُقطِّع جسدها. لم يتحرك ولم يهتز، فهو يعرف أنه حين يحضر هذا الخادم ويجد امرأة في مكان التحضير فسوف يكون أول عمل له هو اغتصابها بأبشع الطرق! انتهت صرخاتها بعد كثيرٌ من الوقت، ليسمع في النهاية ارتطام جسدها بالأرض الصخرية، فانتصب فاردًا جسده بقوة وهو يمسك الصليب الخشبي بثبات؛ حتى شعر بجسده يشتعل بالنار، فرمى الصليب ليقع أرضًا تحت قدمه، فوطأه بقوة إلى أن سمع صوت تكسير الخشب، وهنا اشتعلت الشموع التي كان قد اطفأها منذ قليل، فحاول تنظيم أنفاسه وهو يرفع نظره للأعلى بعدما كان مُنكسًا رأسه، فوجد أمامه كائنًا ذو وجهٍ دميم لا يظهر من جسده شيئًا، يتخفى تحت عباءة سوداء يرفع قبعتها على رأسه الذي يرتفع للأعلى ويخرج من تحت هذه القبعة قرنان أسودان، أشار الشيطان بعينه نحو الأرض فوجد جاد دماءًا

تتساقط من حوافره ويبدو أنها من جسد هَياه، فلم يستطيع إلَّا أن ينظر نحوها ليجدها تضم جسدها بين ذراعيها وترتعد بقوة لدرجة أنه يسمع صوت تخبط عظامها على الحجارة بوضوح، انتبه للكائن الذي يقف أمامه فانحنى سريعًا ليأخذ بكفه الدماء ويلوث بها بعض أعضاء من جسده يعرفها جيدًا، ليقوم بعدها بالركوع أمامه وهو يطرق برأسه للأسفل.

أخرج الشيطان أمامه ورقة فارغة صفراء اللون، ليقوم جاد بسحب شفرة حادة كان يضعها أمامه جوار الألواح ويجرح يده بها كي يوقع بدمائه على هذا الاتفاق المُلزم بينهما، انتقل الشيطان لهَياه التي فزعت بقوة ولكنها لم تجرؤ على الصراخ ثانية، لتفعل ما فعله جاد برعبٍ شديد وتوقع كما وقع هو، حينها أمسك الشيطان الورقتين ليبصق عليها فظهر على الورقتين ختمٍ على شكل عنكبوت أسود كُتب تحته «ليميغيتون كالفيكولا سالومونيس»، فظهر على الفور هذا الختم في نفس الوقت على صدر هَياه وكتف جاد.

وهنا انتهت جميع الطقوس، لتختفي الورقتان حين وقف هذا الشيطان في منتصف الدائرة وهو يقول لهما بصوته البغيض:

- الطفل المنشود يُسمى سليمان، يقطن في منطقة عشوائية.

أنهى جملته، ثم رفع يده للأعلى لتظهر ورقة صغيرة في يد جاد بعدما فرقع الشيطان اصبعيه ليستطرد:

- ستجد هنا مكانه بالتحديد، حين تحصلان عليه احضراه إلى هنا مع الكاهن كي نُكمل القداس الأحمر لتذهب روح هذا الطفل إلى آبيغور الأعظم، وحين يتم الطقس الصحيح سوف تتمتعون بقوة كبيرة ومكانة لا يصلها أحدٌ من البشر، ولكن احذرا، فإذا أخطأتما فالموت لن يكون إلا عقابًا هينًا، ونحن لا نعاقب المخطئ بالموت، فلن نسمح لهُ أن يخلصكم.

اختفى من أمامهم ليقوم جاد بارتداء ملابسه على عجل وهو يخطو نحو هَياه التي انفجرت بالبكاء فور اختفائه، جلس أرضًا بجوارها وهو يناولها ملابسها بقليلٍ من الندم، فأخذتها منه بعد بعضٍ يسير من الوقت، لتتوقف عن البكاء بشهقات مرتفعة محولة بكائها بصمتٍ وهي ترتدي ملابسها ببطء شديد يُظهر مدى الآلام المتفرقة التي تشعر بها في جميع جسدها، حتى أنها أدخلت بنطالها بأعجوبة تحت أنظار جاد الحزينة وهو يرى جروحٌ كثيرة أثر تخبط جسدها في الصخور ما زالت تقطرُ دمًا، استندت على جدران الكهف وهي تحاول السير، فدنا منها كي يمسك ذراعها فسحبته بعنفٍ وهي تصرخ به:

- لا تقترب مني يا أيها الحقير.

توقف في مكانه، وتقدمت هي خطوة خطوة وهي تتوجع بصمت حتى وصلت للسيارة، فسحب جاد مفتاحها من جيبه ليضغط زر الفتح، لتدخل وتجلس على المقعد، ودموعها مازالت تنهمر من مقلتيها مثل شلالٍ لا ينضب. جلس جاد خلف

المقود واعاد رأسه للخلف بأسف على حالتها، ليقرر التحدث إليها قائلًا:

- أعتذر منكِ يا هَياه لأنني لم أخبرك بما سيحدث في تلك الطقوس، ولكنني خشيت أن تخافي وتنسحبي ممَّا قررنا نحن الاثنان فعله.

صكَّت أسنانها بغضبٍ شديد ليصدح صوتها عاليًا:

- اخرس.. لا تتحدث معي يا أيها الخبيث، فأنا اكتشفت أنك أنجس مما تخيلت، ماذا كان عليَّ أن أتوقع من حقير قتل زوجته بدمٍ بارد؟

شعر بالغضب يتصاعد لرأسه، فنظر نحوها ليدوي صوته داخل السيارة:

- لا تتعدي حدودكِ يا هيَاه حتى لا أفعل معكِ ما لا أريده حقًا.

رفعت كلتا ذراعيها لتدفعه في صدره بقوة وغيظ شديد وهي تصرخ به:

- هل تريد قتلي؟! هيا افعلها أيها الجبان، هيا افعلها الآن.

أمسك ذراعيها بقوة وهو يقول لها:

- من صاحب هذا الاقتراح من البداية يا ترى؟! ألم تكن أنتِ يا بريئة؟!

ارتخت ذراعيها بألمٍ شديد وهي تبكي بحرقة:

- لم أكن أعرف أن الثمن ما فعله بي هذا الحقير.

ترك يداها وقد تحولت ملامحه اللينة للقوة وهو يقول لها:

- لكل شئ ثمنٌ يا هَياه كلانا لا يريد دفعه، ونحن هنا لا نعبث مع بعض البشر بل كلانا قرر العبث مع الشياطين، وهؤلاء لا يأخذون سوى أثمانٌ باهظة.

أردف وهو يدير مفتاح السيارة:

- لملمي شتات نفسكِ سريعًا في الساعات القليلة القادمة، لأننا يجب أن نحصل على هذا الفتى قبل صباح الغد.

استندت برأسها على ظهر المقعد، لينطلق جاد على الطريق عائدًا، وقد اجتاحت الآلام المبرحة جسدها، ليدفعها عقلها أن تتخلص من حياتها على الفور كي يستكين جسدها الثائر بقوة تجعلها تشعر بالعجز الذي لم تشعر به من قبل.

فتحت حقيبتها بحركة هوجاء لتُخرج منها شَريط به عدد كبير من الحبوب المُخدرة ، حررتها جميعها لتجمعهم في قبضة يدها، رافعة إياهم دفعة واحدة على فمها، لاحظ جاد ما تفعله فضغط على المكابح سريعًا ممًا جعل رأسها يرتطم بالمقدمة أمامها، فسقط من فمها عدد من الحبوب التي لم تبتلعها بعد.

ارتفع صوت جاد بحنقٍ شديد:

- ما الذي تفعلينه يا مجنونة؟!

حاولت ضربه بكلا كفيها، فأحجم مرفقيها قابضًا عليهما، ليصعد صوتها المرتفع بعويلٍ:

- اتركني يا حقير، دعني اتخلص من هذا الألم.

لتتبع صراخها هذا بالبكاء والرجاء:

- أتوسل إليك يا جاد؛ أتركني فأنا لا اتحمل هذا الألم، جسدي بأكمله يحترق.

سحبها في أحضانه وهو يحاول أن يهدئها إلى أن يعمل المخدر الذي ابتلعته:

- اهدأي يا حبيبتي سيسكن الألم الآن، فقط امنحي جسدكِ بعض الوقت، واعدك إن لم تتحسني بعد دقائق فسوف أقوم بحقنك بمهدئ قوي سيجعلكِ تنامين بعمقٍ ولا تشعرين بأي وجع، فقط تمالكي نفسك واثبتي.

استمر صوت نشيجها المرتفع عدة لحظات ثم بدأ يهدأ شيئًا فشيئًا حتى عم الصمت وانتظمت أنفاسها الحارة التي شعر بها على جانب رقبته، تنهد براحة وخفف قبضته من على جسدها، ليبعدها عن أحضانه برفق كي ينظر لوجهها الذي خلا من أي تعابير وكأنها دخلت في سباتٍ عميق، أعادها لموضعها وقام بتشغيل السيارة مرة أخرى ليتقدم للأمام بسرعة عالية وهو يضغط على زر تشغيل مكبر الصوت لتصدح موسيقى الميتال داخل السيارة بصوتٍ مرتفع.

* * *

قبل قليل...

وقف عاتق على أعلى قمة في الجبل وخلفه آنا و أبريال لا تفهمان لمَ جاء بهما إلى هنا، أشار بسبابته نحو وجهة بعيدة وهو يقول لها:

- هل تريان تلك الأضواء ذات اللون الأحمر؟!

هزت آنا رأسها نفيًا، بينما قالت أبريال:

- أنا لا أرى شيئًا.

زفر باستياء وهو يلف ذراعه اليمنى حول أبريال واليسرى حول آنا محلقًا بجناحيه للأعلى متوجهًا نحو المنزل الخشبي، ليتركهما أمامه وهو يقول لهما:

- لدي مهمة يجب عليَّ اتمامها الأن، ستجدان في الداخل ثلاجة بها طعامٌ كثير، تناولا وجبتكما لحين عودتي.

ثم نظر نحو أبريال وما زال الضيق يزين ملامحه:

- احتسي قهوتك لأنني أريد عقلك بكامل طاقته اليوم.

وقبل أن يغادر أوقفته آنا:

- ما الذي يحدث يا عاتق؟!

أجابها وعيناه تذهبان نحو الموضع الذي أشار عليه منذ قليل:

- هناك نشاطٌ غريب يحدث الآن في أحد الكهوف في مصر.

تطلع إليهما وهو يستطرد:

- أو لنقل أن هناك أحد الأشخاص يمارسون طقوس استحضار شيطانٍ كبير ويجب أن أقبض عليهم.

ضيقت آنا عينيها بتفكُر وهي تقول:

- في مصر؟! وفي هذا التوقيت؟!

تأملها بتدقيق وهو يتسأل:

- ما الذي تقصدينه؟!

حدقته به ففهم ما ترمي إليه، فردد بعدم تصديقٍ:

- هل يُعقل؟!

صدح صوت أبريال التائهة بجوارهم:

- سأقف هكذا بينكما مثل الفزاعة؟!

وقبل أن يُجيبها عاتق أو تفتح آنا فمها؛ هبطت عليهم بولاريس التي تملكُ من الجمال الكثير، لملمت جناحيها سريعًا وهي تتحدث لعاتق:

- أريدك في أمر هام.

جحظت عيناه بدهشة وهو يسألها:

- كيف عرفتِ مكاني؟!

صكّت اسنانها بغيظٍ وهي تجيبه:

- لقد راقبتك وأنت تؤمنه، والآن دعنا نتحدث على انفراد فهناك كارثة يجب علينا تداركها.

أمسك مرفقها وهو يجرها خلفه ليبتعد عن الفتاتان، فنظرت آنا لأبريال التي مازالت فاغرة فاها لتلكزها في كتفها قائلة:

- اغلقي فمكِ يا أبريال ودعينا نتحرك للداخل، فلقد سمعتُ أن حراس السماء يملكون جمالاً وجاذبية خاصة ومبهرة، ولكن لم أتوقع على الاطلاق أن يكونوا بهذا الشكل.

أحست أبريال بشعورٍ غريبٌ من الغيرة يسري في عروقها، لتهتز حدقتيها بشكلٍ ملحوظ جعل آنا تدفعها من ظهرها نحو باب المنزل بينما رأس أبريال مازال ملتفًا تجاههما وقد اكفهر وجهها بامتعاضٍ وهي تتأمل وقفتهم بهذا القُرب من بعضها البعض.

دلفت للداخل وهي تقول بحنقٍ شديد:

- أنا لم اتعجب من جمالها كما تعتقدين فأنا لا أراها جميلة من الأساس! أنا اتعجب من وجودها هنا فقد رأيتها من قبل في شقته يتشاجران، وسمعت هذه الشمطاء تحدثه بغضبٍ وتحثه على تركي.

رفعت آنا حاجبها وهي تستدير بجسدها تنظر إليهما عبر زجاج النافذة الأمامية، لترى توترهما الظاهر على اجسادهما ويبدو أن هناك مشكلةٌ كبيرة وصراعٌ شديد يظهر جليًا بداخل عاتق.

حاولت أن تسيطر على الوضع مع أبريال، فالتفت قبالتها:

- دعيهم ينهون مشاكلهما وتعالي معي نحضر بعض الطعام، فأنا أشعر بالجوع الشديد.

لم تترك آنا لها الخيار وسحبتها من مرفقها نحو الثلاجة في المطبخ، لتُخرج منها بعض الطعام الجاهز الذي قامت بوضعه في جهاز التسخين الموضوع أعلى الرخامة الأمامية وهي تسأل شقيقتها:

- اخبريني ما الذي تذكرته حين كنتِ في الغرفة مع جدك؟!

غامت عينيها بتركيز وكأنها عادت سنواتٌ كثيرة للخلف لا

تدري كيف تذكرتها وهي لم تبلغ سوى عامان، ليتردد صدى صوت جدها المتفاجئ من وجودها معه في الغرفة:

- كيف دخلتِ إلى هنا؟!

ظهر داخل حدقتيها صورةٌ تجمع ست من الملوك يقفون مصطفين، فرفعت كفها الصغيرة تشير بسبابتها خلف جدها وهي تقول:

- داداد..

التفت فزعًا ليراهم يقفون خلفه وينظرون نحوه بغضبٍ شديد جعله ينتفض وهو يواريها خلف ظهره كي لا يمسها أحدٌ منهم، صدح صوت كبيرهم في الغرفة:

- هل تعلم ما هي عقوبة ما فعلته للتو؟!

رفع الجد كلتا كفيه باستسلامٍ وهو يرجوهم:

- سأدفع أية ثمنٍ تريدونه، ولكن أتركوا حفيدتي تخرج من الغرفة.

دنا الملك منه، ثم بحركة مفاجأة أمسك رقبته ورفعه عاليًا وهو يهزه بقوة جعلت جسده يتخبط في جدران الغرفة وهو

يصرخ به:

- هل نحن لُعبة بين يديك أيها الصعلوك؟ كيف تجرؤ على احضارنا لعالمك دون أن يكون معك السابع؟!

حاول التحدث فخرجت كلماته متقطعة:

- لقد نذرت نفسي أن أكون سابعكم بعدما تحققوا لي أمنيتي.

تركه الملك فوقع أرضًا يتآوه من الألم، ولكنه حاول الوقوف ثانية فلم يستطع حتى وجده يقترب من أبريال التي ما زالت تشاهد ما يحدث بهدوء، لم تصرخ ولم تركض خارج الغرفة، حتى أنها لم تبكي أو تنزوي في أحد الأركان، وقفت ثابتة في المنتصف وحين اقترب منها ابتسمت له بلطفٍ!

أقبل عليها بملامح مندهشة، فزحف الجد نحوه وهو ينادي عليه بصراخٍ يمنعه من الاقتراب منها، تجاهله الملك محاولًا لمسها، ولكنه حين قرب ذراعه وجد حاجزًا شفافًا بينهما منعه من مَسِها، تعجب جدها ممَّا حدث، وبصعوبة حاول الجلوس والاتكاء على الجدار من خلفه، فعاد إليه الملك يدقق النظر في وجهه ليقرأ علامات الحيرة التي تزين ملامحه بوضوح:

- مؤكد أن هذه الحماية ليست منك.

ثم قبض على رقبته ضاغطًا عليها، ليشعر الجد أنه في لحظاته الأخيرة فحاول التحدث ولكن صوته تحشرج في حنجرته، واحمرت عيناه الجاحظة إثر ارتعاش جسده الذي تنساب الروح منه، ليتركه الملك في آخر لحظة فارتمى جسده أرضًا.

انحنى يقبل على رأسه ليهمس جوار أذنه:

- سوف أترككَ بضعة ساعات قبل أن تأتي معنا، لابد أن تعرف خلالها من استطاع حماية هذه الصغيرة ومنعني من الاقتراب منها.

استمر الجد في السعال الشديد حتى استطاع تنظيم أنفاسه بعد دقائق معدودة، في حين أن أبريال وجدت أحد أدوات جدها التي كان يستحضر بها أرواحهم، فجلست أرضًا تلعب بها في هدوءٍ حتى خرج صوته مسموعًا ولكنه بمشقة كبيرة:

- أنا لم أجازف بروحي كي أخبرك عن سر حماية حفيدتي، ومادامَ أجلي قد اقترب فافعل ما استدعيتكَ من أجله قبل الحصول على روحي لأكون سابعكم.

دوى صوت ضحكته العالية قبل أن يصفعه على وجهه صفعة جعلت رأسه يرتطم في الجدار بقوة اهتزت لها الغرفة، ففقد الوعي على الفور قبل أن يستمع لكلمات الملك:

- هل تظن نفسك أيها الحثالة صديق الشياطين أنك ستحظى بشرف صحبتنا لتكون سابعنا؟

ركله بقدمه وهو يستطرد:

- أنت حشرة لا تستحق سوى الدهس تحت الأقدام.

رفع رأسه يتأمل أبريال التي وقفت على قدميها بخفة لتركض نحوه، تعطيه العصا التي وجدتها وهي تبتسم له كي يلعب معها. ضيق الملك عينيه وبريقٌ حدقتيه يلمع بقوة وهو يجلس على ركبتيه، ليميل عليها قائلًا وهو يُمسك طرف العصا التي صدر منها شرارة وصلت ليد الصغيرة فصعدت لذراعها ومنها لكتفها حتى وشمت مكانًا محددًا في ظهرها بعلامتهم:

- لن أقتله وسوف أتركه كي يموت وحده لأجلك يا صغيرة.

ثم عاد لرفقائه بملامح فرحةٍ وهو يقول لهم:

- لقد وجدنا ضالتنا أيها الملوك، فحين تبلغ الفتاة الحادي والعشرين من عمرها ستكون سابعتنا وحينها سنستطيع التحرر أخيرًا.

عادت أبريال لشقيقتها بعدما قصت عليها ما تذكرته لتجدها

ذاهلة وهي تقول لها:

- كيف تذكرتِ كل ذلك بهذه التفاصيل يا أبريال؟!

رفعت أبريال كتفيها وهي تهز رأسها:

- لا أعرف؛ لقد كنت غافية ورأيتهم وكأنني أشاهد ما حدث كله في التلفاز.

استدارت كلتاهما حين سمعتا صوت عاتق يقترب، ولكنه كان ينظر لآنا تحديدًا وهو يتحدث:

- يجبُ أن نخطط في الحال لما سنفعله الليلة عند منتصف الليل، وهذا هو التوقيت المثالي كي ننقذها به، فحين تمر الليلة سيكون من المستحيل ابعادها عنهم.

تأملته آنا قليلًا لتسأله بخوف ظهر على صوتها:

- لمَ الليلة تحديدًا؟!

أجابها بعملية وهو يُخرج الخريطة الكبيرة من جيبه، ليفردها أعلى المنضدة الرخامية:

- سيحدث خسوفٌ للقمر الليلة، ويقال أن الخسوف يحدث

بهجوم سبعة شياطين أو أرواح شريرة على القمر، أو دعيني أشرح لكِ الأمر بطريقة مُبسطة، حين يحدث خسوفٌ للقمر ينطلق أمراء الجحيم السبع نحو السماء الأولى لأنهم لا يستطيعون الاقتراب أكثر من ذلك، وفي منطقة محددة يقومون ببعض الترانيم لجذب أكبر عدد من الأرواح العالقة ليخدموا الكثير من مخططاتهم الأساسية، لذلك فإن الملوك الست الذين يسكنون جسد أختك سوف يخرجون الليلة من جسدها وحينها سننتهز هذه الفرصة العظيمة لتحصينها جيدًا حتى لا يستطيعون العودة.

مررت كفها على رأسها شاردة بعينيها وهي تدقق النظر في الخريطة، وقبل أن يخبرهم عاتق الخطة حاولت استفهام الأمر منه:

- ألم تكن المشكلة الكبيرة في حصول آبيغور على الملوك الست؟! على حد قولك فهو يستطيع الحصول عليهم الليلة وفي هذه الحالة ستحل مشكلتنا، أليس كذلك؟!

حرك رأسه نفيًا وهو يقول لها:

- آبيغور يرد أبريال يا آنا أكثر من حصول الملوك عليها، لقد قام الاتفاق بينهم أن من يملك السابع سيحكم العالم، لذا فكلاهما يحاربان بقوة لا تتخيلها، وجود الملوك الست في جسدها لن يجدي نفعًا لهم قبل الثالث عشر، جُل ما فعلوه هو

الاستحواذ عليها لأجل أن تكون لهم اليد الأقوى من آبيغور وفي الوقت المنشود سيكون الاختيار لها.

أشفقت آنا على شقيقتها من الوقوع فيما سقطت هي فيه من قبل، فتأملتها بأسى لتجدها شاردة الذهن وكأنها ليست معهم، هزت كتفها برفق وهي تناديها:

- أبريال.. هل سمعتِ محادثتنا؟!

رفرفت بأهدابها وهي تنظر نحو عاتق قائلة:

- رأيتكَ أنت وتلك الشمطاء تتشاجران بسببي من قبل، والآن جاءت إلى هنا ثانية كي تُكمل شجارها معكَ وأنا واثقة أنه بسببي أيضًا، أليس كذلك؟!

وضعت آنا كفها على عينيها باستياءٍ واضح، بينما تحجرت مقلتي عاتق لتُردف وهي تستشيط غضبًا:

- ألم تقل قبل مجيئ هذه الحمقاء أن لديك مهمة عاجلة؟! لما أنتَ هنا الآن!

نظر نحو آنا بنفاذ صبر، فالتفتت نحو شقيقتها تحاول رسم ابتسامة على وجهها وهي تقول لها:

- دعكِ من هذه الحمقاء والشمطاء يا أبريال، واهتمي بما يحدث معكِ، فقد قال عاتق أن الليلة فرصة ذهبية كي تخرجين من هذا الحصار وتتحررين من أرواح الملوك الست ومطاردة آبيغور.

وضعت كلتا كفيها على وجنتيها لتجبرها على أن تنظر نحوها وتحيد بعينيها عن عاتق الذي احمر وجهه غضبًا مما يحدث لتُكمل:

- ركزي معنا أرجوكِ كي نستطيع مساعدتك.

اكتفت بإيماءة بسيطة جعلت عاتق يُكمل حديثه:

- مملكة الملك الآشوري « آداسي » موجودةٌ هنا وعلى ضفاف البحر هذا يوجد أسوار مملكته التي دّون عليها رسالة تركها لمن يستطيع فك شفرتها وحينها سوف يجدهُ هو وباقي الملوك.

حدقت آنا نحو أشارته وعلى الفور رددت بلسانها ما يجول داخل عقلها باللغة السريانية:

- (بلاط بنيرار الملك العظيم الملك القدير ملك الشعوب ملك أرض آشور الملك الذي اتخذه آشور ملك الآلهة السبعة ابنا له) .

رفع عاتق رأسه بخفة وعيناه مندهشتان مما سمعه، ليسألها بحيرة:

- كيف عرفتِ ما فحوى هذه الرسالة؟! فلا يوجد إنسيٌ يقدر على الاقتراب من هذه الأسوار؟!

نظرت آنا لساعة يديها وهي تقول له:

- دعنا من هذا الأمر، هل تعرف أين هو بلاط بنيرار تحديدًا؟! فأنا اعتقد أن البداية كانت هناك في هذا المكان.

قاطعتهم أبريال قائلة:

- يقع على ساحل الخليج في منطقة الفاتح بإسطنبول؛ بين ايفان سراي والفنار.

انفرجت عين كلاهما بصدمة، لتتحدث إليها آنا بنبرة ارتياح:

- كيف عرفتِ يا أبريال؟!

أوقفها عاتق بنبرة شكٍ واضحة:

- ليس كل ما يسمى بالبلاط يكن هو حل اللغز.

عضت شفتها السفلى بغيظ:

- حي البلاط بالقرب من أسوار قصر بلاهيرنا، وقد قام الملوك بالطقس الأول هناك في غرفة سرية داخل القصر وذلك لأنه كان في بادئ الأمر قصرٌ مجهول لا يعرف عنه الكثيرين ولكنهم كانوا يعلمون خباياه التي لا يعرف أحدٌ حتى الأن.

حاوط آنا وجهها وما زالت ابتسامتها الفرحة تزين ملامحها وهي تقول لها:

- كيف حصلتِ على تلك المعلومات؟!

غلف الحزن نبرة صوتها وهي تُخبرها:

- أنسيتِ أنهم يسكنون داخلي!

سحبتها آنا في أحضانها وهي تعدها:

- سنخرجهم ونتخلص من هذا الكابوس الليلة يا حبيبتي.

لملم عاتق الخريطة وهو ينطلقُ للخارج قائلًا:

- ما دام لدينا وقت، لتنالا قسطًا من الراحة ريثما أعود.

صدح صوت أبريال بحنقٍ:

- ستذهب إليها؟!

وفي لحظة واحدة كان يقف أمامها، فأجفلها من مفاجأته لتشهق بخفة، وهو يحدق بها بعينيه السوداء اللامعة:

- بولاريس شقيقتي و ليست حبيبتي، وأنتِ لا تعنين لها شيئ، ولكن تعنين الكثير لي.

انهى جملته واختفى من أمامها، فنظرت بجانب عينيها نحو آنا التي تكتم ضحكتها بقوة جعلت أبريال تدنو منها بغضبٍ، فركضت آنا تجاه الغرفة لتتبعها أبريال بصوتٍ مرتفع:

- كنتِ تعرفين أنها شقيقته وتركتني أظهر غيرتي بهذا الغباء، لن أتركك يا آنا.

أمسكت بها لتقعا سويًا على الفراش، لتحاول آنا التحدث من بين ضحكاتها العالية:

- اهدأي يا مجنونة.

ظلت تدغدغها بقوة وقهقهات آنا تعلو وهي تقسم لها أنها لم تكن تعرف أن بولاريس شقيقة عاتق، ولكن أبريال نعتتها

بالكاذبة واستمرت في تعذيبها بالدغدغة حتى توقفت فجأة وارتمت بجسدها جوارها ممًا أثار ريبة آنا التي قالت لها:

- لقد تعبتِ أليس كذلك؟!

ثم اعتدلت لتراها فوجدت عينيها جاحظتان برعب، وحدقتيها الزمردتين انقلبتا للأبيض باتساعٍ غريب جعل آنا تهزها بقوة:

- ما بكِ يا أبريال؟! أفيقي.

ظل جسدها ساكنٌ لبضع لحظات حتى بدأ يتشنج بقوة كمن مسه ماسٌ كهربائي، فصرخت آنا بفزعٍ وهي تنادي عاتق الذي جاء على الفور:

- ما الذي حدث لها؟!

تحشرج صوت آنا بخوفٍ شديد وهي تجيبه:

- لا أعرف.

حاول أن يحملها بين ذراعيه ولكنه كلما اقترب منها دفعه شئٌ ما للخلف، وكلما حاول زادت قوة هذا الشيء لتقول آنا بذعرٍ:

- ما الذي يحدث لها؟!

حرك رأسه بحيرة وهو يقول لها:

- لا أعلم، يبدوا أنهم غاضبون لأنها استطاعت الوصول للمكان الذي يخفونه منذ زمنٍ بعيد.

وضعت آنا كفيها على رأسها بعجزٍ وهي تحاول السيطرة على دموعها وهي تصيح به:

- افعل شئ يا عاتق.

ضمَّ كفيه ببعضهما وأغمض عينيه ليتكون في قبضته دائرة من نورٍ حاول تضخيمها بقدر ما استطاع، ثم وضعها على صدرها وهو يضغط بقوة حتى لا يدفعونه بعيدًا عنها، استمر هكذا للحظات يتحمل قوة ردعهم إياه حتى بدأ أنفه البشري ينزف بقوة، إلى أن استكان جسدها بشكلٍ كبير جعله يبتعد وهو يجفف دمائه بتعجب. استطاعت آنا أن تُمسك يدها رغم أنها حين فعلت سرت الذبذبات الغريبة هذه في جسدها ولكنها تحملت الألم، ليستقيم جسد عاتق الذي كان يترنح منذ قليل وهو يقول لها:

- يجب أن نذهب للقصر الآن لكي نبحث عن الغرفة السرية، فلن تفق أبريال الليلة حتى تُخبرنا عن مكانها، لن يدعوها تعود

قبل صباح الغد حين يطمئنون أنهم مازالوا في جسدها.

أحنت آنا رأسها تجاه أذن أبريال هامسة:

- إن أصاب شقيقتي مكروهٌ أعدكم أن الجحيم سيكون عقابًا هين لكم، وأنتِ يا حبيبتي؛ أعرف أنكِ تستمعين لي، تحملي لأجلي وسوف أخرجكِ من هُناك الليلة وسينتهي كابوسك هذا للأبد.

طبعت قبلة رقيقة على جبهتها قبل أن تنظر لعاتق قائلة:

- هيا بنا، فأنا أعرف رجلًا سوف يساعدنا على إيجاد هذه الغرفة الملعونة.

* * *

اليوم التاسع

٩ - آذار

كان يلعب على أرضية الغرفة بعربته البلاستيكية التي دفعها للأمام بقوة منتظرًا رجوعها إليه، ولكنها توقفت في منتصف الطريق وكأن أحدهم أعاقَ طريقها، علا صوت أزيز باب الغرفة وهو يُغلق عليه ببطء حتى لا تسمعه أم أسعد التي تقف في مطبخها كعادتها تُحضر طعام العشاء قبل قدوم زوجها وولدها من العمل، وبجوارها الراديو الصغير الذي يصدح منه صوت محطة القرآن الكريم.

وفي لحظة انغلق الباب بالكامل، سمع سليمان صوت ارتطام الراديو أرضًا ليتفتت إلى قطع، وصله صوت شهقة أم أسعد واستعاذتها من الشيطان الرجيم، لتجلس السيدة أرضًا وهي تحاول تجميع جهازها وهي تردد الحوقلة باستمرار، تماسك الطفل كعادته، وبداخله رعبٌ كبير، ولكن لاعتياده مواجهتهم أصبح يُظهر الكثير من القوة التي لا تتناسب مع سنه الصغير، ولأن مرافقه الصالح أخبره من قبل أنه إن أظهر خوفه سيُصبح لقمة سائغة في فمهم، ظل جالسًا في موضعه لم يتحرك وهو ينتظر الزائر ليعرف سبب زيارته هذه.

اتجهت حدقتاه نحو اليمين ليستدير برأسه بعدها إلى نفس

الجهة محاولًا الابتعاد قدر ما استطاع عن انفاس هذا الكائن الساخنة حد الاحتراق، همس في أذنه اليسرى وهو على وضعه حتى بدأ في ترديد بعض الآيات التي جعلت هذا المتطفل يبتعد بعروضه المُغرية أو لنقل شديدة الاغراء عنه، فبعدما كان يعده ببيتٍ كبير، وأموالٍ لا تُعد، ضاعف عرضه لقصرٍ في منطقة راقية، وسيارة فخمة من طرازٍ حديث، بالإضافة لعملٌ مهمٌ لوالده، وفوقهم أموالٌ طائلة ونهاية العرض كان شفاءٌ تام لأبيه وخروجه من المشفى اليوم.

تناهى لسمعه صوت أم أسعد الذي كان يعلو كلما اقتربت من باب الغرفة، لتفتح الباب بملامح مندهشة وعيناه تضيقان وهي تنظر إليه وبيدها الهاتف المحمول تضعه على إذنها قائلة:

- كان يلعب بعربته الصغيرة في الغرفة.

ثم أردفت وهي تعطيه الهاتف:

- تحدث مع أمك يا صغيري.

بدأ خطابه بهدوء ما زال يخالف انتفاضة قلبه وجسده معًا تحت أنظار أم أسعد التي بدأت في ترديد آيات الله والاستعاذة المستمرة:

- هل أبي بخير؟!

أجابته أمه وهي تحاول التماسك:

- كان بخير في صباح اليوم، والآن ساءت حالته فجأة ودون سابق إنذار.

ثم استطردت وهي تخفض صوتها حتى لا يسمعها أحد:

- هل أنت واثقٌ ممَّا أخبرتني به يا ولدي؟!

أجاب بحزنٍ بعدما عرف أن ما حدث لوالده هو ردة فعل رفضه لعرضهم للمرة التي فقد عَدها، ليجيبُها بثقة يفتقدها:

- ثقي في قدر الله يا أمي فكل قدره خير، لا تتوقفي عن الدعاء وحينها سيعود بخير.

وكأن طفلها الذي لم يتعدى السابعة، مسح على قلبها بلطفٍ بالغ، جعلها تُجفف دموعها وهي تقول له:

- ونعم بالله يا صغيري، بارك الله فيكِ وجعلك دائمًا قرة عيني.

أكملت حديثها بسؤالٍ لهف قلبها لإجابته:

- هل أنت بخيرٍ يا حبيبي؟! سامحني فأنا لن أستطيع القدوم الليلة أيضًا.

أجابها بحماس وبنبرة حاول تزينها بالسعادة:

- أنا في أحسن حالٍ يا أمي، خالتي تعتني بي كثيرًا، لا تقلقي وانتبهي جيدًا لأبي، وحين تستقر حالته هاتفيني.

أنهى محادثته مع أمه وقام من موضعه وهو يناول أم أسعد هاتفها، فأمسكت يده لتسحبه خارج الغرفة وهي تنظر في أركانها بريبة وعدم راحة حتى خرج الاثنان للصالة، فأجلسته على أحد مقاعد السفرة وجلست أمامه وهي تسأله بقلقٍ:

- لما أغلقت باب الغرفة عليك يا ولدي؟!

نظر في عينيها وهو يجيبها بصدقٍ:

- لم أكن أنا يا خالتي.

وبحركة تلقائية استمرت في الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، لينقلب وجهها للرعب الشديد، فهي بالفعل شعرت بشيء غير مألوف يحدث في شقتهم منذ قليل، اندفاع جهاز الراديو أرضًا دون أن يلمسه أحد، وغلق باب الغرفة وسليمان بداخلها، والآن يخبرها أنه لم يكن هو، وبالفعل الطفل صادق

فليس من عادته الكذب أبدًا!

تنهدت بعمقٍ ورغم خوفها منه إلا أنها جرته في احضانها وهي تمرر كفها على رأسه مرددة آية الكرسي، ليأتيها صوته من داخل أحضانها قائلًا:

- أشعر بخوفكِ الشديد مني يا خالتي، ورغم ذلك تحاولين السيطرة عليه واحتوائي، فأنا ما زلتُ في نظركِ طفلٌ صغير.

ابتعد عنها وهو يدقق النظر في عينيها بندمٍ:

- أعتذر منكِ أنا لم أقصد أن أخيفك.

أمسكت بكفه الصغير تُقبله وهي تقول له بتأثر:

- لا تعتذر يا صغيري فأنا أعلم أنك لا تحملُ ذنبًا فيما يحدث معكَ، أنا مشفقة عليكِ يا حبيبي، لا يجب أن تحدث هذه الأشياء معك وأنت في هذه الحداثة من العمر.

ثم وقفت بحدة وهي تستطرد:

- يجب أن أبحث لكَ عن شيخ يجعلهم يبتعدون عنك.

قبض على كفها لتتوقف:

- لا ترهقي نفسكِ بالتفكير لأجلي يا خالة، فأنا بعزة الله وقدرته أستطيع ردعهم.

لم يُصرح لها عن الرجل الصالح الذي يساعده وآثر الصمت واقفًا ليتوجه لنفس الغرفة كي يأتي بلعبتهُ المفضلة على أعين أم أسعد التي مازالت تلتمع بالدموع على هذا الطفل الذي يخفي معاناته عنها كي لا يثقل حِملهُ عليها، وكأنه يقول لها يكفي استضافتك لي وعنايتكِ بي حتى يعود كلًّا من أمي وأبي. عاد بلعبته إليها ليضعها على المنضدة، ثم ركض نحو جهاز الراديو الذي وضعته أم سعد في الحقيبة كي تعطيه لولدها ليصلحهُ أو ليبتاع لها غيره، رجع سليمان يحمل الحقيبة في يده وهو يقول لها:

- سأذهب به إلى عم عطية كي يُصلحه لكِ، فأنا أعرف أنكِ لا ترتاحين إلا وصوت آيات الله تملئ المنزل.

ابتسمت نحوه وهي تحاول أن تثنيه عن الأمر لخوفها من خروجه بمفرده، رغم علمها أنه يبتاع كل أغراض المنزل لوالدته ويعرف المنطقة جيدًا، بالإضافة لأنهم يعيشون في حارة صغيرة وجميعهم يعرف بعضهم البعض، ولكنه أمانة عندها ومسؤولية فلا تريد أن يصيبه مكروه وهو في أمانتها:

- لا يا ولدي حين يأتي أخيك أسعد سأجعله يذهب إليه ليعطيه إياه، فلا تخرج في هذا الوقت من الليل.

أصر سليمان على الخروج لغرضٍ في نفسه رغم التحذير شديد اللهجة الذي يأتيه من الكائن الواقف على يمينه كي لا يغادر المنزل، ولكنه تجاهلهُ وخطا خارجًا بعدما أقنع أم أسعد أنه لن يتأخر عليها وسوف يعود على الفور حين يسلمه الجهاز، فهي لم توافق إلا حين وعدها بأنه سيتركه عنده ليقوم أسعد باستلامه منه وهو عائد للمنزل، هو بالفعل كان مُحقًا في وعده وهو أنه سيذهب لعمه عطية كما يناديه، ولكنه لن يعود إليها.

* * *

قام بإدخال الإحداثيات التي وجدها على موقع البحث حين كتب العنوان المدَّون بالتفصيل في الورقة التي دَونها خلف الشيطان، أظهرت الخريطة الالكترونية مكان بيت الطفل الذي يَبعُد عنهم ما يقرب من الساعة عبر الطريق المختصر، أدار مفتاح السيارة ونظر نحو هَياه التي تجلس بجواره بملامح شبه ميتة لا يظهر عليها أي تعابير سوى الألم، لقد مضت الساعات الفائتة دون أن تنطق بحرف، كان يسمع صوت بكائها من المرحاض بعد أن تتقيأ بشكلٍ قمئ، ثم تخرج لتأخذ حبة أو حبتان من المخدر وتعود للاستلقاء مغمضة العينين، انطلق في طريقه وهو يقول لها:

- دعينا نفكر سويًا، كيف سنستطيع خطف هذا الطفل الآن،

مؤكد سنجده في شقته مع والديه.

لم تجيه وكأنها لا تسمعه، لقد مرت بأسوأ ليلة عاشتها في حياتها، لقد خدعها الشخص الوحيد الذي وثقت به، ولا تعرف لمَ فعلت ذلك، لقد طمأنها أنه لن يقتلها مثلما فعل مع زوجته، وقد صدقته بالتأكيد فهو بالفعل لا يستطيع فِعل ذلك، ولكنه فعل الأسوأ والأقذر الذي لم تكن تجرؤ على تخيله، لقد سلمها لشيطانٍ ملعون أشعل النار في جسدها ومهما حاولت لم تستطيع ولو حتى تخفيف شعلتها الموقدة، شعرت بمعدتها تنقلب للمرة العاشرة كلما تذكرت ما حدث، حاولت السيطرة عليها حتى لا تفعل ذلك داخل السيارة، واستدارت برأسها تجر حقيبتها التي تضعها على المقعد الخلفي وهي تُخرج من داخلها عُلبتها التي تحوي حبوبها المخدرة، يدها كان ترتعش بشكلٍ كبير وهي تضع اثنان من هذه الحبوب في فمها، عادت بجسدها على مقعدها الأمامي لتتجرع الكثير من المياه الموضوعة في الزجاجة أمامها أعلى التابلو.

أعادت رأسها للخلف وهي تغُمض عينيها في سبات، بينما ينظر إليها جاد بطرف عينيه من وقتٍ للأخر دون أن يتحدث إليها ثانية، تركها حتى أدى مفعول المخدر عمله لتخبره وهي على وضعها وعينيها مازالت مغمضتان:

- أنا أعرف تلك المنطقة جيدًا، فقد كان لي صديقة تسكن هُناك، لذا فأنا أؤكد لكَ أنك لن تستطيع لمس هذا الفتى، فكُل

هؤلاء الناس في هذا المجتمع بالذات يعرفون بعضهم البعض.

ضيق عينيه وهو يخاطبها بامتعاضٍ:

- لا أجد كلمةً أستطيع أن أشكركِ بها على هذه المعلومة القيمة.

فتحت عينيها بغضبٍ وهي تقول له بحدة واضحة:

- إن لم يعجبك حديثي فأذهب وشاهد الأمر بنفسك، وحين يمسكون بكَ ليبرحوك ضربًا دعني أرى استهزائك هذا.

آثر الصمت وهي كذلك حتى وصل المكان، وقف على جانب الطريق المؤدي للحارة الضيقة وهو يُفكر بصوتٍ مرتفع:

- ماذا أفعل الآن؟! هل أدخل سيرًا على الأقدام وأسأل عن بيتهم؟! ماذا سأقول لهم إذًا؟!

رفعت زاوية فمها بابتسامة متهكمة وهي تقول:

- قل لهم إنني أريد هذا الفتي كي أستخلص دمائه، وأسلم روحه للشيطان وأخذ مكافئتي.

رمقها شزرًا، ثم قام بغلق جميع زجاج السيارة قبل أن يبدئا

في الشجار سويًا.

وعلى مَقرُبة من السيارة كان سليمان يقف بمحاذاة الحائط يشاهد ما يحدث معهم، بينما رجلهُ الصالح يقف جواره يحاول إقناعه بألا يذهب إليهم، حتى فقد صبره قائلًا:

- لا تُغضبني يا فتى، فأنت تعرف أنك لو أصريتُ على الذهاب معهم سوف أتركك.

ظلت عين سليمان عليهما وكلٌ منهما يصرخ على الآخر وهو يحدثه:

- أرجوك لا تقلق، أنا أعلم القليل ممّا لا تعلمه أنت.

كاد الرجل أن يصرخ به ولكنه تمالك نفسه بصعوبة وهو يردد:

- أنت تعلم ما لا أعلمه أنا! أنت يا ذا السبع سنوات تعلم ما لا أعلمهُ أنا الذي قارب عمري على الثلاثمائة عام؟!

التف الصغير قبالته وبصوته الشجي حاول استدرار عاطفته:

- ثق بي يا صديقي واتركني أذهب، وحين أخفق سأستمع إليك الباقي من عمري.

قاطعه بحدة:

- لن يكون لكَ عمر يا مختل، سوف يقتلك هؤلاء.

توسل إليه بطريقة طفولية:

- أرجوك دعني، وإن أردت تركي فليس عليك حرج.

صك أسنانه بغضبٍ، واحمرت عيناه الطولية في صمتٍ ليُباغته سليمان وهو يركض نحو السيارة هامسًا:

- أراكَ بخيرٍ يا شيث.

توقفا عن العراك حين سمع جاد صوت طرقٍ على زجاج سيارته، وجدهُ طفلُ صغير، فضيق عينيه وهو يفتح زجاجه قائلًا:

- ماذا تريد يا فتى؟!

ابتسم سليمان وهو ينظر لحدقتيه مدققًا:

- لقد جئت إلي هنا لأجلي، لذا فأنت من تريدني وليس أنا.

* * *

وصلا للقصر وعاتق يحمل أبريال على ذراعيه، وقف الاثنان في البهو الكبير وعين عاتق تدور في المكان كله تتفحصه بدقة وهو يحاول إيجاد أي ثغرة تدلهُ على مكان الغرفة، بينما انطلقت آنا في جميع القصر تحاول البحث هي أيضًا من جهتها وهي تناديه:

- يوناس.. يوناس.. يوناس أرجوك أحتاج إليك بشدة.

وضع عاتق جسد أبريال أرضًا واختفى من البهو ليظهر في أحد الغرف، جال بنظره فلم يجد فيها أي مدخل سري فانتقل إلى أخرى، وظل هكذا يتنقل بين الغرف يبحث بها عن أي شئ ملفت ولكنه لم يجد شيئًا على الاطلاق، لم ييأس وظل يبحث وآنا مازالت تقف جوار شقيقتها تنادي يوناس الذي حضر بعدما فقدت الأمل أن يُجيبها، أقبلت عليه بقلقٍ كبير وهي ترى وجهه حزينٌ لأول مرة بهذا الشكل، لتسأله بنبرة ظهر عليها الخوف:

- ما بكَ يا يوناس؟! لقد استدعيتك كثيرًا ولم تستجب، والآن أراك وقد امتلأت ملامحك بهمٍ كبير، ما الذي حدث!

وقبل أن يُجيبها وجد عاتق يظهر خلفها، فضيق عينيه قائلًا:

- عاتق! ما الذي جمعكما ببعضٍ؟!

أجابه عاتق بهدوء:

- لقد سررتُ أيضًا برؤيتك يا يوناس.

عينيها لم تفارق وجهه وهي تقول له:

- قصةٌ كبيرة لا مجال للحديث عنها هُنا.

لمح يوناس جسد أبريال خلف عاتق، فأمال برأسه يدقق النظر في جسدها الذي تتصاعد منه ذبذبات غريبة، فاقترب منها لينقلب وجهه لشعورٍ غريب جهلته آنا وهي تراه يجلس على ركبتيه أرضًا جوارها وهو يسألهم بحيرة:

- من هذه؟! وماذا يوجد داخلها؟!

جثت آنا جواره وهي تجيبه:

- هذه أبريال شقيقتي..

وقبل أن تُكمل قاطعها:

- شقيقتك! كيف؟!

تنهدت بقوة قائلة:

- أختي غير الشقيقة من أبي، وهذه أيضًا قصةٌ طويلة ولا يوجد وقتٌ لدينا.

ثم أردفت برجاء:

- في هذا القصر غرفةٌ سرية اجتمع بها الملوك الست ومعهم أحد الوزراء، بدأوا بها طقوسًا كي يهربوا من آبيغور بعدما تعاقدوا معه، ولكن الوزير الذي اصطحبوه معهم لم يكن بالقوة الكافية فمات في منتصف الطقس وهم لا يعرفون بذلك، وبدلًا من أن يهربوا لمكانٍ آمن يستطيعون فيه ايجاد حلٍ لفسخ عقدهم مع آبيغور دون أن يخسروا حياتهم، انتقلوا للخواء..

قاطعها يوناس وهو ينتفض واقفًا:

- تقولين الخواء؟!

ضيقت عينيها بتساؤل:

- ما به؟!

تعالت أنفاسه وذهب عقله لموضع آخر وهو يقول لها بنبرة تدل على شروده:

- اكملي.

فاستطردت آنا:

- جدها من أمها كان يقوم ببعض الطقوس لاستدعائهم بغرض بعض المصالح لبلده، فقد كان يعمل قائدًا في الجيش قبل أن يمتهن السحر ويُصبح ساحرًا كبيرًا، وهناك دخلت شقيقتي الغرفة دون أن يشعر جدها، وبطريقة ما وجدوا أن بها شيئًا، خاصة لوجود هالة تحميها من بطشهم، فعزموا أمرهم أن يصحبوها لتكون سابعتهم كي ينهوا باقي الطقوس ويعودوا من الخواء بعدما استطاعوا إبطال عقد آبيغور، فكما عرفتُ من جدي آصف أن العقد ينص على كونهم أحياء، ولكن بعد انتقالهم للخواء فقد انتفى هذا البند، وبعودتهم لهذا العالم سوف يعُم دمارٌ كبير، وعلى الجانب الآخر فآبيغور يريد روح أبريال قبل أن يحصلوا هم عليها كي ينتقم منهم على ما فعلوه من ناحية، ومن ناحية أخرى امتلاك الروح السابعة التي ستجعله هو يحكم العالم.

ردد يوناس ما يجول في عقله:

- أو كي يمنع أبريال من الولوج للخواء لغرضٍ ثالث.

ضمت حاجبيه قائلة:

- ما هو الغرض الثالث؟!

أخذ نفس عميق وهو يقول لها:

- لا تهتمي، هل تريدين مني الآن أن أعرف لكِ مكان الغرفة السرية؟

أومأت برأسها، فاختفى على الفور، ليتبعه صوت عاتق:

- لقد بحثت في جميع القصر قبل حضورك ولم أجد شيئًا.

لحظات ووقف يوناس أمام أبريال ليحملها، فأوقفه عاتق قائلًا:

- دعها لي.

لاح على ثغره ابتسامة لطيفة، ومد يده لآنا لتمسك بها قائلًا:

- حسنًا، اتبعني.

انتقلا للغرفة التي كانت تشع باللون البرتقالي المائل للحُمرة، فنظر عاتق نحو يوناس بتعجُب متسائلًا وهو يضع جسد أبريال على القالب الرخامي الذي يتوسط الغرفة:

- كيف وجدتها؟!

أجابه يوناس وهو يدقق النظر لجسد أبريال:

- بعض التعاويذ من الكتاب الذي أحمله.

حرك عاتق رأسه وهو يردد:

- نعم لقد فهمت.

وقفت آنا على الجانب الآخر بجوار جسد شقيقتها وهي تسألهم:

- ماذا سنفعل الآن؟!

رفع يوناس بصره تجاهها وهو يقول لها:

- لن أستطيع المكوث معكم فليس لدي وقتٌ كافٍ.

ثم أدار رأسه نحو عاتق:

- قم أنت بهذا الأمر، واحذر من تجمع الشياطين حولك ليوقفوك، فأنت تعرف آبيغور وأعوانه.

فرد عاتق جسده بقوة قائلًا:

- لا تقلق فعند الخسوف سيكونون منشغلين بالتنصت.

أومأ يوناس برأسه، وقبل أن يختفي أوقفته آنا وهي تقترب منه:

- ما بك يا صديقي؟! أنا قلقة عليكَ منذ أن أخبرني عدار أنك لن تجيبني ولو بعد شهور أو بضعة سنين.

رغمًا عنه ابتسم وهو يردد:

- عدار!

هزت رأسها نفيًا وهي تسرع بقولها:

- لا . . ليس كما تتخيل.

ثم أردفت:

- أترك عدار الآن، واخبرني ما بك؟

نظر نحو أبريال قائلًا:

- اهتمي بشقيقتك الآن، وإن قُدر لي الخير فلنا جلسة طويلة.

اختفى من أمامهم، لتحدق في عاتق قائلة:

- هل تعرف يوناس جيدًا؟!

أجابها وهو ينظر بعينيه للسماء الموجودة خارج القصر:

- الجميع يعرفه، ويعرف أبيه الذي توفى قريبًا.

شهقت آنا بفزعٍ وهي تقول:

- كيف حدث هذا؟!

رفع كفه أمامها قائلًا:

- اهدأي يا آنا ودعيني أصب تركيزي على أبريال، فسوف يخرجون من جسدها بعد قليل.

صمتت وهي تشعر بحزنٍ كبير تجاه صديقها المخلص الذي أنقذ حياتها العديد من المرات، ومن بعدها لم تقع في مشكلةٍ إلا كان هو السند الوحيد لها، رددت دعاءً بداخلها لأجله وهي تتمنى أن تراه بخيرٍ قريبًا.

انتصفت الثانية عشر ودقيقتين ليبدأ خسوف القمر في دورته، ارتفع جسد أبريال من على الطاولة الرخامية ببطء، فعادت آنا

للخلف وعلى الجهة الأخرى فعل عاتق بالمثل وهو يشير لفمها ألا تفتحه أو تحاول إصدار أية صوت، خرج الملوك بالتتابع تحت أنظار عاتق فقط، ولكن آنا لم ترى شيئًا سوى ارتعاد جسد شقيقتها وهو يعلو ويهبط حتى استقر اعلى الطاولة مرة أخرى، كانت تتوقع استيقاظها على الفور فاقتربت منها تهمس لها:

- اصمدي قليلًا يا حبيبتي.

نفى عاتق الأمر قائلًا:

- لن تسمعكِ يا آنا ولن تستيقظ قبل الغد، يجب أن تمر هذه الليلة كما يريد آبيغور.

زفرت بضيقٍ وهي تقول له:

- ماذا نفعل الآن؟!

خبط بكفيها بعضها البعض ليخرج من بين كفيه نفس الهالة البيضاء، مررها على جسدها وهو يردد آيات الله حتى كاد أن ينتهي لولا دخول عدد من الشياطين كي يمنعوه من اتمام الأمر.

دارت بينهم حربٌ شعواء ليبقى عاتق في المنتصف يحاول

أن يقيدهم جميعًا بسوطه ولكنه لم يستطع مجاراتهم، فكلما حاول السيطرة على أحدهم هجم عليه الآخرون في عراكٍ مميت جعله حتى لا يقدر على نداء شقيقته بولاربس كي تساعده، ارتمت آنا بجسدها على أبريال لتحميها من هذه الهجمات وهي مغمضة العينين حتى لا ترى وجوههم القميئة وتفقد الوعي، ظلت هكذا للحظات عاجزة عن فعل شيء سوى حماية شقيقتها بجسدها إلى أن شعرت بحرارة عالية تقترب من جسدها تلاها نداء عاتق عليها بصوته المرتعب يحذرها؛ فشعرت بالخطر الشديد الذي يهددها هي وأختها، فلم تجد أمامها حلًّا إلا أن تصرخ باسمه:

- عدار.. اغثني يا عدار

* * *

اليوم العاشر

١٠ - آذار

نظرت في الساعة المُعلقة على الحائط وهي تدور حول نفسها، لقد مرَّ أكثر من نصف ساعة ولم يعُد سليمان للبيت، خرجت للنافذة مرة أخرى على أمل أن تراه عائدًا، ولكنها لم ترَ أية أطفال في الحارة في هذا الوقت، فصدح صوتها بينما تنادي على جارتها:

- يا أم محمد...

رددتها أكثر من مرة حتى أجابتها الجارة بقلق:

- مابكِ يا أم أسعد؟

سألتها وهي تقاوم البكاء من الخوف:

- من فضلكِ اسألي ولدك محمد، هل رأى سليمان منذ قليل؟

رفعت أم محمد حاجبيها ونادت طفلها لتسأله، فأجابها الطفل بأنه شاهده هو وباقي الأطفال، قبل أن يصعد كُلًا منهم لبيته، يتحدث مع شاب وفتاة في سيارة غريبة ثم صعد معهم.

صدرت شهقة عالية من أم أسعد وهي تخبط على صدرها عدة خبطات، تاركَة دموعها تتساقط وهي تغادر النافذة عائدة للداخل دون أن تتحدث مع جارتها مرة أخرى. ظلَّت تبحث عن هاتفها بذعرٍ شديد وعقلها يكاد أن يُجن، لقد خانت أمانة جارتها التي تعتبرها مثل ابنتها، لقد مرت بأوقاتٍ عصيبة ولولا هذه الفتاة التي تتمتع بالكثير من طيبة القلب والحنان لكانت الآن طريحة الفراش بعد إصابتها بجلطة مفاجئة وهي بمفردها في المنزل، لقد اعتنت كريمة بها وكانت بمثابة ابنة بارَّة، وحين جاء دورها الآن لترد ولو جزء بسيط من جميلها الكبير عليها؛ تركت طفلها يضيع ولا تعرف له مكان أو من هؤلاء الذي أخذوه.

وجدت هاتفها، فاتصلت بابنها أسعد بيد مرتشعة، ليجيبها على الفور:

- هل تريدين أي شئ من الخارج يا أمي؟!

وجدها تبكي بحرقة، فشعر بالخوف الشديد وهو يحاول أن يهدئها حتى يفهم منها ما الذي حدث، فَطن بصعوبة من بين شهقتها المتتالية أن سليمان مفقود. كان أسعد قد اقترب من المنزل، فأنهى المحادثة مع أمه حتى يصل وتشرح له ما حدث بهدوء، وبالفعل لم تمر سوى بضع دقائق وكان بالداخل يجلس معها يستمع لما قاله ابن جارتهم الصغير عن رؤية الطفل يركب سيارة مع شخصان مجهولان، حلَّل الموقف بهدوء، ثم قال لها:

- لمَ جزمتِ بأنه خُطف يا أمي؟! لو كانوا بالفعل خاطفين لكان سيصرخ أو يحاول الهرب منهم، ولكن على حد قولكِ أن محمد وبعض الأطفال شاهدوه وهو يتحدث إليهم قبل أن يركب معهم السيارة، أليس كذلك؟

هزت رأسها بإيجاب وهي تجفف دموعها، لتجيبه ونبرة الخوف الشديد ما زالت تسكُن صوتها المضطرب:

- من الممكن أن يكونوا قد خدعوه كي يركب معهم دون أن يشعر بهم أحد.

ضمَّ حاجبيه باستفهام:

- لا أفهم ما الذي تقصدينه؟!

عادت للبكاء ثانية وقالت له:

- أقصد أن يكونوا أخبروه أنهم ذاهبون لأمه وأبيه وأخذوه معهم على هذا الأساس.

ظهرت الحيرة على وجهه وهو يخاطبها:

- يا أمي، سليمان طفلٌ مميز ولا تعولي على سنه الصغير،

فأنا واثق بأنه يعرف هذان الشخصان وقد ركب معهم بارادته، وحتى لو أخبروه أنهم ذاهبون إلى والديه فمن الممكن أن يكونوا أقرباءه.

ثم أردف متسائلًا:

- ألم تخبريني مسبقًا أن والدته لديها العديد من الأخوة؟ من المحتمل أن يكون ذلك الرجل أحدهم أو ابن أحدهم وجاء ليطمئن على أخته وزوجها فور معرفته بالحادثة، وحين رأى سليمان وتحدث إليه وعَلم أنهما ما يزالان في المشفى أخذه إليهم.

توقفت عن البكاء وقلبها يُخبرها بأن توقعات ولدها ليست في محلها، فقد أخبرتها كريمة من قبل أنها انفصلت عن أشقائها منذ العديد من السنوات ولا تعرف عنهم شيء، حركت رأسها نفيًا وهي تتحدث وعقلها في شرودٍ تام:

- لا، القصة ليست كذلك يا ولدي، كريمة لا تعرف عن أخواتها أي معلوماتٍ وهم كذلك.

سألها بمنطقية:

- هل هاتفتها واخبرتها بما حدث لأبنها؟!

عادت دموعها للتساقط وهي تجيبه:

- لم أجرؤ على فِعل ذلك يا ولد.

أخرج أسعد هاتفه من جيبه وهو يقول لها:

- حسنًا سأخبرها أنا.

ثم استطرد وهو يحتضن كفي أمه بحنان:

- ولكن اهدأي قليلًا أرجوكِ، فأنتِ تعلمين أن هذا الحزن يؤثر على صحتك يا حبيبتي، أعدك أنني سأجده.

ضغط زر الاتصال على رقمها المسجل باسم زوجها، لتجيبه على الفور ، وبصوتٍ متوترٌ للغاية، باغتته بسؤالٍ جعله عاجز عن الاجابة:

- ما به ولدي؟!

* * *

حضر عدار على الفور فزعًا عندما آتاه صوتها بهذا الرعب، لم ينظر إلى عاتق الذي كان يحارب هؤلاء الشياطين بكل ما أوتي من قوة، ولم يعنِه أيضًا وضع أبريال الفاقدة للوعي

تحت جسد آنا التي تحميها من أن يصيبها أي سوء خلال هذه المعركة الشرسة، كل ما فعله هو الانحناء ليحاوطها بكلتا ذراعيه، قبل أن يختفي من الغرفة في الحال.

لم تدرك آنا مكانها إلا حين قربها منه، ليرفع وجهها بسبابته وهو يسألها بنبرة قلقة:

- هل أنتِ بخير يا حبيبتي؟!

كانت تعتصر عينيها بقوة، ولكن حين سمعت صوته فتحتهما وقلبها يكاد يخرج من صدرها من الخوف، لتهدأ أنفاسها قليلًا وهي تهز رأسها إيجابًا:

- نعم أنا بخير الآن..

لتدرك على الفور أنه قد أخرجها من الغرفة.

دفعته بكلتا كفيها وهي تلتف حول نفسها لترى أنها تقف في منتصف غرفة نوم! جدرانها خشبية، وبمحاذاة إحدى جدرانها ثمة هناك فراشٌ وثير، لترفع بصرها بمواجهة الفراش كي ترى نافذة زجاجية مفتوحة على مصراعيها تطل على بحرٌ كبير، فنظرت نحو عدار وهي تصرخ به:

- لقد استدعيتك كي تنقذنا من هجوم الشياطين وليس لكي

تأتي بي إلى هنا وتترك شقيقتي تتأذى منهم!

ثم أكلمت وصوتها يعلو أكثر وهي تقترب منه بغضب:

- عد بي إلى هناك في الحال.

رفع زاوية فمه بابتسامة عريضة وهو يقول لها بهدوءٍ شديد:

- لقد سمعتك تقولين «اغثني يا عدار » ولم تقولي «اغثنا يا عدار»!

لكمته بقبضتها في صدره وهي تصك أسنانها:

- لا تهذي يا أيها الحقير! أنت تعرف ما أقصده جيدًا، ولا تُطل في الحديث، أعدني الآن..

أمسك قبضتها التي تستقر أعلى صدره وهو يقول لها:

- حسنًا سنعقد اتفاق أولًا.

شعرت بالخطر يدنو من قربه هكذا، فحاولت أن تسحب كفها من يده، ولكنه لم يسمح لها حتى أن تحاول وهو يتأمل عينيها بعشقٍ لم تره في عين أحدٍ سواه، لتردد بداخلها «إلى متى ستصمدين أمامه يا آنا؟!»، سحبت قلبها سريعًا من براثن

عقلها المشتت لتهدر به:

- أنا لن أتفق معك على شيء. اتركني الآن، وعد بي إلى شقيقتي.

ترك قبضتها وهو يخاطبها بجدية عجزت عن فهمها في بادئ الأمر:

- هل تعرفين أنكِ لن تنالي مساعدة الشياطين أمثالي دون أن تدفعي الثمن؟

شعرت بصدمةٍ تخالطها الدهشة، فسألته بخفوتٍ دون تصديق:

- أي ثمن هذا الذي تتحدث عنه؟!

اقترب منها، فعادت للخلف وقد بدأ غضبها يتصاعد وهي تلعن نفسها أنها تهورت ونادته باسمه، فظل يتقدم دون أن يتوقف أو يبدي اهتمام لتراجعها، فصاحت به:

- إياك أن تقترب مني.

لاحت نظرة متسلية في عينيه حتى التصقت في الجدار خلفها، ليحاوطها بجسده قبل أن تتسلل منه، حاولت إبعاده

بكل قوتها، ولكنها لم تستطيع حتى زحزحته، فقررت تهديده بصوتٍ قوي:

- ابتعد الآن وإلا..

انحنى ليخطف قُبلة سريعة ابتلعت كلماتها التي حاولت أن تُرهبه بها، ليتركها بعد قليل تلتقط أنفاسها تحت نظراته التي كادت أن تأكلها حية، رفعت كفها لتصفعه فأمسك كفها قبل أن يصل لوجنته، وقال لها:

- لقد أخذتُ ثمن مساعدتي لكِ.

ثم ترك كفها يرتخي بجوارها ليُردف:

- هل توقعتِ ثمنٌ آخر؟! فأنا أرى في عينيكِ خيبة أمل كبيرة!

جحظت عينها واحمرت وجنتيها بينما انعقد لسانها من وقاحته، ليُقرب وجهه منها قائلًا:

- تستطيعين دفع الثمن الذي يرضيكِ في مقابل انقاذ شقيقتك، ما رأيك؟!

ضيقت عينيها وهي تقول له من بين أسنانها:

- في أحلامك..

ثم استطردت وهي تحاول ابعاده:

- ابتعد عني أيها الوقح، فلن تلمس شعرة مني ما دمت على قيد الحياة.

انحنى ليصل إلى أذنها، وهمس:

- بل أستطيع لمس كل جُزء في جسدك داخل أحلامكِ أنتِ، وأعلم جيدًا أنكِ سوف تستمتعين بالأمر لدرجة أنكِ لن تريدي الاستيقاظ أبدًا.

اضطربت أنفاسها، ليعود برأسه وهو يحاصر حدقتيها اللتان كانتا ترتعدان بقوة من تأثيره عليها، ليُكمل:

- ولكن أنا لا أرغب بكِ وأنتِ نائمة، بل أنا أتوق إليكِ وأنتِ في كامل يقظتك و تنطقين بإسمي كلما راقت لكِ لمساتي.

ابتلعت ريقها بصعوبة وفقدت النطق، ليبتعد عنها قائلًا:

- ستمكثين هنا حتى الثالث عشر من آذار، لأن القادم فيه خطرٌ كبيرٌ عليكِ، وأنا لن أسمح لكِ بأن تتأذي لأي سبب.

شهقت قائلة بصوتٍ رجَّ الغرفة:

- ما الذي تقوله؟! هل جننت! اعدني الآن لأبريال، أنا لستُ سجينتك يا أحمق، عد يا عدار..

تركها وصراخها يعلو أكثر وقد جن جنونها من تصرفه هذا، لينتقل إلى الغرفة السرية التي خلت من الشياطين الذين تركوها حين وصل هو وهربوا سريعًا، وجد عاتق يقف بجوار جسد أبريال وعلامات الحزن ترتسم على وجهه لأنه لم يستطيع إكمال الطقوس في الوقت المُحدد له وعادت الأرواح لجسدها كما كانت.

أغمض عدار عينيه وهو يحاول أن يتجاهل نداءات آنا وصراخها باسمه مثل المجنونة، ليدنو من عاتق ويقول له:

- عُد بها إلى البيت الذي حصَّنته من قبل وسوف تستيقظ بعد ساعات، سآتي بآنا وأوافيك هناك.

حدَّق به عاتق بتعجب وهو يقول له:

- أين تركتها؟! ولمَ أخذتها من هنا؟!

أجابه عدار وهو يدقق النظر في جسد أبريال ليتأكد أنها بالفعل مازالت في سبات عميق ولا تستمع إليهما:

- كي اعقد معك اتفاقًا دون أن تسمعنا احداهما.

رفع عاتق حاجبه، وبنبرة قوية قال له:

- أنا لا اعقد الاتفاقيات مع الملعونين أمثالك.

تأفف عدار بضيق:

- الملعونين أمثالي أنقذوك وأنقذوا حبيبتك من الموت منذ قليل.

اقترب منه عاتق غاضبًا:

- أنا أنقذتها وأنقذت نفسي، وهي ليست حبيبتي.

استدار و ولاهُ ظهره وهو يقول له:

- حسنًا انقذ التي ليست حبيبتك وحدك قبل الثالث عشر.

أوقفه عاتق سريعًا:

- انتظر.

التف عدار نحوه ليُردف عاتق:

- ما الذي تقصده؟

أجابه بنبرة قوية تليق به:

- أقصد أنني سأساعدك أنت وهي.

سأله عاتق بنبرة استهزائية:

- أنت ستفعل ذلك؟!

رفع عدار حاجبهُ قائلًا:

- هل تهزأ بي يا هذا؟

ابتسم عاتق بتهكم:

- حاشا لله.

ليستطرد وهو يضيق عينيه:

- وكيف ستساعدنا إذًا؟ ولأجل من؟ وما المقابل؟ فكما تعرف فهذا الاتفاقيات لا تأتي من الشياطين دون ثمن.

ضحك عدار وهو يتذكر حديثه مع آنا منذ قليل، لينتفض قلبه بخوفٍ حين انقطع صوتها عنه، فاختفت ابتسامته ليحل محلها القلق وهو يجيبه:

- أما عن كيف سأساعدك، فسوف أسلمكَ «ليميغيتون كالفيكولا سالومونيس»، الذي لم تستطيع القبض عليه ومنعت شقيقتك من فِعل هذا حتى تترك عبدته يأتون بالطفل الذي تريد أن يصل لآبيغور مقابل أبريال.

حاول عاتق التحدث وقد احتدم غيظه ممَّا اتهمه به عدار، فمنعه ليُكمل:

- ولأجل من؛ فأنت تعرف أنني سأفعل أي شئ لأجلها، أما عن الثمن فسوف تترك آنا لي حين أقول لكما الخطة التي سوف تنقذ أبريال من براثن آبيغور، وذلك لأنني أعرف إخلاص حرس السماء جيدًا لمن يحمونه.

وقبل أن يعترض عاتق اختفى عدار فورًا ليرى ما الذي حدث لآنا وهو يقول له:

- اذهب للمنزل الآن وسأوافيك بعد دقائق.

حمل عاتق أبريال وانطلق للمنزل وهو يقول بخفوت:

- هذا اللعين يقوم باستغلالي بأسوأ الطرق!

وصل للمنزل ووضع أبريال على فراشها وحين استقام شعر بأحدهم خلفه، فصك على أسنانه بحنقٍ وهو يقول:

- ما الذي جاء بكِ إلى هنا يا بولاريس؟

حدثته بانزعاج من طريقته معها منذ أن ظهرت هذه الفتاة في حياته:

- ما هذه الجروح التي تملأ جسدك؟!

التفت نحوها ليُمسك ذراعها يجرها خلفه لخارج الغرفة، وهو يقول لها:

- هذا ليس من شأنكِ.

صرخت به:

- لم تستمع لي وحاولت أن تُحصن جسدها قبل عودة الملوك وقد هجمت عليك الشياطين، أليس كذلك؟!

نظر للنجوم الساطعة في السماء باضطراب، فهو لا يريد عودة عدار وآنا و بولاريس معه، فإن رأت عدار لن تغادر

المكان وسوف تتجسس عليهم لتسمع اتفاقهم، فلم يجد أمامه إلا أن يقبض على ذراعيها وينتقل بها لغرفتهما في البيت الخاص بالحراس؛ المنزل الذي اتخذوه مكانًا لهم بعدما حدث هجومٌ للشياطين التي هربت من سجنهم على يد أخيهم الكبير، فحتى تنتهي هذه الحرب تجمع الصغار منهم في هذا البيت، مختبئين كما أمرتهم ملكتهم ثيجا من معاركها هي وأختهم الكبرى إيتا ضد الشياطين من جهة وأخيهم الخائن بلقين من جهة أخرى، لتحميهم من بطشهم، حتى إذا ماتوا جراء هذه الحروب استمر عمل الحراس على أكمل وجه، وبعد الترتيب من الأكبر للأصغر كانت أكبرهم هي «ثيتا» التي تزوجت شقيقها التالي «أركتوس» والآن هي في طور إنجاب أربعة أطفال مثل العادة.

اغلق الباب خلفه وهو يقول لها بنبرة حازمة:

- توقفي عن تتبعي يا بولاريس، واخرجي أبريال من رأسك، فكل ما يربطني بها هو التأكد من أنها لن تستطيع الاستعانة ولا الاتفاق مع أي شيطان لتُكمل مسيرة جدها، وحين اتأكد من ذلك سوف أتركها وأعود.

اشتعلت عينيها السوداء القاتمة بالغضب وهي تقول له:

- ومنذ متى ونحن نلاصق السحرة كي نتأكد من عدم انحرافهم يا عاتق؟! ألست مدركُ ما تفعله لأجلها؟

نفى الأمر وهو يزفر بضيق:

- ما الذي فعلته لأجلها يا حمقاء؟! توقفي عن هذيانك هذا واتركيني، فأنت لستِ قائدتي ولا وصية عليَّ.

وقبل أن يختفي اقترب منها يُحذرها:

- أقسم أنني لو رأيتكِ ثانية أو شعرت بوجودكِ في محيطي قبل أن تنتهي مهمتي سأقدم على أفعالٍ لن تتخيلينها.

عاد للمنزل سريعًا ليطمئن على أبريال، فوجدها مازالت نائمة، تنهد بقوة وهو يقترب منها هامسًا:

- ما الذي فعلتهِ بي أيتها الإنسية الخرقاء؟!

تعجب من تأخر عدار الذي أخبره أنه سيوافيه بعد دقائق، بينما كان عدار يقف عاجزًا في منتصف الغرفة التي أَمنها بنفسه، فهي لن تستطيع الخروج منها بأي شكلٍ ولا حتى من النافذة؛ المنزل يقع في منتصف المياه التي تحاوطه من الجهات الأربع، ولقد قام بإخفاء باب الغرفة وترك لها هذه النافذة الصغيرة كي لا تشعر فيها بالضجر والاختناق، النافذة عالية وصغيرة لن تمرر جسدها، وأسفلها بحرٌ عميق لو ارتمت به لكان سيسمع ارتطام جسدها في الماء، دار بعينيه في الغرفة وهو لا يفهم ما الذي حدث وقد اختفت منها بهذه

الطريقة الغامضة التي لا يستطيع استيعابها!

* * *

ظلَّ جالسًا أمامهما هكذا لساعتين متواصلتين دون أن يفتح فمه، رغم محاولاتهما طوال الطريق أن يفهما لمَ قرر الانضمام إليهما رغم معرفته أنهما يريدان أذيته التي وضحت من تعريفه بنفسه.

لم تدري هَياه سببًا لخوفها منه بهذا الشكل، الطفل يجلس في موضعه وعيناه تحومان حولها فترة وحول جاد فترة أخرى، وكلما شعرا بالضجر قاما من أمامه وللعجب أنهما لم يستطيعا تناول أي مخدرات في وجوده، والسبب الذي يقنعان به بعضهم البعض أنهما لا يريدان أن يفقدا تركيزهما لئلا يهرب الطفل.

في باديء الأمر كانا يظنان أنه يكذب عليهم ولكن العلامات التي أخبرهم بها الشيطان أكدَّت لهما أنه هو، بيد أن اللغز الذي لم يقدرا على حله مهما حاولا هو التحاقه بهم بهذه البساطة وباختياره!

زفر جاد بضيق وهو يقترب منه وبيده حبلٌ بلاستيكي ليقيده به حتى يستطيع النوم دون أن يخاف من هربه، رفع سليمان كلتا ذراعيه من أمامه وهو يحدق بعينيه قائلًا:

- لا تخف، فأنا قد أتيتك بمفردي، فلمَ أهرب؟!

دقق جاد النظر بعينيه، ليُردف سليمان بنبرته التي ما زالت طفولية رغم قوتها:

- لقد تعودت أن أواجه مخاوفي، وأنصحك بفعل هذا الأمر مثلي، فسوف يعني لكَ الكثير.

عاد جاد للخلف وقلبه يرتعد ولكنه أظهر القوة الجسدية التي جعلته يحدثه بقوة افتقدها بداخله:

- هل ساءت أحوالي لدرجة أن أسمع نصيحة من طفل لم يتجاوز الثامنة؟

انحنى نحوه وهو يصك أسنانه بغيظ:

- لولا أنهم قد حذرونا من أن نؤذيك لكنت صفعتك الآن صفعة تجعلك تعود لبطن أمك.

ابتسم له سليمان، ليزفر جاد بضيقٍ شديد وهو يصيح بهَياه:

- لا تغب عيناكِ عن هذا الحيوان الصغير حتى نتخلص منه.

كانت تراقب ما يحدث وهي تقف على طرف الباب، فرفع

سليمان بصره نحوها، ثم أشار إليها أن تقترب منه، توقفت للحظات مترددة، فأشار لها ثانية. دنت منه بقدمان يرتعشان من الألم تارةً ومن الحذر من هذا الطفل الغريب تارةً أخرى، شجعت نفسها بكلماتٍ منطقية: «أنتِ لم تخافي من مواجهة الشياطين يا هَياه، هل تخشين الآن من طفلٍ صغير؟!»

وكأنه سمع ما يدور بعقلها، فخاطبها بهدوء وابتسامة لطيفة:

- لا يا رتان، أنتِ تخافين الشياطين ولكنكِ تثقين بهم لأنكِ تعتقدين أنهم لن يؤذونك بموالاتك لهم، ولكن حين قام أحدهم بإيذائك أصبحتِ لا تثقين حتى بنفسك، أليس كذلك؟

شعرت بغصةٍ تقف في حلقها لتمنع تنفسها بشكلٍ صحيح، ورغم محاولتها منع دموعها من التساقط إلا أنها لم تقدر على ذلك من تأثير هذه الكلمات القاتلة عليها، جلست أرضًا تحت قدميه وانفجرت في البكاء.

فقد صَدق الفتى؛ هي لا تثق الآن حتى بنفسها، لقد تأذت كثيرًا منذ أن وطأت قدميها هذه الخلية، كانت تعتقد أنها سوف تحقق كل أمانيها وتعيش الحياة التي طالما حلمت بها، لقد تركت عائلتها ظنًا منها أنهم يجبرونها على الجهل الذي يتبعوه، هي تريد حريتها كاملة دون قيود، تريد أن ترتدي ما يحلو لها، وأن تمارس الجنس مع من تُحب دون أن يحكم عليها هذا المجتمع الجاهل بالانحلال، تريد أن تتناول

المشروبات الروحية أو كما يسمونها الخمر الذي يتمنونه في جنتهم المزيفة كما يقنعهم رجال الدين خاصتهم، تريد أن تأخذ حبات المخدر أو حتى تستنشق البودرة أو تصل لأن تحقن وريدها إن احتاج الأمر لذلك دون أن يطلقوا عليها مدمنة ويجرونها لمشفى نفسي لمعالجة الإدمان، هي ليست مريضة عقلية ولا تعاني من أزمات نفسية كما حاول الجميع إقناعها، بالعكس هي فتاة عاقلة وناضجة وذكية، بل أذكى من الجميع، لأنها على الأقل تعرف ما تريده وقد بحثت عنه حتى وجدته، مجتمع مثلها يشبهها لن يحكم عليها بالانفلات ولا الانحلال ولن يهدر ولي الأمر دمها كما أخبرها أحد الجهلة في مرة من المرات التي حاول فيها أهلها أن يذهبوا بها إلى شيوخ لعلهم يجعلونها تعود عن أفكارها المتطرفة، زمرة من السفهاء والآفاقين الذي يحكمهم مجتمع متسلط دموي يجعلهم يفعلون جميع الرذائل ولكن في الخفاء، لا يعرف عنهم أحد، أما هي فكيف تجرؤ على فعل ما تحب وتريد في العلن؟ حتى ملابسها فلا تجوز.

هربت منهم وشجعها على ذلك رفقائها الذي يهتمون بنفس اهتماماتها، ويبحثون عمَّا تبحث هي عنه، لتمر الأيام ويجدوا جميعًا فرصة الانضمام لمجموعة يموِّل رؤسائها احتياجاتهم، وحتى البارحة كانت مستعدة للتضحية بحياتها من أجل ما تعتقده صحيحًا، ولكنها سقطت اليوم في بئرٍ من التيه والظلام حتى يدها بالكاد كانت تراها، لقد باعها من وثقت به لشيطان تعبده معتقدة أنه منقذها، ولكنه استباح جسدها بأبشع الطرق،

أخذها عنوة نحو الجحيم وأعادها مرة أخرى، لكي تعلم أن هناك جحيمٌ مثل هذا في العالم الذي انتمت له بإرادتها، كانت تعتقد أن المجتمع الذي ولدت به هو الجحيم بعينه، ولكنها وللمرة الأولى التي تكتشف أنها بلهاء وغبية لا تفهم شيء.

اغرقت الدموع وجهها وكأنها بالون قد انفجر حين اقترب منه سنٌ حادٌ وضئيل، جلس سليمان جوارها وهو يربت على ظهرها برقة:

- جميعنا نخطئ يا رتان وينجو الذي يعود من خطأه نادمًا، أما الذي يعاند نفسهُ فسوف يهوي في قاعٍ لا مخرج منه للأبد.

اخرجت منديلًا من جيبها لتجفف به وجهها وأنفها وهي تسأله:

- كيف عرفت اسمي الحقيقي؟

ابتسم نحوها وهو يتربع مجيبًا:

- تعرفين أن رتان أفضل من هَياه ملايين المرات؟!

ابتسمت من بين دموعها قائلة:

- ما زلت أبغضه منذ صغري.

رفع حاجبيه بطفولية:

- هل تعرفين معناه؟!

هزت رأسها نافية:

- قالت أمي لي ذات مرة أن معناه الماء الموجود في الأصداف.

ضمَّ حاجبيه بتعجب وهو يقول:

- لا هذا معني اسم «ريتان» بالياء المضافة في أوله، أما اسم «رتان» فمعناه الجوهرة أو الحلية ويوحي بالشيء الثمين، وأنا أرى أنكِ أسمٌ على مُسمى.

جحظت عينيها بدهشة من إطراءه، لتبتسم برقة وهي لا تصدق ما قاله عنها:

- حقًا؟!

أومأ إليها بابتسامته البريئة مثل وجهه، فهدأت نفسها لقربه وبادلته الابتسامة بأخرى يصاحبها الامتنان لوجوده بعدما كان تخشاه في بادئ الأمر، عادت ملامحها للجدية وهي تسأله:

- لماذا جئت معنا؟

لم تتغير ابتسامته وهو يجيبها:

- صدقيني، أنتِ لا تريدين سماع الإجابة.

وقف قبل أن يجلس في موضعه مجددًا وهو يُردف:

- جسدك مُتعب للغاية، تستطيعين الذهاب للنوم وأنا سأظل مكاني، لا تخافي.

تحركت من أمامه وبملامح حانية قالت له:

- حاول أن تنام أنت أيضًا، فلم يعد سوى ساعاتُ قليلة على شروق الشمس.

ابتسم لها، فاختفت من أمامه ليحول هو وجهه للجهة اليمين وهو يسأل صديقه بهمسٍ:

- لقد نجحتُ في أول جولة يا شيث.

نظراته الغاضبة حاوطته وهو يقول له:

- اتسمي هذا نجاحًا يا أبله؟! الفتاة تعرضت للاغتصاب من

شيطانٍ ملعون، بالطبع هي تحمل نفسًا ضعيفة وهشة ومتألمة، ولكن بعد مرور عدة أيام سوف تعود إلى فُجورها وكأن شيئًا لم يكن.

ضمَّ سليمان حاجبيه بضيق:

- أنت لا تعرفُ حقًا نفوس البشر.

وقبل أن يعترض شيث، سأله بحزنٍ:

- دعك مني، وأخبرني هل أمي بخير؟!

هز رأسه نفيًا وهو يجيبه:

- لا ليست بخير، فهي تبحث عنك في كل مكانٍ، لقد ذهبت هي وأم أسعد ومعهم أسعد وزوجها وحرروا محضرًا في الشرطة باختفائك، وجميع من في الحارة ومعهم ضابط المرور جاركم يبحثون عن السيارة التي أحضرتك إلى هنا، فقد حفظ طارق أرقامها، فكما تعرف؛ هو يُحب أن يحفظ أرقام لوحات السيارات التي تمر من الحارة.

ابتسم سليمان رغم حزنه:

- نعم أعرف ذلك.

تحولت نظرات شيث من الغضب للرجاء وهو يقول له:

- دعيني أساعدك على العودة لأمك يا سليمان، وأترك الافكار الغريبة التي تسيطر على عقلك الصغير، فأنت لن تغيير العالم.

تنهد سليمان بعمقٍ وهو يخاطبه:

- أنا لا أريد تغيير العالم يا أيها الجني العنيد، أنا أتمنى تغيير هذان فقط.

صك شيث أسنانه بغيظ وهو يقول:

- هذان! جاد قاتل زوجته الذي قطَّع جسدها وأعطاه لكبيره الفاسق! أم رتان العاهرة التي تدمن جميع الممنوعات التي وجدت على الأرض؟! ألا تستحي من غبائك يا فتى؟

غضب سليمان بطريقة طفولية لنعته إياه بالغبي، ليعلو صوته وهو ينهره:

- حسنًا ابتعد عني، لمَ تلتصق بفتى غبيٌ مثلي؟ دعني واذهب ولا تعود.

رمقه بسخطٍ قبل أن يختفي من أمامه وهو يهمس له شزرًا:

- لا تنادِني ثانية، فأنا من الآن وصاعدًا لن أساعدك ولن أعود إليك مهما حاولت.

صمت سليمان بأسف وطأطأ رأسه وهو مُغتم لما حدث مع صديقهُ المُقرب، فهو لن يعرف الآن أخبار والدته وبالطبع لن يناديه ثانية ما دامت هذه رغبته، سمع خطوات تقترب منه، فرفع رأسه ليرى جاد يقف أمامه يضيق عينيه وقد لمح الشر يتسرب منهما وهو يقول له:

- مع مَن كنت تتحدث يا هذا؟

* * *

اليوم الحادي عشر
١١ - آذار

نقلتها على الفور للغرفة السرية الموجودة في المنزل العتيق الخاص بجد جدتها، فتلفتت آنا حولها متعجبة من هذا المكان الذي شعرت داخله بالراحة والطمأنينة رغم قِدمه.

وقفت عاقدة ذراعيها وهي تنظر إليها بتدقيق بعدما أعطى لها أبيها السوار كي تتحول لجسد إنسية، لأن هذه الفتاة لا تستطيع رؤية الجان، ظهر الامتعاض بوضوحٍ على وجهها وهي تسألها:

- من أين تعرفين أبي؟!

استدارت آنا لتواجهها بابتسامة هادئة وهي تُجيبها:

- أعرفه منذ سنوات، ولقد قام بمساعدتي كثيرًا.

ثم أكملت بسؤال هام:

- هل هذا المكان آمن؟!

أجابتها روهان بضجرٍ:

- نعم، هذا المكان لا يستطيع أحدٌ من ممالك الجان والشياطين جميعهم العثور عليه.

تنهدت آنا براحة كبيرة وهي تستفسر منها بلُطف:

- ما اسمك؟ وهل أنتِ بشرية مثل والدتك؟!

تأففت بضيقٍ إثر شعورها بالغيرة على أبيها، فهو لم يخبرهم من قبل أن له صديقة أنسية يعرفها منذ سنوات ومن الواضح أنه يُكن لها مشاعر طيبة جعلته يأمرها أن تلبي ندائها كي تفعل لها ما تريده، ولم يطلب هذا الطلب من أخيها ولا تعرف السبب، لذا أجابتها بانزعاج:

- اسمي روهان، وأنا لستُ أنسية، ولا أعرف ماذا بينكِ وبين عالمنا كي تكرهين رؤيته وتحكمين على أبي أن يأتيكِ على هيئته البشرية، وبدوره يحكم عليَّ أن أفعل بالمثل، وفي النهاية أنتِ من تحتاجين مساعدتنا.

رسمت آنا على شفتيها ابتسامة لطيفة وهي تحدثها:

- أرى أنكِ تفهمين الأمر بشكلٍ خاطئ يا حبيبتي..

قاطعتها روهان بغضبٍ:

- أنا لستُ حبيبتك، ولا أريد منكِ أن تشرحي لي وجهة نظرك، كل ما عليكِ الآن هو أن تُخبرني أين تريدين الذهاب لأعود لعالمي، فهناك أمورٌ سيئة تحدث في عائلتنا، ولست في حالة تقتضي سماع حديث فتيات تكره عالم الجان وبذات الوقت تطلب مساعدتهم.

رفعت آنا كلتا كفيها عاليًا وهي تقول لها:

- حسنًا اهدأي.. أنا لا أكره عالم الجان و أعتذر منكِ على سوء الفهم، بل أقدر مشاعركِ بشكلٍ لن تصدقيه، فمن الصعب عليَّ، أو لنقل من المستحيل، أن أغير طبيعتي لأجل أحدٍ أحبه وليس لأجل فتاة مثلي لا تعرفينها حتى، فدعينا نعود للبداية ولن أثقل عليكِ، فأنا بالفعل أحتاجك وأنا ممتنة للغاية لأن يوناس بعث لي فتاة مثلكِ.

شعرت روهان بالإطراء ولكنه إطراءٌ بصدق وليس تملق، فهي تعرف الكذب من على بُعد أميال، وتكره المتملقين لدرجة أنها مستعدة لقتل من يقابلها منهم، لذ جلست على طرف الفراش وهي تقول لها:

- حسنًا اجلسي يا آنا ودعينا نتحدث قليلًا.

ابتسمت لها آنا وهي تجلس أمامها:

- أشكرك يا روهان على موافقتك.

هزت كتفيها وهي ترفع شفتيها السفلى قائلة:

- ليس لدي خيار فلو عدت دون مساعدتك سيغضب أبي مني، وأنا لا أتحمل غضبه.

فهمت آنا مشاعر روهان العدائية تجاهها والسر هو أبيها، الفتاة مغرمة بأبيها وتغار عليه منها وخاصة أنها لم تعرف عنها من قبل، فافتتحت آنا حديثها بذكاءٍ:

- هل تعرفين عدار؟!

فاستحوذت على انتباهها لتُجيب روهان وهي تدقق النظر بعينيها:

- ما به؟!

تنهدت آنا بقوة وهي تقول لها:

- هو من سجنني في تلك الغرفة كي يمنعني من التواجد مع شقيقتي التي تتعرض حياتها لخطر مُحدق، وفي غضون يومين

سيستولى آبيغور على روحها.

اعتدلت روهان بجسدها وهي تعجز عن فِهم ما قالته لها:

- تمهلي يا آنا أنا لا فهم شئ، ما علاقة عدار بشقيقتك بآبيغور؟!

تأففت آنا بعجزٍ واضح وهي تقول لها بخفوتٍ:

- عدار هو حبيبي السابق، ويحاول منعي من مساعدة شقيقتي لخوفه من أن اتأذى.

تعالت ضحكات روهان، فحدقت بها آنا بحرجٍ لتضع روهان كفها على فمها تكتم ضحكاتها وهي تقول لها:

- أعتذر، ولكن أنا لا أصدق حقًا.. تخافين رؤية الجان فتقعين في عشق شيطان؟!

قولها للأمر بهذه البساطة جعل آنا تقهقه عاليًا لتتبعها روهان وهي تردد:

- يا لغباء البشر.

أدمعت عينا آنا من الضحك لتتوقف وهي تجفف دمعتها

قائلة:

- لكِ كل الحق فيما قلته يا روهان، بالفعل ما أنا فيه لا يسمى إلا غباء منقطع النظير.

تنهدت بألمٍ لتُردف:

- ولكن ما باليد حيلة، كلما حاولت الابتعاد عنه تتقاطع طرقنا وكأن القدر يعاندني ويهزأ بي قائلًا.. إن استطعتِ الهروب مرة فلن تستطيعي الثانية وإن بذلتِ أقصى جُهدكِ في الثانية فسوف تقعين حتمًا في الثالثة.

تأملتها روهان قليلًا قبل أن تربت على كفها برقة قائلة:

- لقد راودني الفضول في معرفة قصتك من البداية، هل تملكين الوقت كي تقصيها عليَّ؟!

لتستطرد روهان بهمس لم تسمعه آنا:

- وخاصة أنني عرفتُ الآن لمَ أمرني أبي بمساعدتكِ ولم يأمر أخي نعمان.

نظرت آنا لساعة يدها فوجدتها الثانية بعد منتصف الليل، فرفعت رأسها تتطلع إليها قائلة:

- لدي بضعة ساعات أريد أن أتركه بها يعيش القليل من الذعر الذي جعلني أشعر به، ولكن أخشى أنك لا تملكين هذا الوقت.

أجابتها روهان وهي تتمدد على الفراش وتشير إليها كي تتبعها:

- لا تقلقي، فلدي أنا أيضًا بضعة ساعات قبل أن تستيقظ أمي وتبحث عني.

تذكرت آنا أمها فتشنجت ملامحها بحزنٍ ليخطر على عقلها فكرة مجنونة أخبرتها لروهان بحرجٍ:

- هل أستطيع أن أطلب منكِ أن تنقليني إلى أمي كي أطمأنها عليّ، فقط لساعة واحدة.

اعتدلت روهان في مجلسها قائلة:

- حسنًا.. ولكن قبل ذلك سأستمع لقصتك أولًا.

جلست آنا بجوارها وبنبرة حزينة حدثتها:

- لكِ ذلك، رغم أن قصتي ليست بالمسلية على الاطلاق.

هزت روهان رأسها:

- دعي لي الحكم عليها.

* * *

جُنَّ جنون عدار وهو يجوب الأرض من مشرقها لمغربها بحثًا عنها وكأنها قد ذابت مثل الملح، انتهت رحلته بالعودة للبيت الذي يقطن به عاتق و أبريال ليسأله عليها بتوتر شديد:

- ألم تأتي إلى هنا بعد؟!

هزَّ عاتق رأسه نفيًا وهو يقول له:

- لا لم تعد، ولقد خرجتُ بعدكَ مُنذ قليل للبحث عنها؛ ولكنني لم أجد لها أثر.

ثم أردف عاتق بضيق:

- أنا لا أعلم كيف خرجت من غرفة تقول أنك أمنتها جيدًا، فهي لن تخرج منها إلا بواسطة أحد الجان.

ضيَّق عينيه، ليرددا سويًا:

- يوناس.

سمع عاتق همهمات أبريال فقال له قبل أن ينتقل إليها:

- إذًا فنحن لن نعرف مكانها حتى تقرر هي العودة، وأنا اتوقع أنها لن تتأخر عن الغد لأجل شقيقتها فاهدأ قليلًا، سأذهب لتفقد أبريال وأعود إليك كي نتحدث بما قررنا الاتفاق عليه.

تركه وانتقل إليها بينما احتدم غيظ عدار لدرجة الاحتراق، ولكنه حاول تهدئة نفسه وهو يتوعدها بأسوأ الوعيد، عاد عاتق بعد لحظات بعدما اطمأن أن أبريال لن تستيقظ سوى في الصباح، وأن همهماتها التي سمعها منذ قليل كانت دلالة على عودة إدراكها للواقع ولكنها مازالت في مرحلة التعافي ممًا حدث لها.

أشار له عاتق أن يجلس على المقعد أمامه كي يستمع لاقتراحه، فأسرع عدار بقوله:

- لقد أمسك البشريان بالطفل، وسوف يسلمّانه لآبيغور في طقوسٍ خاصة قبل منتصف ليلة الثالث عشر، لذا نستطيع حينها أن نوحد طقس أبريال وحين يخرج الملوك الست للمحاربة على روحها مع آبيغور نعود بأبريال إلى هنا ونحصنها جيدًا، وحينها ستندمج روح الطفل مع الملوك الست ويُصبح

هو سابعهم، وحين ينتهي آبيغور من الملوك سأجعله يعتقد أن أبريال ماتت جراء هذه الحرب التي خاضها معهم وحينها تنتهي هذه القصة.

هزَّ عاتق رأسه نفيًا وهو يقف من مجلسه يعترض بشدة:

- لا أنا لن أشترك في هذا الهراء، ألا تعرف هويتي؟ هل سأنقذ روحًا مقابل روحًا يستلمها شيطانٌ ملعون كي يُنفذ مخططهُ الحقير على الاستيلاء على عالم البشر، لا بالطبع لن أفعل ذلك.

رفع عدار كلتا حاجبيه وهو يقف أمامه بعنفٍ:

- ولماذا لم تذهب إذًا للقبض على الشيطان الذي أخبرهم عن الطفل؟! ولما منعت بولاريس من فِعل ذلك يا أيها الطاهر الشريف!

خبط عاتق بقوة على مقدمة المقعد وهو يقول له بغضبٍ:

- لا علاقة لي بما تهذي به يا عدار، أنا لم أذهب إليهم ولم أدع بولاريس تذهب لسببٍ آخر لا تتخيله أنت، وقبل أن تسأل فأنا لستُ مُجبرًا على أن أعرفك به، في النهاية أنت عدوي الأول والأخير، ووقفتنا هذه ليست إلا لأجل إنقاذ فتاة بريئة لا تملك ناقة ولا جمل في هذا العالم.

آثار عاتق حفيظته، فاختفى عدار من أمامه وهو يقول له:

- إذًا فلتنقذها أنت بمفردك، ودعني أنا أبحث عن حبيبتي وحين أجدها لا دخل لكَ بها على الاطلاق.

جلس عاتق على المقعد خلفه وهو يستشعر ضعفًا لم يختبره يومًا قبل هذه اللحظة، لقد جرب العديد من المحاولات الكثيرة للبحث عن حل ينقذ به أبريال من جهة الملوك تارةً ومن جهة آبيغور تارةً أخرى، ولكنه عجز عن إيجاده بشتى الطرق، فإما هي وإما سليمان، الطفل الذي يتوقع له الجميع شأنٌ عظيمٌ في مواجهة الشياطين جميعهم، واحباط مخططاتهم الكثيرة على بني آدم، ومؤكد هو لن يُخبر عدار أنه ترك العبدان ليعرفا مكانه كي يتفاجأ بعدها بنجاحه في تحديه الأول؛ وهو الانضمام إليهم بكامل رغبتهِ ودون أن يشعر بأدنى خوف، لا أحدٌ يعرف غيرهم ما الذي ينتظر هذا الفتى وإن نجح في جميع اختباراته القادمة سيكون بطلهم الإنسي الأول، لذا لن يسمحوا بأن يمسهُ مكروه ولكنهم لن يتدخلوا بالأمر إلا في آخر لحظة إن احتاجهم فقط، وعلى صعيدٍ آخر فهو لن يسمح بأن تتأذى أبريال بأي ثمن ولو كان هذا الثمن حياته هو.

* * *

استيقظت هَياه بعدما غَفت على صوت جاد المرتفع وهو يسبُ ويلعن، نزلت من أعلى الفراش لتتعثر بحذائها المُلقى

على الأرض، فسيطرت على جسدها قبل أن تسقط لتهرول تجاههم بأقصى سرعتها، فوجدت جاد يقف أمام الطفل بجسدٍ يرتجف من الغضب لدرجة أنه يصرخ به وينهره من على بُعد عدة خطوات وكأن هناك حاجز يمنعه من الاقتراب منه، في بادئ الأمر تخيلت أنه لا يريد أذيته ليتبع الأوامر ولكن حقيقة الأمر أنه لا يستطيع الاقتراب منه!

ظلَّ سليمان جالسًا على وضعه بهدوءٍ شديد وهو يتأمل وجه جاد المُحتقن برباطة جأش دون أن يرف له جفن، دنت هَياه من جاد تسأله عما حدث، فدفعها بعيدًا عنه بغلظةٍ لتقع أرضًا وهي تتأوه بألم، وقف سليمان من مجلسه وحدق به بغيظٍ واضح وهو يقول له:

- لا تعاملها بعنفٍ هكذا مرة ثانية.

استشاط جاد غضبًا وهو يقول له:

- ومن سيمنعني إذًا أيها الطفل البغيض؟! هل هذا الشيء الذي تحتمي به كي يمنعني من الوصول إليك؟!

تحرك سليمان من موضعه وهو يُقبل عليه، ليقف أمامه مباشرة وهو يتحداه بالقول رغم أنه لم يصل بطوله حتى لركبتيه:

- لا يوجد شيء يمنعك عن أذيتي، فأنا أمامك الآن! هيا قم بصفعي كما تتمنى أن تفعلها، هيا أفرغ غضبك الذي تكتمه داخلك منذ كُنت طفل في سني وأبيك يصفعك كل عدة دقائق دون سبب، وحين يأتيه السبب يقوم بربط قدميك ويديك بسلسال حديدي كان يُغلق به دراجته الهوائية، ثم يجلدك على جسدك كله بحزامه الجلدي.

ارتعش جسد جاد بوضوحٍ وهو يتذكر أسوء حياة عاشها من أبٍ سادي لا يملك ولو ذرة رحمة واحدة داخله قلبه، حين انفصل عن امه قام بطردها خارج المنزل ورفض تسليمه لها، بل وأخذه واختفى حتى لا تعثر عليه حين تطالب بحضانته، لم يكن وقتها في سنٍ يسمح له بالهروب أو حتى الاعتراض، استسلم لأبيه الذي قام بخطفه كي يعذبه فقط، لم يكن له غرضٌ آخر غير ذلك، كان يعود للمنزل كل يومٍ يفتح عليه باب الغرفة التي يُغلقها بالقفل حين يذهب لعمله، ويلقي إليه بكيسٍ بلاستيكي صغير به شطيرة واحدة من الجُبن ليتناولها، وبعدها يقوم بوصلة تعذيبه حتى يصيبه التعب وينام.

صوت اصطكاك أسنانه كان عاليًا لدرجة أن هَياه سمعته من موضعها، بينما قبضته تنحني بقوة حتى كادت عروقه أن تنفجر من ضغطه عليها، فعاد سليمان للخلف تحت أنظار جاد المحتقنه، كي يقف على المقعد الذي كان يجلس عليه منذ قليل ليقربه منه بشكلٍ كافي من أذن جاد الذي همس لهُ:

- الجميع يعلم أن قتلك لزوجتك هي جريمتك الأولى، بالطبع لا أحدٌ يعلم أنك قتلت والدك حين أضرمتُ النار في الغرفة وقت عودته، واغلقتُ الباب من الداخل، قبل أن تلف السلسال الذي كان يقيدك به على رقبته حتى يختنق سريعًا قبل أن يدخل الجيران للمنزل ليقوموا بإنقاذكما.

جحظت عين جاد وتجمع العرق على جبهته وهو لا يصدق أذناه، كيف عرف هذا الطفل ما حدث؟! فلم يكن في الغرفة أحدٌ سواه هو وأبيه!

تسمر جاد مكانه للحظات فعاد سليمان لمكانه جالسًا وهو يقول لهَياه:

- عودي للنوم يا رتان ولا تخافي، سيُحسن جاد التصرف من الآن وصاعدًا.

ثم رفع إليه رأسه الصغير وهو يُردف:

- أليس كذلك؟!

جلس جاد على المقعد أمامه وعقله ما زال شاردًا، وهو يوجه حديثه لهَياه:

- عودي لغرفتك ولا تخرجي منها إلا حين أخبرك.

سارت ببطء نحو الغرفة وعيناها لا تفارقان موضعهما فصرخ بها جاد:

- هيا على عجل.

ركضت نحو الغرفة وهي تشعر بالخوف على هذا الطفل الصغير الذي عاملها بلطفٍ كما لم يعاملها أحدٌ من قبل، ولكنها أقنعت نفسها أنها قد رأت بعينيها جاد بقوته وجبروته وهو لا يستطيع الاقتراب منه، يبدو أنهم اخطأوا حين استهانوا بهذا الصغير.

قرب جاد المقعد من سليمان وهو يحدق به بتركيز محاولًا اخافته وهو يقول له:

- اخبرني الآن كيف علمت بما قلته لي للتو؟!

ثم رفع سبابته أمامه بتحذير:

- ولا تتلاعب بي كما فعلت منذ قليل، وإلا أقسم أنني لن أهتم للأوامر ولا للتحذيرات وسوف أفعل بكِ سوءُ لن تتخيله.

ابتسم له الصغير بلُطفٍ قائلًا:

- اهدأ فأنا لن أفشي سرك لا تخاف.

تصاعد الغضب لرأسه وهو يحاول السيطرة على نفسه كي لا يُفتك بهذا الفتى الذي يبلغ طول ذراعه ورغم ذلك يجلس أمامه بقوة غريبة لا يعرف من أين استمدها، والأغرب أنه بالفعل لا يقدر على الاقتراب منه حتى لو أراد.

فقرب وجهه منه يدقق النظر بحدقتيه وهو يخاطبه بنبرة قوية ومخيفة:

- لقد حذرتُك من التلاعب بي، والآن لديك فرصة واحدة لاخباري كيف عرفت سري هذا؟!

هز الطفل كتفيه وهو يجيبه:

- من أخبرني يجلس جواري، تسطيع سؤاله هو.

لم يستطع السيطرة على غضبه أكثر من ذلك، فرفع ذراعه كي يضربه بكل قوته ولكن ذراعه تسمر قبل أن يصل إلى الفتى الذي لم يهتز أمامه خوفًا كما كان يتوقع، حذره سليمان بنبرة حانية:

- توقف يا جاد قبل أن ينكسر ذراعك.

لم يستسلم له وازداد عنادًا وهو يحاول بقدر ما أمكنه من قوة

أن يفلت يده من الشيء الذي يُمسك به، ولكنه عجز عن فعل ذلك حتى برزت عروق وجهه واحمر بشدة وهو يُصر على ضرب سليمان، حتى سمع صوت كسر عظام ذراعه فصرخ عاليًا من الألم، ليقف سليمان وعلى وجهه علامة حزن يخالطها خوف ليصيح به عاليًا:

- قلتُ لك توقف.

وقع جاد أرضًا يتلوى من الألم، فجلس سليمان جواره وهو يهمس لصديقه:

- ساعده يا شيث أرجوك.

احمرت عين شيث وهو يقول له:

- هل جننت؟ لقد كان يريد أن يؤذي جسدك!

حاول سليمان اقناعه بهدوء:

- وأنت عدت في الوقت المناسب وعلمته درسًا لن ينساه، ثق بي أرجوك وساعده وأنا أثق بأنه لن يُكررها.

حرك شيث رأسه نفيًا، فظلَّ يتوسل إليه حتى ضعف أمامه كعادته وانحنى ليُمسك ذراع جاد الذي انفصلت عظمة مرفقه

عن الأخرى، ليقوم بحركة فجائية وسريعة يرد بها عظمته لموضعها، فصرخ جاد صرخة مدوية من الألم، فركض سليمان تجاه غرفة هَياه وهو يقول لها:

- هل تملكين مخدرٌ قوي؟!

كانت تجلس على فراشها تستمع لصرخات جاد ولا تجرؤ على الخروج كما أخبرها، انتفضت سريعًا كي تأتي بحبوبها المخدرة وتعطيها له، شكرها سليمان وطمأنها على جاد وخرج مسرعًا ليعطيه حبتان من الشريط بعدما هدأت صرخاته، افترش سليمان الأرض بجواره بعدما قام بتمزيق قطعة قماشٍ أخذها من هيَاه ليلفها على مرفق جاد الذي استسلم له إثر المخدر وقبله الألم الذي عانه.

قام سليمان بوضع كفه على مرفقه المُصاب وبصوتٍ عذب ساحر قام بترديد المعوذتين وآية الكرسي، تلاها ببعض الأدعية الخاصة بتخفيف الآلام، وحين انتهى وجد جاد في سباتٍ عميق، ومن الجهة الأخرى تمددت هَياه لتنام براحة على صوته، بينما يجلس شيث جواره يتأمله بدقة وهو لا يفهم كيف اكتسب هذا الفتى الصغير كم السلام النفسي والحنان والرأفة التي يتمتع بها لتغمر جميع من حوله، حتى هو الشاب المتمرد الذي يخشى كل من في عالمهُ الاقتراب منه، يعلمه طفلٌ ضئيل ما زال في طور نموه كيف يكسب قلوب كل من حوله حتى الشياطين منهم باللين والحُب.

* * *

وصلت بها روهان للمنزل لتتركها أسفل السُلم الذي ينتصف البهو الكبير، شكرتها آنا من كل قلبها وطلبت منها أن تنتظرها حتى تتحدث مع أمها وتعود، كانت كوبا في فراشها في هذه الساعة المُبكرة من الصباح تحاول أن تنام ولو قليلًا، ولكنها تتقلب مثل كل ليلة منذ أن تركتها ابنتها تواجه جميع مخاوفها بمفردها وتحارب القلق بكل ما أوتيت من قوة، سمعت صوت أقدامٌ تصعد الدرج، فانتفضت من مكانها وهي تتنصت جيدًا علها تتوهم بسبب عدم النوم، ولكن صوت الأقدام ظلَّ يقترب حتى وقف أمام باب غرفتها، قامت من فراشها بهدوءٍ وهي تُمسك مزهريتها الزجاجية التي أخرجت منها الزهور قبل أن تتوارى خلف الباب، فتحت آنا الباب بهدوء لتهجم عليها كوبا ولكن صياح آنا وفزعها جعلها تركت المزهرية لتسقط أرضًا وهي تحتضنها ببكاءٍ شديد.

بعد دقائق هدأت كوبا بين أحضان آنا التي ظلت تربت على ظهرها وهي تعتذر منها على ما فعلته، مسحت كوبا دموعها وهي تسحب ابنتها خلفها ليجلسا على الفراش سويًا وهي تقول لها بعتابٍ مُبطن:

- حمد لله على عودتك يا حبيبتي، اجلسي جواري واروي لي ما حدث لكِ بعدما تسللتِ من غرفتك وهربتِ مني.

جلست آنا جوارها بملامح مرتبكة لا تدري كيف عليها أن تخبرها بأنها سوف تذهب في الحال، شعرت كوبا بحيرتها الظاهرة على وجهها، فاكفهرت ملامحها قائلة:

- ما الذي تخفينه عني؟!

أمسكت آنا كفيها تُقبلهما وهي تقول لها:

- أنا جئت الآن كي أطمئن عليك وأعود لأبريال.

سحبت كوبا كفيها بقوة وهي تستقيم لتوليها ظهرها وهي تحدثها بغضبٍ:

- هيا اذهبي لقد قمت بقضاء الواجب.

زفرت آنا بضيق وهي تقف قبالتها:

- أمي أرجوكِ، أنت تعرفين جيدًا أنني لن أتراجع حتى أطمئن على شقيقتي واتأكد أنها في أمان.

حدقت بها كوبا لتُردف آنا بعتابٍ:

- يكفي ما حدث لها في الماضي بمفردها لتعيش منعزلةً دون أهلٌ ولا أقارب ونحن على قيد الحياة، تستصعبين حتى

وجودي جوارها في محنتها هذه، أبريال على وشك الموت يا أمي وإن حدث لها مكروهٍ لن أسامحكِ على تركها تواجه قدرًا كهذا وهي وحيدة، هل تتحملين هذا الذنب؟! اجيبيني!

اغرورقت عين كوبا بالدموع وقد وضعتها ابنتها بين المطرقة والسندان، فهي لن تستطيع منعها عن مساعدة شقيقتها وفي نفس الوقت تشعر بالرعب الشديد على فلذة كبدها التي لا تملك غيرها في هذه الحياة، لقد مرت الأيام الماضية ثقيلة عليها وكأنها سنوات، ينهش القلق في بدنها ويتغذى الخوف على قلبها دون راحة أو حتى يمنحها ولو القليل من الاطمئنان، لقد جابت الكتب القديمة ذهابًا وإيابًا لتبحث عن ثغرة واحدة تنقذ بها أبريال لتعود إليها ابنتها سالمة، ولكنها لم تجد، فتنهدت بألمٍ وهي تقول لها:

- لقد قرأت كل ما يخص آبيغور هذا يا آنا، وصدقيني حين أخبركِ أنه لا مفر لأبريال منه، فهو من أقوى الشياطين السبع لذا لن يتركها بأي ثمن حتى لو أخذ جميع الأرواح التي تدافع عنها أو تُشبهها، لن يترك أبريال بالتحديد.

ضيقت آنا عينيها بقلقٍ وهي تسألها:

- ما الذي تقصدينه يا أمي؟! لا أفهم لما أبريال بالتحديد؟

ترددت قليلًا في إخبارها، ولكنها عزمت أمرها أن تُخبرها بما

تعرفه بعد ما ظلت آنا تُلح عليها وترجوها:

- ارتباط روح أبريال بالملوك الست ليست مصادفة، من خلال بحثي عنه وجدت أن آبيغور يتمتع بالكثير من الحيل والخداع لكونه إبليس الحروب والمعارك، لذا فهو يستمتع بالمناورات والتدليس، لذا فقد قام بتلفيق قصة الملوك الست لمصلحته، وكما علمت أنه هو من قتل الوزير السابع دون أن يشعروا وهم في خضم طقوسهم، ومن البداية هو من اغواهم كي ينقضوا العهود والمواثيق معه حتى يقوموا بالبحث عن مخرج، وحينها بعث أحد أعوانه كي يُخبرهم عن الثغرة التي ستحميهم منه، وقد وقعوا في الفخ وتركهم كل هذه السنوات في الخواء منتظرًا بفارغ الصبر اكتمال خطته بأن تولد أبريال وتصل للسن الذي يبتغيه.

حركت آنا رأسها بعدم فِهم لتزفر كوبا بضيقٍ وهي تُمسك كلتا كتفيها تهزها:

- افهمي جيدًا ما أقوله، هو يحتاج لأبريال تحديدًا ولا أحد يعرف لماذا حتى هذه اللحظة.

فتحت آنا باب الغرفة لتخرج منها مسرعة وهي تقول لها:

- إذًا يجب أن نجدُ حلاً سريعًا فلم يعد لدينا وقت.

لاحقها صوت كوبا وهي تركض خلفها تحذرها من أعلى الدرج:

- لا تقتربي منها يوم الثالث عشر يا آنا، أرجوكِ يا حبيبتي لو هذا آخر رجاء لي عندك فحققيه؛ أتوسل إليكِ.

وقفت آنا أمام روهان لتنقلها إلى منزل عاتق وهي تقول لأمها:

- حسنًا يا أمي أعدك أنني سأبتعد عنها يوم الثالث عشر، فقط اعتني بنفسكِ حتى أعود.

ثم أشارت لروهان، فاختفت بها من المنزل وفي طريقها للعودة شعرت بارتطام جسدها بقوة على أرضية رملية، فتأوهت بألم وهي لا تفهم ما الذي حدث. حاولت الوقوف بخفة لترى أنها تقف في صحراء شاسعة والشمس تتوسط كبد السماء، التفت حولها بفزعٍ وهي تنادي روهان التي وجدتها تقع أرضًا بجوارها، ليظهر أمامها عدار بجسده المفتول وعيناه الغاضبتان لدرجة أنها لأول مرة تشعر بالرهبة منه، عادت بجسدها للخلف لتجد جسد روهان أمامها تلكمه بكلتا ذراعيها في صدره وهي تتمتم بكلمات غريبة جعلته يعود للخلف أميالًا حتى اختفى من أمامهم وهو يصرخ من الألم، أمسكت روهان ذراعها وهي تقول لها:

- هيا بنا.

أوقفتها آنا وهي تجذب ذراعها من بين كفها قائلة:

- انتظري يا روهان ماذا فعلتِ به.

رفعت روهان حاجبها عاليًا وهي تقول لها:

- اعتقد أن السؤال الصحيح هو ما الذي فعله بنا؟! أليس كذلك!

نظرت لها آنا برجاءٍ قائلة:

- دعيني أراه قبل أن نغادر، أرجوكِ يا روهان.

صكَّت روهان أسنانها بغيظ وهي تردد:

- غبية.

أمسكت يدها بعنفٍ لتنقلها إليه، فوجدته يتكوم على الرمال وجسده يهتز بألم ولكن دون صوت، فجثت على ركبتيها وهي تمرر كفها على طول ذراعه هامسة:

- ماذا أفعل لك كي أخفف عنك؟!

حرك رأسه تجاهها يتأمل عينيها اللتان تسحرانه وهو يقول لها:

- لا تبتعدي عني ثانية.

نطقت أسمه بألمٍ يتفاقم بصدرها:

- عدار أرجوك.

صاحت بهم روهان بعدما نفذ صبرها:

- أنا لا أتحمل هذا الهراء، هيا بنا يا آنا.

تحامل عدار على نفسه وقام بإخفاء ألمه كما يفعل دائمًا، استقام بجسده وهو يواجه روهان بعيناه التي تلونت بالأزرق القاتم من شدة الغضب:

- عودي لأبيكِ وأخبريه أنني لن أنال انتقامي من طفلة صغيرة.

اقتربت روهان بوجهها منه وبصوتٍ قوي وابتسامة تُزين محياها قالت له:

- هذه الفتاة الصغيرة هي من طرحتك أرضًا بضربة واحدة، لو

استطعت أن تعيدها عليّ فافعل الأن ولا تتحجج بأبي.

وقبل أن يخوضا عراك آخر وقفت آنا في المنتصف تمنعهما:

- توقفا في الحال فليس لدينا وقتٌ لهذه المهاترات.

ردد عدار بغضبٍ شديد:

- تربية الخسيس بليفجور.

تعالت ضحكة روهان المستهزئة وهي تخاطبه:

- على الأقل هذا الخسيس علمني كيف أتغلب على أمثالك، فما الذي علمهُ لك عقازئيل؟ الحب!

نظرت لها آنا بانزعاجٍ لتوقفها:

- توقفي هنا يا روهان، أشكركِ على مساعدتكِ و تستطيعين العودة الآن، وأرجو أن تُخبري يوناس أنني ممتنة له.

اختفت روهان من أمامها بغضبٍ دون أن تتحدث إليها ثانية، لتستدير آنا نحو عدار وهي تضيق عينيها متسائلة:

- سمعتك تقول لها طفلةٌ صغيرة! كيف تقول لها ذلك

وجسدها يمثل فتاة بالغة؟!

زمَّ عدار شفتيه وملامحه تتجعد بألمٍ وهو يُجيبها:

- هذا جسد فتاة بالغة من الأنس هي تتمثل به، لكن هي في عالم الجن فتاة صغيرة؛ سنها في عالمكم لا يتخطى السابعة.

شهقت آنا بدهشةٍ وهي لا تُصدق ما قاله لتردد:

- كيف تمثلت كل هذه القوة والجبروت في طفلة كما تقول لم تتخطى السابعة؟!

حاوط آنا بذراعه لينتقل بها لبيت عاتق وهو يقول لها:

- لقد تربت على يد أقذر الشياطين، فماذا تنتظرين منها؟

استطرد وهو يسحب ذراعه بخفة تاركًا جسدها خلف باب المنزل:

- دعكِ من هذه الحقيرة الصغيرة وادخلي لشقيقتك فقد استيقظت منذ قليل، وأنا سأذهب لأمرٍ هام وأعود إليكِ كي تأتي معي ولنا حسابٌ آخر على هربكِ بهذا الشكل.

أوقفته متسائلة:

- لن أترك أبريال يا عدار، لا تحاول معي بهذا الشأن مرة أخرى.

أقترب بوجهه منها فالتصقت بالباب خلفها، لتتسارع أنفاسها من اقترابه هكذا وهو يقول:

- سوف تطيعين أمري برضاكِ أو رغمًا عنكِ، ولن تهربين مرة ثانية بهذا الشكل يا آنا وإلا..

أوقفته بتحدٍ:

- ماذا ستفعل؟!

لمعت عيناه بشرٍ وهو يقول لها:

- صدقيني لا تريدين معرفة ذلك، ولكنني أعدك أنك ستقابلين وجهًا آخر من عدار لم تتخيليه بعد.

اختفى من أمامها لتلتقط أنفاسها بقوة بعدما غادر، هو مُصرٌ على ألا تتواجد مع أبريال في يوم الثالث عشر وكذلك أمها، لقد وقعت في الحيرة حقًا ولا تدري ما الذي يجب عليها فِعله!

مررت أصابعها في شعرها بعنفٍ في محاولة منها للسيطرة على نفسها وعقلها من التسارع الذي تمر به هذه الأحداث

المميتة، لتظل هكذا عدة دقائق قبل أن تستعيد رابطة جأشها التي على إثرها استقامت بخطواتها نحو غرفة أبريال.

* * *

اليوم الثاني عشر
١٢ - آذار

فتح جاد عينيه ليجد نفسه ممددًا بجوار سليمان الذي ما يزال يجلس بالمنتصف بينه وبين هَياه النائمة على الجانب الآخر بينما يضع سليمان كفيه الصغيرين على رأسيهما، انتفض جالسًا ينظر لساعة يده التي تعدت الرابعة عصرًا، نظر لسليمان بتيه وهو لا يصدق أنه نام كل هذه الساعات متصلة ودون كوابيس!

دقق النظر بسليمان وهو يقول له:

- ماذا فعلت بي؟!

ابتسم نحوه وهو يقول له:

- لم تكن تحتاج إلا إلى أن يأخذ أحدهم بيدك لترى أنك لست الجاني بل أنت ضحية ويجب أن تتعافى من ذنوبك وتعلم أنك كنت تحت تأثير الشيطان، وإن تبت ورجعتَ إلى الله حينها فقط ستعود كما كُنت طفلًا بريئًا ذو قلبٍ نقي.

نهضت هَياه إثر حديثهما بعينٍ زائغة لتردد وهي تثبت حدقتيها

على سليمان وتشير إليه بسبابتها:

- لقد حلمتُ بك، أخذتني من يدي لتُخرجني من الغرفة المظلمة التي كُنت أتعذب بها، وجعلتني أصعد الدرج الطويل حتى انتهى لأجد نفسي في مكانٍ ساحر، به نهرٌ كبير في منتصفه وعلى جانبيه زروعٌ وأشجارٌ ضخمة وصوت الطيور الأخاذ مازال يتردد في أذني، نظرت حولي ابحث عنك لأسألك عن مكاني ولكني وجدتكَ قد اختفيت، وسمعتُ صوت جاد يناديني من بعيد ففتشت على مكان صوته لأجده على الجانب الآخر ويحول بيننا النهر، ناديته وأنا أشير إليه بكلتا يدي لأفيق الآن على صوتكما.

لاحت علامات الحزن على وجه سليمان، ولكنه أخفى هذا الحزن بابتسامة هادئة وهو يقول لها:

- رؤيا خير.

استقام جادة بحدة ظاهرة وخطى نحو غرفته وهو ينادي:

- هَياه.. اتبعيني.

سارت خلفهُ بعدما نظرت لسليمان باستفهامٍ وكأنه تستأذنه، فحرك رأسه لها كي تتبعه فامتثلت للأمر، عاد سليمان لمقعده وهو يحذر شيث:

- لا تذهب خلفهما، اتركه يلملم شتات نفسه ويختار طريقه.

تأمله شيث بتعجب، وهو يسأله:

- ألا تشعر بالفضول من معرفة ما يدور بعقله! وكيف سيتخذ قراره؟!

هزَّ سليمان رأسه نفيًا وهو يُجيبه:

- ولا بالقليل حتى، أنا أحب المفاجئات.

ثم صوب عينه تجاهه وهو يُردف:

- هل تعلم يا شيث أنني سئمتُ من أخبارك لي بكل ما سيحدث معي، أريد ألا أعرف شئ وأترك لنفسي العنان لأشاهد كيف سأتصرف وأنا لا أعلم ما هو مصيري.

وفي هذه الأثناء شهقت هَياه فوضع جاد كفه على فمها وهو ينهرها بغضبٍ هامسًا في أذنها:

- اخفضي صوتك يا مجنونة، مؤكد أن الشيء الذي معه يحاول التنصت علينا إن لم يكن موجودُ الأن.

همهمت بصوتٍ خفيض:

- هذا الطفل الصغير لم يُحرك بقلبك ولو ذرة عطف عليه؟! لقد كنت أظن أنك تناديني لتخبرني أننا سنعيده لأمه.

لكزها في كتفها وهو يقول بصوته الخفيض:

- هل نسيت عقدنا مع ليميغيتون يا غبية، نحن لا نستطيع إعادتهُ، يجب أن نتمم طقسنا الليلة عند الثانية عشر مساءً ولا يجب أن نتأخر ولو دقيقة واحدة وإلا سيقوم أعوان آبيغور بتعذيبنا بطرقٍ لن تخطر على بالكِ.

انهمرت الدموع من عينيها وهي تهز رأسها قائلة:

- لا يجب أن يموت هذا الطفل.

حاول إقناعها بالأمر:

- وأنا أيضاً لا أريد موته، هذا الطفل يمثل معجزةً على الأرض، ولكن ما باليد حيلة.

ثم استطرد وهو يفكر مليًّا:

- دعينا نفعل ما يجب علينا فعله ومؤكد أن الكائن الخفي الذي يساعده من الجن لن يتركه يموت، أنا أثق أنه سينقذه،

ألم تشاهدي ما فعله بي حين رفعت ذراعي لكي أصفعه فقط؟

لم تستوعب الأمر وهي تقول له:

- لو كان جنيٌ بالفعل فهو يستطيع منعنا نحن عن أذيته، ولكنه لن يستطيع منع آبيغور وأعوانه الشياطين، وخاصة عندما نبدأ الطقوس.

أمسك كفها وهو يحدثها بهدوء:

- لو كلامك يمثل ولو جزء صغير من الصحة لم يكن ليسمح له بأن يأتي معنا بكامل إرادته، ألم تري قوة الفتى وصلابته! أنا على يقين أنه سينجو ونحن معه.

اقتربت منه بحزنٍ قائلة:

- أنا خائفة يا جاد، أرجوك دعنا نعيد الفتى ونهرب من هذه الطقوس.

زفر بضيقٍ وهو يهز كتفيها بقوة:

- استيقظي يا هَياه، إلى أين نهرب من الشياطين؟! توقفي عن حماقتكِ هذه.

ثم تركها ودخل لدورة المياه وهو يقول لها:

- الساعة تجاوزت الخامسة، اذهبي للحمام الآخر كي تغتسلي وترتدي ملابسكِ وأنا سأفعل ذلك الأن، وقبلها حضري أي طعامٍ تجدينه في المُبرد كي نأكله ونخرج في الحال فأمامنا طريقٌ طويلٌ الليلة.

خرجت هَياه من الغرفة مسرعة بعدما تأكدت أن جاد أغلق الباب خلفه جيدًا ولن يسمعها، أمسكت بذراع سليمان بقوة وهي ترتدي جاكيت أسود كانت تضعه على طرف الأريكة قائلة:

- هيا بنا سوف أعيدك لأمك الأن.

أوقفها سليمان وهو يسحب ذراعه من بين يديها:

- اهدأي يا رتان، أنا لن أعود لأمي إلا في صباح الغد، لا تخافي.

تركت ذراعه وهوت بجسدها اعلى الأريكة لتنفجر بالبكاء وهي تحدثه:

- أرجوك يا صغيري استمع لي قبل أن يخرج جاد.

ربت على كتفها برقة وهو يهدئها:

- انهضي وافعلي ما قاله لكِ وأنا سوف أنتظركم هنا.

ثم شجعها وهو يدفعها بلُطف:

- هيا يا رتان هيا.

وقفت وهي تتأمل وجهه الصغير وعيناه البنية القوية بعجبٍ قائلة:

- اتمنى لو أحظى بالقليل من شجاعتكَ هذه يا فتى.

ابتسم لها مخاطبًا:

- تحظين بالكثير يا رتان ولكنك لم تختبري شجاعتك بعد فيما تؤمنين به.

تركته وهي تمسح دموعها مرددة:

- أؤمن به!

كان شيث يقف جواره وهو يكاد يخلع رأسه من غضبه وهو يقول له:

- ماذا دهاكَ أيها الطفل الأخرق، لقد اختارت أن تُرجعك لأمك بإرادتها!

قبع على مقعده وعاد للخلف وهو يهز قدميه بطفولية قائلًا:

- أنت لا تهتم لحياتها أليس كذلك؟! لو فعلت هذا سيطلب الشياطين من جاد قتلها بعدما يخطفني ثانية ومن الممكن حينها أن يؤذي أمي، وسوف يتحول هذا الرجل الذي بدأ يشعر بذنوبه ويحاول مراجعة نفسه لشيطانٍ مثلهم لن يردُعه أحد، تمهل قليلًا يا صديقي فأنا أحاول أن أصنع فارق في حياتهما البائسة، فهذان الاثنان مجرد ضحيتين قد ضلا الطريق، وأنا أحاول أن أدلهما على مسار العودة فهذا أهم عندي من سلامتي.

* * *

وقف عدار في أعلى نقطة في الجبل وهو يناديها:

- روهان أحضري في الحال.

آتته الصغيرة بوجهٍ عابس وهي تقول له:

- هل جئت لنكمل عراكنا بعيدًا عن حبيبتك البلهاء؟!

احتدم غيظه وهو يحذرها:

- لا تتطاولي يا فتاة حتى لا أعلمكِ كيف تتأدبين مع الكِبار.

تعالت ضحكاتها وهي تحدثه:

- هل غضبت من نعتي لها بالبلهاء؟! بالفعل هي كذلك، أتعرف لمَ؟

أردفت وهي تقترب منه مشيرة إليه كي يجثو على ركبتيه قبالتها:

- لقد خدعتها مرارًا ورغم ذلك ما زالت تُحبك، والأغرب والأدهى أنها تخاف رؤية الجن مجردين، ومع هذا وقع قلبها في عشق شيطانٍ متمرد باع قومه لأجلها.

ضيَّق عينيه وهو يبتسم باستهزاء:

- إذًا هي ليست بهذا الغباء الذي تظنينه، هي تعرف جيدًا مدى عشقي لها.

اقتربت بوجهها منه هامسة:

- ولكنك لن تستطيع أن تمتلك قلبها، فرغم غبائها الذي لا

يعجبني كثيرًا ولكنها قوية بالقدر الذي يجعلك تدور في فلكها دون أن تجرؤ على الاقتراب.

تنهد بعمقٍ وهو يقول لها:

- أنا لم استدعيك حتى تحللي علاقتي العاطفية التي لا تفهمينها في حداثة سنكِ هذه، لقد ناديتك كي أطلب مساعدتك في أمر ما، رغم صعوبة الأمر على نفسي إلا أنني بعد البحث كثيرًا وعند مواجهتنا منذ عدة ساعاتٍ أيقنتُ أنه لا يوجد غيرك لمرافقتي، ولكن أريد مقابلة أبيكِ أولًا.

فردت الصغيرة جسدها بقوة وهي تخاطبه:

- في البداية أنا لا أساعد أمثالك بل أتلذذ بالسيطرة عليهم، وعلى صعيد آخر، لستُ مهتمة بما تريده ولا ببحثك الكثير، فبالطبع لن تجد مثلي! أما عن أبي فهو في عزلة خاصة في الوقت الحالي ومن الصعب عليك مقابلته، والآن قد انتهى لقائنا.

أمسك عدار ذراعها وهو يتأفف بغيظٍ من هذه الصغيرة التي تستغل حاجته لها بأسوأ الطرق:

- على رسلكِ يا فتاة فنحن لم ننهي حديثنا بعد.

رفعت زاوية فمها بتململ:

- لقد سأمتُ منك يا عدار، اترك ذراعي كي أعود للمنزل.

ترك ذراعها وهو يرفع كفيه وعيناه الغاضبتان قد تحولتا للأسود القاتم وهو يقول لها بحدة:

- ليس لدي وقتٌ للعب الأطفال هذا، أنا بشخصي كعدار لا أحتاج لمساعدة طفلة مثلك بل أبريال أخت آنا هي التي تحتاج مساعدتك لكي تنجو من آبيغور، وعلى حد علمي أنكِ تريدين أن تتركي علامة عليه كما فعلتِ مع بليفجور، لذا فإن مصلحتنا مشتركة.

استحوذ عدار على انتباهها فضيقت عينيها وهي تسأله:

- اشرح لي الأمر.

سألها بابتسامة هادئة:

- ألم تخبرك آنا عما يجري معهما؟!

اومأت برأسها وهي تجيب:

- نعم لقد أخبرتني.

ثم استطردت بتركيزٍ:

- وسمعتُ من أمها أن آبيغور لن يترك أبريال ولا أحد يعرف السبب.

اهتزت حدقتيه فابتسمت قائلة:

- يبدو أنها وقعت في شراككِ للمرة الرابعة.

حاد بعينيه عنها ليخرج صوته بخشونة:

- لقد ناديتك لأن لا أحدٌ غيرك سيفعل ما أريده، فلا تحيدي عما جئت إلى هنا لأجله.

تأملته بتركيزٍ وهي تقول له:

- لن أنكر أن فضولي هو من قادني لأجيب ندائك رغم أنني لا أحبذ مساعدتك، ولكن كما قلت سأقنع نفسي أنها لأجل آنا، وليس هناك ضرر لبعض المكاسب الشخصية.

رفع زاوية فمه بتهكم:

- لقد علمتُ منذ أن واجهتك أن انتمائك للأنس والجن معًا لم يؤثر ولو في شعرة منكِ، فأنتِ معجونة بطبع الشياطين.

وقبل أن تتحدث أكمل بجدية:

- والآن دعينا نتحدث بالأمر الهام.

استمعت له بتركيزٍ وهو يُخبرها:

- سيقوم اثنان من عبدة الشياطين عند منتصف الليل بطقوس تسليم روح طفل من الزواهريين لآبيغور، وهذا نفس التوقيت الذي سيُخرج به أعوان آبيغور الملوك الست من جسد أبريال، وحينها سوف يتخلص منهم آبيغور ويستولى على روح أبريال؛ كل ما أريده منكِ هو طريقة السيطرة على الشياطين التي علمها لكِ بليفجور كي استخدمها عليه وأوهمه أن روح أبريال صعدت ولم تتحمل العراك ويُصبح الطفل حينها سابعهم.

ضمت روهان حاجبيها بقوة وهي تقول له:

- أولاً؛ أنا لن أعلمك شئ، لو أردت تستطيع الذهاب لبليفجور كي يعلمك هو.

صكَّ اسنانه بضيقٍ، فهو يعلم أنه لو دفع روحه مقابل أن يعرف هذا السر من بليفجور لن يعرفه له.

أكملت روهان برباطة جأش:

- ثانيًا؛ أنا بالفعل كما أشرت سابقًا أنني معجونة بطبع الشياطين ولكني لستُ بشيطانه كي أسلم روح أحدٍ من زمرة المنتمين لدماء أمي وجدتي، أنا بالفعل لي طباعٌ مثلكم كثيرة ولكن خيانة بني جنسي ليست منهم.

كاد أن يتحدث فأوقفته:

- استطيع السيطرة على آبيغور وحتى أعوانه معه لبعض الوقت حتى تجد حلًا آخر ولكن بشرط.

انتظر بصمتٍ فاستطردت:

- إنقاذ الفتى مع أبريال.

ضيق عينيه قائلًا:

- أرى أن الفتى أثار اهتمامك!

زمَّت شفتيها قائلة:

- نعم فأي شخصٌ من جلدتي وبالتحديد يُشبه أمي وجدتي يثير اهتمامي بشكلٍ جدي، وخاصة أن جدتي في هذه الآونة حزينة ومنعزلة فإن استطعت لفت انتباهها ولو للحظات لما سأفعله معه سأكون سعيدة جدًا.

تنهد بقوة وحيرة وهو يقول لها:

- لقد ادهشتني يا صغيرة بشخصيتك المليئة بالتناقضات.

ابتسمت بخبثٍ مرددة:

- دعني أتأمل من يتحدث؟! الشيطان عاشق الإنسية!

وقف باستقامة متجاهلًا وصفها الذي يقع في قلبه كلما ردد أحدهم هذه الجملة، ليحدثها بعجلٍ:

- حسنًا لقد اتفقنا؛ ولكني أريد الآن أن أتحدث مع أبيكِ في أمر آخر، ومن دونه لن نستطيع نحن الاثنان إنقاذ أحدٌ منهما.

اختفت من أمامه وهي تقول له:

- انتظر هنا وسوف أجعله يقابلك في الحال.

* * *

كانت تتمدد على الفراش بجسدها بينما تُريح رأسها على قدمي آنا التي تمرر أصابعها بخفة في خصلات شعرها الطويل وهي تقول لها:

- كان يجب أن تري وجه عاتق و يوناس يريد حملكِ إلى الغرفة السرية حين وجدها.

ضحكت أبريال بخجلٍ وعيناها زائغة فدققت آنا النظر إليها لتُردف:

- ما بكِ يا أبريال؟! لا أشعر أنكِ بخير منذ أن دخلت عليكِ الغرفة وأنتِ شاردة وبالكاد تجيبين على حديثي بكلمة واحدة أو بابتسامة فاترة لا تعني شيء!

ثم اسندتها كي تجلس أمامها وهي تستطرد:

- لقد حدث لكِ شيئًا ولا تريدين أن تخبريني به؛ أليس كذلك؟!

أخذت أبريال نفسًا عميقًا وهي تخبرها:

- لا أعرف تحديدًا ما عشته يا آنا في ذلك المكان؛ هل كان حُلم أم كابوس أم حقيقة عشتها بكل تفاصيلها الغريبة على نفسي وعقلي معًا.

أمسكت آنا بكفيها وهي تربت عليها برقة قائلة:

- أنا استمع إليكِ يا حبيبتي، بوحي لي عما رأيته.

هزَّت أبريال رأسها نفيًا:

- لا يا آنا أنا لم أرى شيء، لقد عايشته بكل حواسي.

شعرت آنا بالقلق وآثرت الصمت لتستمع لها وهي تقص عليها ما جرى:

- في المرة الأخيرة التي كنا بها سويًا نمزح شعرت فجأة بأن أحدٌ ما سحبني من الغرفة ووضعني في غرفة أخرى ولكنها كانت موحشة للغاية، بادئ الأمر لم أفهم ما الذي حدث، فشعرت بالرعب الشديد وحاولت أن استوعب ما حدث ولكن لم يكن في الغرفة سواي، كانت عبارة عن غرفة مُظلمة ولها رائحة غريبة لم أفهم إذا كانت رائحة ذكية أم كريهة ولكنها كانت قابضة للنفس، الغرفة بها أربعة جدران فقط ولا يوجد بها طاقة نور ولو صغيرة، فقدت صوتي حين دخلتها وكأنني أصبتُ بالخرس التام، بكيت بصمتٍ واتكأت على أحد جدرانها أنتظر.

توقفت أبريال واتسعت حدقتيها وهي تستطرد:

- لم أكن أعلم ما الذي أنتظره، ولكني انتظرت بصبرٍ لم أملكه يومًا في حياتي، بداخلي كان يقوي يقين بأنني سأخرج من هذا المكان ولا أعرف حتى هذه اللحظة كيف حصلتُ على

هذا اليقين، وفي لحظة غريبة أتاني صوته.

ضيقت آنا عينيها متسائلة:

- من هو؟!

حركت رأسها نفيًا وهي تجيبها:

- لا أعلم.

تنهدت بعمق وقد حادت نظرتها في شرود تام:

- لقد ظهر لي صوته فجأة من مصدر لا أعلمه، أرشدني لموضع في الغرفة وجدته حين اتبعت الخطوات التي تلاها عليَّ لأجد نفسي بعدها بالخارج، عالم غريب وخالٍ من أي حياة وكأنه التيه كما وصفه البعض، وجدت هذا الشخص أمامي ولكنني لم أراه ولا تسأليني كيف فطنت أنه أمامي، لا أعرف كيف أصف لكِ الأمر ولكنه أخبرني أنني استطيع التحدث بعد فترة، ولكني حين فتحت فمي وجدت صوتي، تعجب كثيرًا لذلك، وشرح لي الأمر أننا حين نصل نفقد النطق لبعض الوقت تطول أو تقصر على حسب يقين الشخص وإيمانه، وأنه لم يكن يتوقع أن أتحدث بهذه السرعة، عرفت منه أن هذا المكان يسمى الخواء وبه يعيش الملوك الست منذ زمنٍ بعيد في انتظار سابعهم.

صمتت لحظات لتُردف وهي تُضيق عينيها:

- لا أعلم من سماه الخواء ولكنه اسمٌ عبقري، هو بالفعل عالم خاوٍ كئيب لدرجة أنكِ كل لحظة تتمنين الموت لتهربي منه، ولكن في ذات الوقت تجدين بداخلكِ شعورٌ كبير بالأمل وإدراكٌ عجيب بأنكِ ستخرجين منه كي تنالين سعادة وراحة طالما تمنيتها، حين أخبرت هذا الرجل بما أشعر به أعلمني أنه احساسٌ ممتاز يجب أن اتمسك به لأنه لا يحدث لكل من يزور الخواء، بالعكس الكل يشعر بيأسٍ كبير ويؤمن باستحالة رجوعه فيستسلم لحزنه ويظل هكذا حتى يموت، ولا يعيش هنا إلا من كان له سببٌ قوي يجعله يشعر أنه يجب أن يعود، لذا فإنه لا يوجد في هذا العالم سواه هو الملوك فقط.

تعجبت آنا من حديثها لتُكمل أبريال بتركيزٍ شديد:

- لقد قال لي أيضًا أنني لن أستطيع المكوث في هذا العالم أكثر من بضع ساعات قليلة وبعدها سوف أموت، لأن من يعيش في هذا العالم لمدة طويلة لابد أن يكون له علاقة بالسحر، وقد تعجب كثيرًا لمكوثي هناك أكثر من الساعات المنصوصة لوجودي، وقد فسر ذلك بإيماني الشديد بالإضافة لعقلي الذي لا يستوعب أمورًا كبيرة مثل هذا العالم، تعرفين أنه أنقذني من الملوك وقام بإخفائي منهم حين عادوا وكانوا يريدون أذيتي وتعذيبي هناك بسبب افشائي سرهم حين أخبرتكم عن القصر.

انقبض قلب آنا وهي تسألها بتوتر:

- وما الذي حدث؟!

أجابتها أبريال وهي تعيد عليها ما جرى:

- شعرت بهم في المكان بأكمله، فارتعش جسدي بخوفٍ شديد فوجدت هذا الرجل يحملني ليخفيني من المكان بأكمله في غرفته التي تختلف تمامًا عن هذا العالم وعما شعرت به داخله، كانت غرفة تشع بالضوء وبها عدة نوافذ تمرر الهواء النقي، أرضيتها تفترش جميعها بالزروع الورود وهناك ممرٌ زجاجي في منتصف الغرفة كي نسير عليه يعكس نهرٌ مياههُ زرقاءٌ نقيةٌ في أسفله، شعرت أنني انتقلت للجنة فسألته على الفور عن سر هذا الاختلاف، فأخبرني أن كل ما أريده في هذا العالم أستطيع شرائه بشيء واحد وهو الأعمال الصالحة التي فعلتها من قبل.

ظهر الاندهاش على وجه آنا لتسألها بفضولٍ:

- هل رأيتِ هذا الشخص الغريب؟!

هزت رأسها نفيًا وهي تجيبها:

- لا لم أره نهائيًا، كان يحدثني فقط.

لتُكمل أبريال بحماسٍ:

- استضافني في غرفته حتى اختفى الملوك من المكان بعدما سألوه عني وأخبرهم أنه لم يراني، ولكني اندهشتُ حين سمعتهم أمام بابه يرتجفون بخوفٍ وهم يسألونه بكل أدب وعلى استحياءٍ شديد، رغم أنه حدثني عن أن مجيئه لهذا المكان حديثًا وليس من وقت بعيد، فلم أفهم سبب كونهم خائفون منه لهذه الدرجة، لذا أثار فضولي أكثر ،ولكن لم يمهلني وقتًا آخر وقام بإعادتي بطريقة لم استوعبها حقًا حتى الآن.

احتضنتها آنا بقوة وهي تحمد الله على عودتها سالمة، فالتمعت عين أبريال بالدموع لتبعدها آنا عن أحضانها وهي تنظر لعينيها بغرابة، وقبل أن تسألها عما يحدث معها تحدثت أبريال بصوتٍ شجي:

- أنا أعلم أنني إذا نجوتُ من الملوك لن أنجو من آبيغور يا آنا، فأحببتُ أن أخبركِ أنني ممتنة لوجودك معي في فترة حالكة تمر على حياتي.

سحبتها آنا لأحضانها مرة أخرى وهي تمرر كفها على رأسها قائلة:

- لا تتحدثي هكذا يا أبريال، سوف تنجين من الجميع وتنتقلين للعيش معي أنا وأمي فنحن بحاجتك لتكوني بيننا.

وقبل أن تعترض أبريال طرق عاتق الباب ثلاثًا، قبل أن يدخل الغرفة كي يطمئن عليها، اعتدلت أبريال في مجلسها وارتسمت على ثغرها ابتسامة شقية وهي تتذكر ما قصته عليها شقيقتها عن الرحلة التي قاموا بها كي تعود من سباتها، وقف عاتق أمام أبريال، لتصل بولاريس على الفور وهي تقول له:

- أريدك في أمرٍ هام.

لم تتحمل أبريال هذا المرة اقتحام شقيقته هكذا في غرفة نومها، فوقفت بضيقٍ وهي تقول لها:

- اخرجي من غرفتي يا هذه ولا تكوني بهذا الكم من الحقارة، فقد سئمتُ منكِ ومن وجودك في حياتي عنوة وكأنني مُجبرةٌ على تحمُلكِ.

جحظت عين بولاريس وهي تستمع لكلمات أبريال النارية، لتنظر نحو عاتق الذي تعجب من موقف أبريال العدائي تجاهها ولكنه لم يتدخل ولو بكلمة، ولذا تشجعت أبريال لتُكمل:

- يبدو أنكِ أختًا ليست جديرة بأن يكون هذا شقيقها، فأنتِ تحملين صفات كريهة حقًا يا فتاة، وكأنك تريد الاستحواذ عليه

متجاهلة شجاره معكِ وطرده لكِ في كل مرة أتيتِ بها وأنا معه، ابتعدي عني وعنه في الحال.

صكَّت بولاريس على أسنانها بقوة وهي تقترب منها، فانتقل عاتق على الفور ليقف في المنتصف قبل أن تصل إليها بولاريس التي صرخت بها:

- ابتعدي أنتِ عن زوجي يا حقيرة، واتركينا كي نعود لمهامنا وحياتنا التي كنا نعيش فيها بسلامٍ قبل أن تظهري علينا بمصائبكِ التي لا تنتهي!

* * *

اليوم الثالث عشر
١٣ - آذار

صعد سليمان ليجلس في المقعد الخلفي للسيارة بينما جلست هَياه بجوار جاد، الذي انطلق مُسرعًا نحو جبل (أراتوسثينس)؛ فسوف تبدأ الطقوس هناك في منطقة مُحددة سوف يعرفها حين يصل إلى الجبل. آثر الثلاثة الصمت لمدة طويلة وكلٌّ منهم يدور عقلهِ في فلكٍ خاص، فقد عاد جاد لأيامه السوداء كما يسميها مع أبيه، بينما يتأجج داخل هَياه شعورها الكبير بالذنب تجاه عائلتها تارةً وتارةً أخرى تجاه الطفل الذي أيقظ داخلها كل مشاعر الحب والاحتواء التي قد تناستها في خضم العالم الغريب الذي اقتحمته بإرادتها، والآن تشارك بكل رغبتها في قتله!

هذا الطفل المسكين الذي بالطبع يملكُ أبًا وأمًا يعيشان الآن أيامًا عصيبة من دونه، هداها عقلها لتسأله بصوتٍ منهك:

- هل تعيش مع أبيك وأمك يا سليمان؟!

ابتسم بلُطفٍ وهو يجيبها:

- نعم؛ ولكن أبي تعرض لحادث منذ عدة أيام وقد رافقته

أمي للمشفى، فأنا لا أملُك عائلة غيرهما ولا هم يملكون غيري.

نظرت هَياه لجاد نظرة ذات مغزى، تجاهلها وهو يركز على طريقه، لتستدير هَياه برأسها نحو الصغير قائلة:

- مؤكد أنكَ قلقٌ على والدكَ.

حرك كتفيه للأعلى وهو يقول لها:

- أنا أعلم أنه بخيرٌ الآن لأن أمي لم تبلغه باختفائي، لكني قلقٌ على أمي كثيرًا فقد عرفتُ أنها تمرُ بحالة حزنٍ عظيمة وتبحث عني في كل مكان.

تنهدت هَياه بأسفٍ واغرورقت عيناها بالدموع حين وضعت نفسها مكان أمه للحظات قبل أن يسأله جاد:

- هل صديقك الذي يُخبرك بكل شئ جني؟!

اكتفى سليمان بهزة خفيفة من رأسه اتبعها جاد بسؤال آخر:

- هذا الجني يحميك؟!

ضمَّ الطفل حاجبيه بتعجب وهو يقول له:

- لا.. الله يحميني.

توقفت عيناه على المرآة التي ينظر من خلالها على سليمان الذي تربع في مقعده قائلًا:

- لقد جعلتني أتذكر شيء هام، اليوم هو موعد مراجعتي لما حفظته من كتاب الله، وبما أنه آخر يومٌ في حياتي اسمحا لي أن أراجع كل ما حفظته سابقًا حتى نصل.

لم ينتظر منهما إجابة وبدأ في التلاوة بصوته العذب الذي تقشعر له الأبدان، حتى إذا سمعته جزمتُ أنك تستمع لصوتٍ قادم من الجنة وليس له على الأرض مكان.

أراحت هَياه رأسها على المسند الخلفي للمقعد وهي تحاول السيطرة على دموعها التي انهمرت بسبب صوته الساحر وتلاوته الخاشعة، أما عن جاد فحاول السيطرة على الصراع الدائر داخله وكأنه يمزق روحه لأشلاء، ذنوبٌ تنهش في قلبه وتعتصر كيانه ولا يقدر على تجاوزها كما كان يفعل من قبل، ولا يتمكن الأن من التكفير عنها وكأنه قد وقع في شر أعماله.

صدح صوت المحدد الجغرافي عبر السماعات الكبيرة المتصلة بالسيارة عن وصولهم لوجهتهم، أوقف جاد العربة في نفس اللحظة التي أوقف بها سليمان تلاوته، فتح له جاد الباب الخلفي وهو يسحبه من يده للخارج برفقٍ، وقد ألح عليه سؤالٌ

جعله يشعر بالحيرة الشديدة:

- هل أنت خائف يا سليمان؟! أم أنك ماهر في إخفاء خوفك؟!

رسم الفتى ابتسامة هادئة على ثغره وهو يجيبه:

- لقد شعرتُ بالقليل من الخوف قبل أن أراجع كلام الله، ولكني أؤكد لكَ الآن بأنني لا أشعر ولو بذرة خوف، فكل ما يُقدره الله هو خير، فهل يجب عليَّ أن أخاف ممَّا قدره لي ربي؟

جذبه جاد خلفه، ومن خلفهم هَياه التي تسير ببطء وكأنها هي المُسافة لنهايتها، لا تستطيع السيطرة على دموعها ولا على قلبها الذي يرتجف بداخلها بطريقة جعلتها تحاول كبح شهقاتها المتتالية، وصل الثلاثة لموضعهم فنظر جاد لساعته التي لم تصل للحادية عشر، تنهد براحة وهو يحدق بهَياه والغضب يسيطر على عينيه وهو يراها بهذا الضعف، فترك كف الصغير وعاد للخلف يقبض على مرفقها بقوة وهو يحذرها من بين أسنانه:

- سوف نبدأ طقوسنا الآن وأنتِ بهذه الهيئة يا أيتها الغبية؟! تمالكي نفسكِ على الفور، وإلا أقسم لكِ أنني سوف أقتلكِ وأعود لكي أتمم الطقوس وحدي.

مسحت دموعها بحدة فتركها وعاد لسليمان الذي تغيرت ملامحه للاشمئزاز وهو يقول له:

- هذا المكان سيءٌ جدًا.

تجاهله جاد وقام برسم الدائرة الموجودة في الكتيب الصغير بيده، ثم قام بكتابة الكلمات والرموز كما هو مدُّون، ثم طلب من سليمان أن يجلس في المنتصف في موضعٍ حدده لهُ، تحرك وقبع في المكان المُخصص له، وأشار لهَياه أن تجلس في مكانها الذي كان قبالة الفتى مباشرة، رفع سليمان رأسه ينظر إليها فوجدها تُغمض عينيها بقوة وجسدها يرتعد بصوتٍ مسموع وواضح، شعر الفتى بالحزن لأجلها؛ فما مرت به كان عصيبًا حقًا ولا يتحمله أحد، نظر على يمينه فوجد أن شيث الذي اختفى عندما وصلوا لهذا المكان لم يعد مرة أخرى، كان يتمنى مرافقته كما يفعل دومًا ولكنه قد حذره من قبل وأخبره أنه لن يستطيع المكوث معه إذا أصر على المُضي قدمًا.

عمَّ الصمت على المكان بعدما استمر جاد في ترديد الكلمات المكتوبة بشكلٍ مستمر ولم يحدث شيء، فتوقف عما يقوله وأمر هَياه أن تُردد معه بطريقة صحيحة، فيبدو أن هذه الطقوس تحتاج لاثنان كما قرأ في كتيب التعليمات، فعلت ما أمره بها حتى شعروا بحرارة المكان ترتفع بقوة قبل أن تهب رياحُ ساخنةٌ في هذه المنطقة تحديدًا، فارتعش جسد هَياه بذعرٍ وهي تردد خلف جاد وصوت اصطكاك أسنانها واضحٌ

جدًا، انقبض قلب سليمان وتجعدت ملامحه بألمٍ حين حضر ليميغيتون، نظر نحو الفتى ودار حوله ثلاث حتى توقف وهو يقترب من جاد قائلًا:

- بالفعل هذا هو الطفل المطلوب، لذا انتظر هنا حتى تدق الساعة الثانية عشر، وقتها سوف يحضر ملكنا آبيغور كي يسحب روحه بنفسه، ثم اختفى من المكان فنظر سليمان لجادُ قائلًا:

- تستطيع الهروب الآن يا جاد أنت وهيَاه، لأنه إذا خرج آبيغور وأكمل طقوسه فسوف يقتلكما بعدها.

تأمله جاد بغرابة فأكمل الفتى:

- صدقني فهذه الطقوس تكتمل بتضحية المُقدمين للروح النقية.

تردد جاد قليلًا ثم أعاد قراءة الكتيب الصغير، فوجد أن به جزئية صغيرة تنص على أن الحصول على الروح يجب يكون بالانتخاب ثم التضحية، تعجب جاد لتصرف سليمان رغم ما يفعله به، فهو يقدمه في هذه اللحظة للشيطان في حين أنه يحاول أن يجعله يهرب سريعًا قبل أن يأتي هذا الشيطان!

اقترب جاد بوجهه منه وهو يقول له بدهشة:

- كيف تفعل ذلك يا فتى؟!

دقق سليمان النظر لعينيه وهو يجيبه:

- كل إنسان يفعل ما يمليه عليه ضميره، بالإضافة لأنني احببتك أنت وهَياه ولا أريد لكما هذه الميتة السيئة.

نظر نحو هَياه، فوقفت تجرُ سليمان من يده بالقوة وهي تقول لجاد:

- لا تحاول الاقتراب منا، فقلد عزمتُ أمري على أن يبيت الفتى اليوم في حضن أبويه.

سحب سليمان ذراعه من يدها وهو يقول لها:

- لا يا رتان، فإن عدتم بي سوف يعذبكما آبيغور عذابًا شديدًا وسيجد آخرون يبحثون عني وحينها لن آمن أذيتهم.

نظرت هَياه نحو جاد الذي بدوره حدق بالفتي متعجبًا:

- ما الذي يجب علينا فِعله الآن لإنقاذك؟!

أجابه بثبات:

- ما دمت قد جئت إلى هنا فلن أستطيع العودة، ولكنكما تستطيعان الهروب، ولن يلاحقكما آبيغور لأنكما أكملتما المهمة.

حركت هَياه رأسها رفضًا وهي تنظر لجاد برجاء بينما هو يشعر بعجزٍ شديد، فقد انقلبت الموازين في لحظة والآن هو يحاول البحث عن طريقة للحفاظ على حياته، ولكنه أدرك في الحال أنه مازال يُفكر في نفسه فقط بينما هناك طفلٌ في السابعة يؤثره على نفسه، انتفض داخله بقوة وهو يُمسك يد سليمان قائلًا:

- سنجد حلًا نحن الثلاثة، لن أتركَكَ هنا.

* * *

لازمت غرفتها لعدة ساعات ولم يستطيع أحد منهم الاقتراب منها حتى آنا، فقد رفضت أن تتحدث مع أحدٌ منهما بعدما قامت بطردهما من الغرفة عقب اختفاء بولاريس التي نهرها عاتق فور نطقها بسر زواجهما، ففي قانون الحرس لا يجب أن يعرف أحد خارج مجتمعهم من مِنَ الأخوة يتزوج بعضهما البعض حتى لا يستغل الشياطين هذه المعلومة في الضغط على أحدهم بالآخر، حاولت آنا برجاءٍ أن تتحدث معها ولكنها رفضت رفضًا قاطعًا بصراخ:

- لا أريد أحد معي، اتركاني.

لم تصدق أن آنا لا تعرف بأنها زوجته رغم أنها أقسمت لها مرارًا، سأم عاتق من مكوثها هكذا مثل الأطفال بينما الوقت يمر وسوف تعيش في مواجهة مصيرية بعد قليل، تحرك بغضب نحو الغرفة مقتحمًا إياها تتبعه آنا التي تحاول تهدئته ولكن قد فات الأوان، فقد أقترب من أبريال التي تصرخ به أن يبتعد عنها ليتعدى اعتراضها سبابٌ جارح بوصفه بالدناءة والحقارة والخداع وهي تحاول ضربه بكلتا قبضتيها، فأمسك يديها بقوة قبل أن تصل إليه ثم اختفى بها سريعًا من أمام آنا التي نادته بصوتها الرنان:

- انتظر يا عاتق.

زفرت بضيقٍ وهي تتأوه بغيظ لقد غادرت أبريال قبل أن تُخبرها أنها لن تتمكن من المكوث معها الليلة كما أخبرها عدار، خبطت على جبهتها بحنقٍ وهي تُفكر كيف تتخلص منه فهي لن تستطيع أن تختفي هكذا دون أن تودعها على الأقل، انتفض جسدها حين سمعت صوته من خلفها:

- ما الذي حدث هنا؟! وما بكِ تقفي هكذا تنتفضين غضبًا!

التفت نحوه لتقص عليه ما حدث، فرسم على ثغره ابتسامة مستهزئة وهو يقول لها:

- ياللنساء.. أنتن لا تتحركن إلا إذا أثار الرجل بداخلكن مشاعر الغيرة الحارقة، أليس كذلك؟!

رفعت حاجبيها وهي تجيبه:

- لا ليس كذلك.. دعنا من هذا الأمور واخبرني ماذا أفعل الآن؟ فأنا لن استطيع تركها على الأقل حتى أخبرها أنني لن أقدر على التواجد معها.

لم تدرك أنها في أحضانه حتى شدَّد ذراعه من حول خصرها، وفي غمضة عينٍ وجدت نفسها في ذات الغرفة المُطلة على النهر، لم يتركها تبتعد عنه وأجبرها على النظر إليه فغامت عينيها بغضبٍ وهي تقول له:

- لقد سأمتُ من تصرفك هذا واجباري على التواجد معك دون اعتبار لرغبتي.

قربها إليه أكثر، فحاولت الابتعاد برأسها للخلف، وهو يصك أسنانه بغيظ قائلًا:

- إجبارك ! أنا هنا أحاول حمايتك يا آنا وليس إجبارك على التواجد معي، فلو أردت إرغامك وأخذكِ لي قسرًا لفعلت ذلك من شهور.

تعالت انفاسها وهي تسأله بقلقٍ:

- ما الذي تقصده؟!

حاوط حدقتيها بنظراته الحادة وهو يجيبها بهدوء:

- تعرفين جيدًا ما الذي أقصده.

قربت وجهها منه وقد احتدم غيظها وهي تحدثه من بين أسنانها:

- أتجروء على التبجح أمامي وأنت تخدعني في كل نفسٍ أتنفسه؟!

ضيق عينيه بتساؤل فأردفت:

- ألا تعلم بأن آبيغور لن يترك أبريال لأسبابٍ أنا واثقة أنك تعرفها جيدًا؟ ارتعشت حدقتيه وأثر الصمت فاستطردت وهي تحاول الابتعاد عنه:

- كنتُ متأكدة من ذلك.

ثبتها بالقوة كي لا تبتعد عنه وهو يقول لها:

- اهدأي يا آنا الأمر أكبر مما تتخيلين.

توقفت عن المحاولة وقد ظهرت على وجهها علامات الانزعاج والقلق:

- أنا استمع إليك.

ثم أكملت سريعًا:

- لا تحاول خداعي كعادتك.

تضايق من قولها وتجعدت ملامحه وهو يقول لها:

- أنا لم أخدعكِ يومًا إلا من خوفي عليكِ، ومحاولاتي هذه لأجل الحفاظ على حياتك وألا تتأذي بقصد أو بدون قصد.

حدقت بوجهه بتركيز وهي تحدثه:

- لن أعيد ما قلته سابقًا يا عدار، ولو عددتُ مرات خداعك لي لن يكون هناك ولو واحدةً منهم خوفًا عليَّ بل كان جميعها خوفًا مني.

ثم أوقفته قبل أن يتحدث ثانية:

- أتمنى أن تخبرني بحقيقة الأمر حتى أستطيع إيجاد حلًّا قبل نفاد الوقت.

حررها من بين ذراعيه وعاد للخلف بحزنٍ واضح، وبصوته الشجي قال لها:

- لقد وجدتّ الحل وسأذهب الآن لإنقاذ شقيقتك، وما فعلته سابقًا وما أفعله الأن هو لأجلك فقط، لأنني بالفعل أحبك يا آنا سواء قبلتِ هذا أو رفضته، فأنا لن أستطيع إلا أن أدور في فلككِ كما قال لي أحدهم، فأرجو أن تتعاملي مع هذا الأمر حتى أجد حلًا لنزع قلبي من داخلي والتخلص منه، حينها سأبتعدُ عنكِ للأبد.

اختفى من أمامها وتركها تقف في منتصف الغرفة تواجه مشاعرها الهائجة التي تعذبها كلما التقت به.

* * *

على الجانب الآخر؛ كانت تقف أبريال بجسدٍ مضطرب وصوتٍ مرتفع أمام عاتق الذي يحاول أن يشرح لها أنه لا يستطيع البوح بزواجه ولا أن يعرف مخلوق آخر سوى الحراس من هي زوجته، وأنها بالفعل شقيقته فهم يتزوجون من بعضهم البعض، هذه هي قوانينهم ولا علاقة لها بأنه خدعها أو كذب عليها، ظلت تنهره بعصبية لم تهدأ ولو قليلًا حتى صرخ بها:

- دعي جنونكِ هذا جانبًا يا أبريال، فأنا لم أعدك يومًا بحب زائل ولم أعترف لكِ من قبل بمشاعر خاصة، اتركي غضبك هذا بعيدًا عني، فأنا أحاول حمايتك من الشياطين لأن هذا عملي ومهمتي هي التأكد من كونكِ لن تنجرفي نحو السحر والسحرة وأنكِ ستظلين هكذا؛ بشرية طبيعية ليس لها أي نشاطٍ محظور.

توقفت على الفور إثر كلماته وهو تنهت بتعبٍ، لتُخرج صوتها بإعياءٍ شديد:

- وطالما هذه هي الحقيقة لما جئت بي إلى هنا كي تُفسر لي أمر زواجك؟! لماذا تهتم برأيي فيك من الأساس؟!

ثم أكملت وهي تجلس على الأرض بوهنٍ:

- اتركني الأن وامضي في طريقك، لا علاقة لكَ بحمايتي المزعومة، وطمئن زوجتك وعائلتك، فأنا لا علاقة لي بالسحر والسحرة، وحين انجرف في طريقٍ آخر فتعال واقبض عليا كما تفعل مع الشياطين أيها الحارس.

انحنى تجاهها وهو يسألها بقلقٍ:

- ما بكِ يا أبريال؟! هل أنتِ بخير؟!

ارتمى جسدها على أرضية الغرفة، فجثا عاتق بذعرٍ ليجدها قد فقدت الوعي، نظرة في السماء كانت كافية ليعرف أن الوقت قد نفد.

حملها سريعًا وانتقل بها لمكانٍ بعيد قد اتفق عليه مع عدار، وذلك قبل أن يأخذها الملوك لموضع طقوسهم، فقد أخبره عدار عن موضعٍ آخر وإجبار الملوك على أن يقوموا بطقوسهم في هذا المكان، وأنه لن يستطيع التواجد لأنهم سيعرفون على الفور أنها خُدعة، ولكنه و رغم قوته لم يستطيع الحفاظ عليها في هذا المكان لتختفي أبريال من بين يده في وسط دوامة من الرياح العاتية لم يستطيع السيطرة عليها بمفرده..

قام باستعداء عدار الذي أتاه على الفور ليفطن على الفور أن أبريال اختفت، تصاعد غضبه وهو يصيح به:

- ألم أخبرك أن تحافظ عليها؟! لمَ لم تستدعي بولاريس أيها الغبي؟!

دفعه عاتق بكلتا قبضتيه في صدره ليرتد للخلف وهو يقول له:

- هل هذا وقت صراخ يا أيها الأحمق؟ دعنا ننقذها أولًا.

انتقل الأثنان لمكان الطقوس الذي أخذها إليه الملوك،

ليجدوا جسدها محلقًا في الهواء بينما الملوك الست يحلقون فوقها و هم يضعونها في المنتصف تحت أقدامهم، نظر عاتق لعدار الذي يُحرك رأسه بعدم تصديق مناديًا:

- روهان.

حضرت روهان على الفور ليلفت نظرها ما يحدث لأبريال، فصرخت به:

- هل هذا ما اتفقنا عليه؟!

صاح بها عاتق وقد فقد اتزانه منهما:

- انتما كائنان تتمتعان بالكثير من الغباء والحماقة، هل هذا وقته يا فتاة، اتركا طباعكما النارية جانبًا، ودعونا نجد حلًّا سريعًا.

حركت رأسها نفيًا وهي تقول لهما:

- لن نستطيع فعل شيء الآن، يجب أن يسحبها آبيغور أولًا.

صمتت وهي تنظر نحوها مردفة:

- انتظرا، سنصل الآن لمنتصف الليل.

دقت الساعة الثانية عشر داخل سيارة جاد، فتنفست هَياه براحة بعدما قطع جاد منتصف الطريقُ بعيدًا عن موضعهما بمحاذاة الجبل، نظرت لسليمان الجالس في الخلف وهو يقول لهما:

- ما فعلتماه خطأ عظيم.

رفع جاد بصره في المرآة الداخلية وهو يحدثه:

- لا تقلق يا صغير سننجو من هذه المحنة معًا.

حاد بنظره أمامه ليرى السيارة التي تحذره ببوقها أنها ستمر بجواره، اتجه لليمين قليلًا كي يمرر العربة، ثم عاد لمرآته ليُكمل حديثه مع سليمان الذي وجده قد اختفى من الأريكة الخلفية، شهق بذعرٍ وهو يناديه، فاطلقت هَياه صراخًا عاليًا وهي ترى السيارة تنحرف نحو الجبل لتنقلب بهم عدة مرات قبل أن تسقط من الأعلى للأسفل، تكوَّم الاثنان داخل السيارة وما زالا بوعيها الكامل، استسلمت هَياه لنهايتها وظلت تردد الشهادتين، بينما صرخ جاد حين حاول أن يُحرك جسده الذي قد حُشر في حديد باب السيارة تجاهه، حاولت هَياه بما تبقى لها من أنفاسًا أن تقول له:

- لقد آن الآوان يا جاد، فتوقف عن المحاولة، وردد الشهادتين لعلنًا نقابل ربنا بشيء واحدٍ صحيح.

بكى جاد بحرقة وهو يقول:

- لا تقولي هذا، سوف ننجو لنفعل الكثير من الأعمال الصالحة.. لن أستطيع مقابلته الآن يا هَياه.

تعالت أنفاسها وخفت صوتها لتحاول بكل قوة مازالت تملكها أن تقول له:

- اسمي هو رتان.

وبنزاعٍ شديد، نطقت الشهادة ولم تُكملها حتى انقطع صوتها للأبد. نادها جاد عدة مرات حتى تعب وخارت قواه ليستسلم بعدها كما فعلت هي ويُكمل خلفها الشهادة حتى صعدت روحه لخالقها.

أعاد ليميغيتون جسد سليمان إلى موضعه في منتصف الدائرة منتظرًا آبيغور، ليتفاجىء ببولاريس يتبعها عاتق اللذان أحكما قبضتهما عليه، وبعد العديد من المناورات آخذاه سريعًا قبل مجيء آبيغور الذي حضر وحوله أعوانه وهم يجرون أبريال خلفهم ومن حولها الملوك الذين يحاولون الحصول على جسدها بكل ما أوتوا من قوة، فرقع آبيغور بإصبعه فوقع سليمان نائمًا على ظهره فاقدًا للوعي، تحرك آبيغور في موكبهِ، ثم توقف أمام الملوك الذين بدأوا محاربته بكل

قوتهم ليتنحى أعوانه مصطفين في الخلف يتابعون جسد أبريال الذي حصل عليه آبيغور ووضعه جوار الصبي، استمر عراكهما لدقائق قبل أن تصل روهان التي قامت بعدة حركاتٍ سريعة أمام أعوانه لتحكُم السيطرة عليهم، بينما وقف عدار أمامها كي لا يراها آبيغور، وبحيلة ذكية استطاع عاتق التخفي في مكانٍ داخل السماء التي يتعاركون تحتها، وببعض المساعدة حاول أن يطيل وقت القتال بينهما لعدة دقائق أخرى حتى تتفرغ روهان للسيطرة على آبيغور بعدما يسحق هؤلاء الملوك، وبإشارة سريعة بعثها عدار لعاتق الذي اختفى على الفور، تاركًا الملوك بمفردهم ليقع منهم واحدًا تلو الآخر، حتى انتهى آبيغور منهم مستديرًا نحو أتباعه ليجد روهان أمامه بوجهها البريء.

وقف للحظات دون فِهم استطاعت خلالها أن تبدأ خطوات السيطرة عليه كما فعلت مع بليفجور سابقًا، جَمَد مكانه منتظرًا أوامرها، فهبط عدار على الفور نحو جسد أبريال وسليمان ليردد في أذنهما تعويذة جعلت روهان تشير إليه كي يُسرع قبل أن تفقد السيطرة عليهم، وفي اللحظات التالية صعدت روح أبريال يتبعها روح سليمان للأعلى ليسقط عاتق حين رآهم صارخًا وهو يُمسك برقبة عدر:

- ماذا فعلتَ يا مجنون؟

اختفت روهان بعدما فرقعت بإصبعها، ليعود آبيغور وأعوانه لوعيهما، وفي لحظة سحبت روهان عاتق قبل أن يراه آبيغور

واختفيا هما الاثنان من المكان وظلَّ عدار مع آبيغور، الذي وصل صوته المُجلجل عنان السماء وهو يتوعد عدار وأعوانه:

- سوف أقتلكم جميعًا على ما فعلتموه.

* * *

الخاتمة

كانت تقف أمام الشرفة تتأمل النهر الهادىء أمامها بتركيزٍ وهي تفُكر مليًا فيما قاله لها عدار، بينما ينقبض قلبها داخل صدرها كل لحظة من خوفها على أبريال التي لا تعرف عنها شئ حتى الآن، نظرت لساعة يدها التي تخطت الواحدة صباحًا في اليوم الرابع عشر من آذار، لقد مرت ليلتان كاملتان وهي على هذه الحال، قاطعت الطعام من كثرة قلقها وتوترها وظلت تشرب الماء فقط، قاومت النداء على روهان عدة مرات منتظرة عودة عدار بفارغ الصبر، لتفاجأها روهان التي وقفت أمامها بابتسامة مرتعشة وهي تقول لها:

- تعالي معي يا آنا.

انتفض جسدها رغمًا عنها وضاق صدرها بقوة وهي تسألها:

- ما الذي حدث لعدار؟!

تنحنحت بأسفٍ وهي تقول لها:

- دعينا ممًا حدث له الآن، وهيا بنا.

أمسكت آنا كفها باستسلام وكأنها على أعتاب معرفة أكثر

الأخبار السيئة التي تخشاها، انتقلت بها روهان نحو منزل عاتق وتحديدًا في غرفة أبريال، كان جسدها يرتعد خوفًا وهي ترى جسد أختها ممدًا على الفراش في هدوءٍ وسباتٍ مخيف، لتلمح جوارها جسد طفلٍ صغيرٍ مثلها، بينما يجثو عاتق على ركبتيه جوار أبريال وعيناه تحملان من الحُزن ما يكفي لتسارع أنفاسها وهي تتسأل بخفوتٍ:

- ما الذي يحدث هنا؟!

تجاهل عاتق سؤالها ليُكمل حديثه الدائر مع أبريال منذ أن نقلتها روهان إلى هنا:

- أرجوكِ يا أبريال عودي، أنا أعتذر منكِ على كل ما قلته من قبل، لم أكن أعنيه حقًا يا حبيبتي، بالطبع في بادئ الأمر كنت أريد أن تظلي تحت أنظاري ظنًا مني أنكِ تمارسين السحر خفية مثل جدكِ، ولكن من اللحظة الأولى أيقنتُ أنك تحملين روحًا نقية تتمتع بحب وعفوية كبيرة لم استوعبها حقًا إلا حين وقعتُ في غرامكِ.

شعرت آنا بالتشوش ممَّا يحدث وعجزت عن فِهم ما يجري حولها، فاستدارت نحو روهان التي تتأمل عاتق وما يتفوه به بغرابة وعدم استيعاب، لتقترب من آنا هامسةً:

- لم أكن أعلم أن حراس السماء بهذا الضعف أمام البشر.

اندهشت آنا من حديثها ، فضيقت عينيها قائلة:

- العشق لا يُفرق بين حراس سماء أو جنٌ أو حتى شياطين يا صغيرة، فحين يختار القلب فلا سلطة للعقل أو للجنس على اختياره.

ثم أردفت وقلقها يزداد حدة:

- ما الذي يحدث هنا؟! وأين هي أبريال؟!

- أخذت روهان نفسًا عميقًا وهي تخبرها:

- لقد خططنا لأنقاذهما عبر إرسالهما لعالم الخواء، وقام عدار بإيهام آبيغور أنهما ماتا في خضم معركته مع الملوك الست، جن جنونه وقتل العديد من أعوانه لأن أبريال كانت تمثل له الروح التي يحتاجها كي يُصبح أمير الجحيم الوحيد، فبها كان سيتخلص من باقي الامراء بسهولة ويسر.

ثم استطردت وهي تنظر نحو جسدهما:

- كان من المقرر عودتهما منذ ساعات فلم يتحمل أنسيٌ من قبل كل هذا الوقت في الخواء.

اضطربت مشاعر أبريال وهي تقول لها:

- لقد أخبرتني أبريال أن الملوك قد أخذوها إلى هناك عندما فقدت الوعي في المرة الأولى.

انتبهت لها روهان بجميع حواسها لتُكمل آنا:

- وأخبرتني أيضًا أن هناك رجلٌ صالح ساعدها هناك بأن أخفاها عنهم كي لا يسيطروا عليها حتى عادت.

تعالت أنفاس روهان واختفت من أمامها على الفور دون أن تتفوه بحرف، اندهشت آنا من تصرفها وتقدمت نحو عاتق الذي ما زال يجثو جوار أبريال محدثًا إياها بتوسل كي تعود، وضعت كفها على كتفه قائلة:

- هيا يا عاتق أترك لي القليل من الوقت معها.

شيئًا ما بداخلها أخبرها أن شقيقتها مازالت هناك في آمان مع هذا الرجل الصالح، تنحى عاتق من مكانه وجلست هي جوراها، تتمدد لتوجه جسدها ناحيتها حتى وضعت فمها أمام أذنها لتهمس لها:

- أنا أثق أنكِ ما زالتِ هناك، وأجزم أنكِ تسمعينني الآن من مكانٍ لا تعرفينه، اتبعي صوتي يا أبريال وعودي إليَّ فما زال أمامنا الكثير كي نفعله سويًا يا حبيبتي، لم نتفق على أن

نصبح أخوة لعدة أيام، هذا ظُلمٌ كبير في حقي، لقد كنت أتمنى وجودك مثلما تمنيتِ عائلة من دمكِ، هيا أنا هنا أنتظركِ.

ثم التصقت أكثر بجسدها وهي تحتضنها مرددة:

- أتوسل إليك يا أيها الرجل الصالح أن ترشدها لطريق العودة.

اغمضت عينيها للحظات وهي تنتظر بصبرٍ عدة دقائق، لتبدأ دموعها في الانهمار كلما مر الوقت وتعاظمت أفكارها السيئة لتتمثل لها احتمالات كبيرة لعدة شرورٍ قد حدثت لها، حتى فاجئتها أبريال بشهقة العودة لجسدها، تلاها شهقة أخرى بصوتٍ ضعيف للجسد الصغير المُمدد جوارها، ابتعدت آنا عن مجالها لتسمح لها باستنشاق بعضًا من الهواء الذي تمتلئ به الغرفة، في ذات الوقت ركض عاتق نحو أبريال يتأملها بصمتٍ وحزنٍ شديد لأنها استجابت لشقيقتها ولم تستجب له رغم مرور عدة ساعات وهو يحدثها، سحبتها آنا في أحضانها وهي تجفف دموعها قائلة:

- حمد لله على سلامتك يا حبيبتي.

خرج صوت أبريال متعبًا وهي تقول لها:

- عودة جديدة بعمرٍ جديد يا آنا، اعتقد أنني لا أملك روحًا

ثالثة.

ضحكت آنا بملئ فِيها ثم اختفت ابتسامتها باندهاشٍ وهي تبتعد عن جسد أبريال عندما رأت روهان ويوناس معًا يقفان خلفها، لتسألهما بحيرة:

- ما الذي حدث؟!

نظر يوناس نحو الفتى ليسأله:

- هل أنت بخيرٍ يا صغير؟!

أومأ سليمان برأسه وهو يحدق بروهان التي بدورها تتأمله بحذرٍ، ليرفع زاوية فمه بابتسامة هادئة وهو يقول لها:

- هل بإمكانك نقلي إلى منزلي؟!

رفعت حاجبها متسائلة:

- أطلب ذلك من صديقك شيث.

وقف ليقترب منها وقبل أن يحدثها صدح صوت يوناس وهو يسأل أبريال:

- هل تعرفين أسم الرجل الصالح الذي أخبرتي شقيقتك عنه؟!

هزت رأسها نفيًا وهي تقول له:

- لم يقل لي اسمهُ ولكنه ساعدني للمرة الثانية كي أعود إلى هنا.

وقفت آنا جوار يوناس والاضطراب واضحٌ على وجهها وهي تستفسر منه:

- أعتذر منك على مقاطعتكَ ولكني قلقة جدًا على عدار.

وقبل أن يُجيبها عما حدث لهُ اغلق فمه وهو يبتسم، فصاحت به:

- أرجوك يا يوناس طمئن قلبي، أكاد أن أجن عليه لن اتحمل أن يحدث له مكروهٌ بسببي مرة أخرى.

اقشعر بدنها وهي تسمع همسه من خلفها:

- إذًا فاتركي لقلبك العنان ولنحاول أن نجعل علاقتنا تنجح يا آنا.

التفتت نحوه بحرجٍ وقد احمرت وجنتيها من المفاجأة، ودون

أن تفتح فمها هزت رأسها بإيجاب، وتلقائيًا نظر عاتق نحو أبريال التي حادت بنظرها عنه وهي تهمس بصوتٍ خفيض وصله بوضوح:

- حين أستعيد نفسي أولًا سأفكر بحديثك الذي ألقيته على مسامعي لعدة ساعات.

ابتسم رغمًا عنه، ليدنو سليمان من روهان قائلًا:

- أريدك أنتِ أن تنقليني لأمي.. من فضلك.

زفرت بضيقٍ وهي تنظر لوالدها الذي أشار لها بعينيه موافقًا، أمسكت بيد الفتى لتنقله فأوقفها وهو يطلب من يوناس الانحناء نحوه ليهمس في أذنه:

- الرجل الذي يمكث في الخواء بمفرده الآن اسمه بني النعمان، وقد طلب مني أن أخبرك أنه ينتظركَ لتعيدهُ مهما طال الوقت.

تمت بحمد الله